مقدمة

بين الامس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا، او افول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا. فما يالفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مالوفا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبيبته فكرا وذوقا ورغبة في شيء او رغبة عنه؛وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول في الهياة الاجتماعية في غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء : حتى لا يكاد يفطن له الا الامعيون ؛ حتى جاء هـذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين، خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذى هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتا؛ فاذا به بين عشية وضحاها كانما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ لم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة باى لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم،

امس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليـه القرون؛ منـذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجري الى أن ادركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر .

امس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدهـا عندنا بأذواقها وادابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا ممن له من ارث هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام الى الان. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

امس كانت عندنا تقاليد محترمـة في اللباس وفي اختيـار التأثيث وفي هياة الجلوس وفي اقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هياة اجتماعية توافقنا لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كـل جيل ـ فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا امس نعيش عيشة راضية نقر بها عيناء ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هنـاك من يحيا حيـاة طيبة مثل حياتنا التي نحياها في امسنا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذى لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذا هـو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيـه سعادة من ينشـأ في محل خـاص في عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة اخرى غير ما هو فيه .

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول في عهد قصير الى مغرب آخر يغاير كل ما كا نمعروفا منه في الامس. فاذا بامثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرخ شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من اساليب الحضارة ونظمها وعلومها — لان الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها — ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا في التحول السريع الذي لم يراع فيه — حسب انظارنا نحن المسنين — حكمة ما بين التفريط والافراط؛ فنحاول ان نجمع بين محاسن امس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفريط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجري. وليت شعري لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التي استماتت المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد .

ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي.

لانّ الجالسين منهم على العرش عرب الحاج، هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله ان لا يطول .

القصد

نحن نوقن انه سياتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما فى امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم فى كل ناحية من النواحي التى تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان نهم من سياتون فى الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام؟ فلم أقع على أى أثر . فاغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التى تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها. فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام فاختمرت هذه الفكرة فى نفسى عن ناحية سوس التى اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كادوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطة وتانلت والمعدر وتادرارت واسرير وتاكوشت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لايزال فيها رمق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنىوأنا اذذاك فى مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولى لو أجد فراغا لمايختمرفىنفسى حتى اؤدى هذه المهمة التى كانت عندى اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسى

حيث الزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ). وحين لم اجد من اخالط الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رآني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتبا؛ فهيء لنا كتابا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكيدشت الذي الفه العربي المشرفي الفاسي؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشترطت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 في الالغيين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيميين والادوزيين والتيمكدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتيين والافاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والساليين والخصيكيين والتادرارتيين والناصريين والوهداويين الاساويين .

6 في الاخذين عن زاويتهم كالاكراريين والمحجوبيين والكرسيفيين والمعدريين والركنيين والتاتلتيين .

3 في اصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجراريين والتاماناارتيين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤسا. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعلماء سوس. وآخر في رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارئ من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لاينبغي ان يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافات

ولكن لا يحسبن انني مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقذى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التضليل والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعته الى الذي يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضلل القارىء عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا أحرص انا في التراجم أن أذكر كل شيء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكري واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير في مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فها انذا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس في هذا الكتاب الذي هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا في التحدث عن شيء واحد في مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حواليها. فينظم الكلام في صعيد واحد. وانا لا أزعم في هذا الكتاب الا انه مجموعة مهيأة لمن سيستقي منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافي وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية في الادب؛ كما لا ادعى انني بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمي في الدقة. وانما ادعى انني حرصت على أمانة النقل عن المصادر ــ وغالبها من افواه رجالات الاسر ــ واجتهدت على أن أتبع الترتيب المنطقي ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدي ما استطعت ــ لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء أمازيغ الشلحيين البدويين. في نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور في ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان في بوادي درعة وفي تافيلالت وفي دكالة وفي الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هنالك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغي. ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم انني ابن زاوية وابن بيئة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد في بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولي ديني .

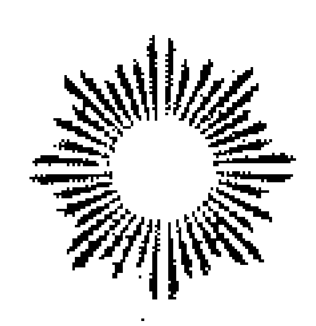
نحن بما عندنا وانت بمـــا ... عندك راض والراي مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب بأجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التى تجمع كل شيء. فلياخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئا تافها؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون ازاءه قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفي يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) أمام القارئ. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثاني الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر بفضله؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص في الموضوع ، او يصحح الاغلاط ، وما ذلك على شبابنا الذى نراه يشارك اليوم في هذا الميدان ببعيد .

م خ س





بيــان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر فى مطابعنا العربية المغربيـة سلكت الطريقة التى تعتاد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية : فأجعل الالـف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة : وكل حرف ليس أمامه الف او واو او ياء فانه مسكن : فمثلا : تجد (تمنرت) فى اقـلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ، ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانـك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء : فاذا بـك نطقت بها نطقا صحيحا : وكذلك (ايديكل) و(ءازاريف) و (ءاكجكال) و (تيغمى) و (ءاقا) و(تامادولت) و (تيفنوت) و (تاكانزا) و (ايسى) و (تالبرجت) و (تيغرميت) و (تاكموت) و (أيليغ) و (الـغ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنهـا : وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لهـا : فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره ؛ فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل : فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم : فلم يبق الا الكـاف المشددة : وكـذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشـددة : وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان : كما يبقى لنا أيضـا مـا يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق. وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعنا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجتهد ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق







بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛ وأرهف الآذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الالسن باللغات؛ وخص كتابه الكريم بافصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها ألسن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من اقصى المشرق الى اقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا حتى صرنا ـ نحن أبناء الغ العجم ـ نذوق حلاوتها؛ وندرك طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونخوض امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن الا أبناء (امازيغ). فالانسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى امهاته، واللسان بما تتفتح له به المعاني الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا ـ معشر الالفيين ـ هي لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بانفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحربيليين والوفقاويين والمجاطيين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربي؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان احسسنا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيبين للشيح والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاورونا من أبناء الشلحيين الاماجد .

---

(1) النبع: كفلس والغرب : كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام :

تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير ارض وان لم تكن الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء قبل ان يكون مخصوصا في مباءة الحق للعرب الخلص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فاوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من قلبين فالدونيسيبة الى هذا القطر المغربي الذى نكون نحن ـ أبناء الغ ـ في أقصى ذنبه الذى هو ذنب الطاووس ـ فيما نرى ـ ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى تركيزا؛ ثم لم تقدر اربعة عشر قرنا ان تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التى تفتح القلوب باللسان العربى وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيل من دبيرى؛ وميزت يمينى من شمالى بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتنى العربية بإثمدها، وأذاقتنى حلاوة معانيها الطلية فانشتنى بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر أختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) في فجر حياتى؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛ فأخذت بحكاياته التى تدل على ما لمدنية العرب في بغداد ومصر وما اليهما من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميرى وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادى؛ والصفوة ـ وهى الكتب التى طالعتها في حياتى الاولى في الغ وما الى الغ من اقران واغشان ـ ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ اقبلت بنهم الذى لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عينى كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أى كتاب سنح؛ ولسان حالى ينشد قول ابن المعتز :

قلبي وثاب الى ذا وذا ... ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ... ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حللت بفاس أتى الوادى فطم على القرى (2)؛ فبدلت أخلاقا غير التى عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

---

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا ... حتى يكيل تراب الارض بالقدم

(2) مثل عربى، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادى؛ وطم الماء على الشيء: اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة؛ ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بمل، فيها :

لي همـــة عاليـــة فذة طموحها ليس له منتهـــى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتـلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فاعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولامتي التي هي امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آذاب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به أن الذي كنت أسبح فيه منذ صغري ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يغثا غلة ؛ ولا يقضي على لهفة .

ثم لما ابت من فاس، وقد المت بالرباط، حيث احتقبت أيضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم اقع عليهـا الا في الرباط وفي مشايخ الرباط، حللت بالحمراء وقـد القيت فيها مرساتي، وأنـوي أن أقضي الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا في جانب ذلك اناغي اليراع فيما عسى أن يرفع من شان هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراهـا اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عن أعمال كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعددت له من المراجع ما لو تم بها لكان ــ فيما كنت أقدر ــ صنو (عصر المامون) حجما واسلوبا والافادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انفى الى الغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتني فجاة امام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هنـاك بهـذه القصيدة التي المت فيها ببعض لعب الولـدان الالغيين؛ وبذكريـات اول شبابي ؛ اتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم ــ بني امي ــ ائيب ركائبي فياليت شعري هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طـوالا وذا انـا اعود كان لم اغد ــ قط ــ بغائب

---

(1) اليهما ائيب؛ كسرا الهمز فالثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكـــم ... ورجماى هذا اليوم احدى العجائب(1)
كأن لم يكن الغ بلادى التى بها ... سموت به فوق الذرى والمناكب
كأن لم يكن اصل ومنبت نبعتى ... ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبـــى
كأن لم تكن لى ارضها خير مرتقى ... سربت صغيرا بين شتى المسارب
وروض وصال قـد تمتعت برهـة ... بازهاره بين اللمـــى والذوائب
الا الدهــر بشر والحيــاة مسرة ... وروض الامانـــى مستهل المعاشب
ويوم الصبا يوم ضحوك كانمـــا ... تغــازل صبــا سافــرات الكواعب
نهارى حبور ثم ان زرت مضجعى ... فاطيب بحـــلم مستـلذ المشارب
فليل هناء والنهـــار سعـــادة ... وعيشى طليق الوجه عذب الشائب
تناغينى الآمــال من كل وجهـة ، ... مناغـــــاة أم الطفل مهما تلاعب
فامى واختى لا تريدان غير مـــا ... أريد جناه من جميـــــع المراغب
اشير فيوتى لى بكل الـــذى اشا ... وان كان مجنـــاه مناط الكواكب
فاحسبنى بالامر والنهـــى اننى ؛ ... امير على اهلى وكل صواحبـــــى
تطارحنى نفسى المنى فاظـل فى ... خمائلها أجنـــى ثمار رغائبـــى
فلـم ادر الا ان انال المـراد كـى ... اساجـل اقرانـــى بكـل الملاعب ؛
فاسدر فى ميدان لهوى واننـــى ... ساخالـ ذكاء قد علت كل ثاقب(2)
اجول كما اشهى واجرى كما اشا ... واسحب ذيل سحب سكران شارب
الاعب اترابى فنغـدو الى المسا ... وما ان درينـــا كيف مس المتاعب
نظل عـلى فر وكـر كأنمـــا ؛ ... تلاطم ميدان الوغـــى بالكتـــائب
عـلى قصبـــات شققت جنباتهـــا ... ولكنها من تحتنا كالشوازب (3)
نجيل اذا جلنا بـــها فـى اكفنـــا ... عصيا نرى منهن امضى القواضب
فتصعد والنقع المثار مطنب ... كما اعترضت فى الجو سود السحائب(4)
فنجرى ولا تدرى المجـل بيننـــا ؛ ... واى نظام بين خيـــل الملاعب ؟
نحاول تنظيما وسرعان ما ترى انـــ ... ـــتثارا كوهى العقد فوق الترائب
والفصل يوم عندنا يوم نغتدى ، ... حفاة بجرى المذكيات السراحب(5)

---

(1) صدف عن الشيء: مال عنه .

(2) السادر: الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء بضم الذال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس

(3) الفرس الشازب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم التى يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها .

(4) طنب بالمكان: اقام فيه .

(5) المذاكى من الخيـــل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛ وفرس سرحوب: طويلة.

وقد انعمرت ربع التقالم بيننا | والبلت الصبيان من كل جانب
وصرع بين القريتين تضارب | فدارت رحى الهيجاء بين المقانب(1)
وفرقع في الميدان «الد» وصوتت | «تزبا» وخاض الحرب كل محارب(2)
وقد جالت الاحجار فوق كانها | عصائب طير صادمات عصائب
وقد زجلت اصداء سرعتها كما | تصل قطا عطشى سرت للمشارب(3)
وقد علت الاصوات منا ومنهم | فكل يعاني ان يرى جد غالب
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد | تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
ونابت ايادينا عن «الد» واختها | وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
يلز قرين قرنه حين يبتدى | تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
يغالب كل قرنه فمجندل | على الارض او جلد امام المغالب
اذا بعضنا صرعى . وبعض ازاءهم | وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب(6)
فيحتدم الخصمان حينا فينتحى | ذوو الرأى منا نحو صلح مقارب
فيأتمر الجمعان ان يجعلوا الذى | مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
فتراب بالصلح القلوب اذا بهم؛ | عناق كأن لم يلتقوا في المعاطب ؛
كان لم تلطخ بالدماء رؤوسهم | فسالت على أعناقهم والمناكب
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم | باحجار «الد» الجائيات المواهب(7)

---

(1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة .

(2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا ــ بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع التضارب بين الصبيان .

(3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظمأ. فكان لها صليل أى صوت.

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها | تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

(4) الذمر بالكسر: الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحاريب جمع محراب؛ المبالغة في الذى يحارب؛ واسقاط الياء في مثل المحاريب قياسى؛ فتقول: المحارب .

(5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:

وابن اللبون اذا ما لز في قرن | لم يستطع صولة البزل القناعيس

(6) اصله التلابيب. ولببه: اخذه بثيابه من فوق صدره.

(7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل في الاكفان: كانت امراة عربية تسمى منشم تبيعه؛ وهو تعبير جاهلي. ومن معلقة زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما | تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

نروح جميعا بالوئام الاربــــا ، … وان لم تكن فى اهلنـــا بالاقارب
الى لعبـــة اخرى فنفتح بابهـــا … جديدا بشوق الصب نحو الحبائب
لعبنا الى (الاسدا،) نمضى وتارة … لنحو «ضما» نثني زمام الركائب(1)
وطورا الى (شلوك) افضـل لعبـــة … لنا حيث يدمي القرص كف الملاعب(2)
وآونة نغـدو الى الاختــبا فـــان … نفتش نفزع فى المخابى بضاغب (3)

* * *

كذلك نمضى يومنا مرحـــا فلا … نصيخ لجوع لافح النـــار ناصب
فلا نتقى بـــردا ولا نتـــقى حفـــا … ولا نتقى ليلا بطىء الكواكب (4)
ولا نتقى الاكمام والحجر لا و ـ لا … (اقلمون) فى جمع الثرى للالاعب(5)
نجىء بقمـص كالزهـــوز وننثنـــى … بدكن كاسمال الثكال السلائب (6)
فان غمغم الاهلون فالامهات فى ؛ … مناغاتنـــا او ضمنـــا للترائب ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلن من … نضار اليرنا بين سود اللوائب(7)
ونصبح ايضا عـــود بـــدء وهكـــذا … قضينـــا ءويمات بغير مراقب ،

---

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه اللعب بالحصى؛ وهى المسماة: (ءاكنترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.

(2) شلـــوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصا يقرص على ظهر كف من غلب فيها .

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء وفتح الواو المشددة وسكـــون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبـــة يختبىء فيها الصبيان؛ فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احد المختبئين فيفزعه؛ وهو الضاغب، ولهذه اللفظة الغريبة تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما يأتى .

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلينى لهم يا أميمة ناصب … وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(5) أقلمـــون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو مـــا يسمى بالقب للجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما .

(6) السلائب والثكالى بمعني واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال الثياب الخلقة .

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الفية. وهو احمر اللون كالنضار: الذهب .

وليس لدينـا من لغاتهـم سوى !   ليوث اطلسوا من صدور الكتائب

اذا ماسمعنا الهمس من صوتهم فلا   تسل عن قلوب في الضلوع ذوائب

مساورة مـن مشبل وسط خيسه   اخف علينا من ملاقاة طالب (1)

عبـوس المحيا قمطرير كانمـا   تجهمت السعلاة في وجـه هارب

فلم يدر الا البطح فالهشم ان تصل   عصاه بنا كالنمر بين الثعالب !

او اللكم والركـل المضى اذا وثت   يداه بعبل من حبال ازاغب (2)

تسر الرشاكـى تستـدر ليونـة   لو ان الصخور الصم درت لحالب

فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا   الـد زمـان لم يمس بشائب

ولكنـه ادى الثقـاف صلابـة ؛   مؤيـدة بالقرص من كل جانب

فتبصرنا تحت الذقون كانما   يحاول ضـار خنقنـا بالمخالب

فرضنا على رغم الانوف ومن يجل   بقوانه سوى جميع المصاعب (3)

فمر بنا عام فعـام فبدلت   ضرائب منا سذج بضرائب (4)

وطـاف بنا عقـل جديـد فحلقت   اماني اخـرى لاغتنام مـآرب

بدت من سماوات المعـارف برقـة   اثرنا لها ـنرتادـ قود النجائب

راينا المعالي كلهـا في مرادها ؛   فطرنا اليها بالنفـوس الرواغب

فغادرت الـفا والشبيبـة غضة ،   ووجهي وغصني مثل ابيض قاضب

اريغ العلا بالنص فـي كل فدفـد   تضل به الخريت شتى المشاعب(5)

اعرض حر الوجه نحو سمومـه؛   فيكسوه من الواب سود غرابيب(6)

وجبت الجبال الشامخات؛وخضخضت   سراب البطاح الفيح هوج ركائبي

فطمت بالحمراء حينـا وسابقت   من ابناء فاس آونات سلاهبي (7)

وطورا اراني في الرباط وقد طمت   عـلى غيوث الهامعات السواكب

فافرغت في هاتي وتلك وتلكـم   جهـود مجد في التفوق راغب !

---

(1) اسم الطالب يطلق في الغ على استاذ التعليم في المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذي له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.

(2) العبل: الغليظ. وحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب الفاسي من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن .

(3) ريض الفرس: اذا وطىء للركوب. ورضنا بكسر الراء.

(4) الضرائب: الاخلاق.

(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشيء: طلبه .

(6) غرابيب: اصله غرابيب؛ وفي القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.

(7) الافراس السلاهب: الطويلات .

وشغل الوحيد الدرس في كل محفل ... دروس بـدر خالص المواظب ،
فاجثم فـوق الركبتيـن كأنني ... ربيئة قوم جائم في المراقب (1)
اليد عن ذاك الشوارد تارة ... والقي لذا طورا ببحث مجاذب ؛
فيوردني الاشياخ بحرا غطمطما ... أغوص بـه حتى تغشى ذوائبي
ويجلسون ابصاري بفكر كأنـه ... صباح تجلى من سجوف الغياهب(2)
فابصرت نـورا مشرقا متلالئا ... تنظم منه جزعها يـد ثاقب (3)
فابت بحمد الله في حالة – اذا؛ ... تنقصتها أثنت عليها حقائبي (4)
عرفت قبيل من دبيري بها ومـن ... درى حالتيه لا يحر في المذاهب
وصممت ان اقضي الحياة جميعها ... واني بعيد عن دنايا المشاغب (5)
لعلمي ان المـرء حيث توقفت ؛ ... به النفس في آرائـه والمذاهب
وان نفيس العمر خيـر ذخيرة ، ... تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
فملت الى درس المعـارف معرضا ... عن العرض الفاني المر العواقب(6)
فالامر همي كله حـول نشرها ... أصيره غـايـات كـل مطالبي
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا_ ... يحس بان قد حل بين الاجانب
كأن كان عن جداتـه وصحابه ؛ ... واترابه في مهـده غير عازب ؛
ينال من التبجيل ذكرا كأنـه ... زهور نمت بين الصبا والمذانب(7)
ويضفون اثواب التجلات فوقـه ... الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويؤثر بالشيء النفيس لديهـم ... ويشكر أن يقبله من يـد واهب
فمن تره منهم تر البشر نيـرا ... عليه. كانـوار النجوم الثواقب
كأن قطوب الوجه لا يعرفونـه ... فلست ترى من بينهم اي قاطب

---

(1) المرقبة المحل الذي يراقب منه العدو ومثله. والربيئة: الطليعة للجيش أو المرفقة .

(2) السجف: الستار .

(3) تلميح لقول ابن الطمحان :
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(4) تلميح لقول الشاعر :
يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ... ويرجعن من دارين بجر الحقائب

(5) يعني بالمشاغب: مشاغب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم في العرض الفاني لا في المعارف. وامر الشيء ومر . اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول .

اذا اوقدوا نارا وشبوا وقودها ... فما هي للعاشي سوى نار غالب(1)
يجلونني في حضرتي. ثم انا غب! ... فليس الثنـاء الرطب عني بغائب
امن بعد ذا ياأهل (الغ) الاهـان! ... نسيت بهـم اهلي وكل أقاربي ؟
فها انذا في اليوم غادرت قطرهم ... ودارت ببيني دائرات الـدوالب
فهل اجد المالوف منهم لديكـم، ... فاحسبني ثم اغـد عنهم بعازب ؟
فاني انكت العيش يومي بالفكـم ... والفى أنا ايضا زمـان الملاعب
وقد انكرت عيناي منه وانكرت؛ ... رباه سبالي واستطالـة شاربي ؛
فقـد غيرت مني ومن جنباتـه ... نوائب تترى تاليـات نوائب ؛
فقد عهدت مني رباه غليمـا ؛ ... نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
فعاد اليها اليوم كهل تعرقت ؛ ... جوانبـه مستأسدات المصائب
كأن خطاه في المسير خطـا الذي ... تمشى بكبل في شفيرالسراديب(2)
ربـوض بمثـواه فليس بناهض ... لغير ديو ن تقتضي في المحارب(3)
كأن عاد في الرهبان يقفو قفاهم ... ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
كذلك أنا انكرت (الغ) وارضها ... وحال رباهـا والبطاح الاجادب
تنكبتها حتـى تنكر جوهـا ... على واعلام الصوى والمذاهب (4)
أرى جوها في بهرة الصحو باهتا ... كأن جللته قاتمات الغياهب (5)
أذلكم (بردى) الذي كان حقبـة ... اذا احتفل النوار مغنى الكواعب(6)
وهذا (أمقسو) شامخا فكأنـه ... مدارج منها يرتقي للسحائب (7)

---

(1) فيه تلميح لقول الفرزدق في جده غالب من قطعة:
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت ايديهم نار غالب

(2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:
اذا ما علت منا ذؤابة شارب ... تمشت به مشى المقيد في الوحل

(3) يعني الصلوات .

(4) الصوة: ما يجعل من الاحجار في الفيافي لتعلم به الطرق؛ وفي الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق .

(5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى في القاموس .

(6) بردى بفتح فسكون فدال بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ .

(7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكو نالقاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقي .

وهلى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا ... كذروة فحل اشرفت فوق غارب(1)

فاين (فهى) و(العنصر)العذب ارشدوا ... اخاكم وقودوه لتلك المثاعب (2)

لا نقع من تلك المشارب علتـــى ... فعهدى بها من قبل أحلى مشارب

معالم كانت فى زمـــان طفولتى؛ ... مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛

وعهدى بها مسكية الترب، والصبا ... شذا، ونثير الدر بين المحاصب(3)

اذا وجهها فى اليوم اجـرد كالح ... تصرصر فيها معصرات الجنائب؛

فلله الـــغ يوم ذاك فانهـــا ، ... حدائق رفت بالحقـــول المعاشب

اجر بهـــا شرخ الشباب واننى ... خلى رخى البـــال بين اصاحبى

وأما أنا فى اليوم فالطرف شاهد ... بحاضر حالى مستشف لغائبـــى

فمن كان فى سنى يرى مثل ماأرى ... وطاف به ما طاف بى من غرائب

وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس ... مكللـــة بالمجـد تحت العراقب

فاجـــدر به ألا يهـــز فؤاده ... جاآذر ان عنت بزى الاعارب (4)

فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى ... وعن ذكريات قبـل عنه ذواهب

ففى همه المشبوب أشغل شاغل ... له عن مناغاة الدمى فى المسارب

اذا عمر الهم الفؤاد فهل تـــرى ... له لفتة للرائعات الرعابب؟ (5)

اشغل الا بى لا أبالك فى الهوى ... وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟

فلا كان حـــر تطبيه سوالف ، ... وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)

وا ولم يحل دون القريض الجريض ما ... كففت يراعى عن قواف صواخب

بنى الغ هذا صنوكم وعشيركم؛ ... يؤوب، أيغدو بينكـــم خير آئب

فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛ ... غريب المبادى والحجـــا والجلابب

فان تنكروا منه وينكر لديكـــم ... خلائــــق فالاغضاء أوجب واجب

فعما قليـــل يقرن الدهر بيننـــا ... فليس لزوم الطبـــع ضربة لازب

عليكم جميعا من اخ حل بينكـــم ... حلول السها بين النجوم الثواقب

---

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الغ وهى بفتح التاء والكاف وسكون النون وفتح الزاى

(2) فهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا. ومثعب الماء: مجراه.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الطاهر الافرانى فى ارض الغ

أرض ثراها عبير، والنسيم شذا ... والماء راح، وكالياقوت حصباء

(4) تلميح لقول المتنبى:

من الجآذر فـــى زى الاعـــاريب ... حمر الحلى والمطـــايا والجـــلابيب

(5) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة

(6) اطباه : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكـــم وفاحت لديكـــم طيبات المناقب،
بعمكـــم يا آل الغ فانتـــم جميعـــا أوداني وغـر أقاربي ؛

خاطبت الالغيين بهذا النوع من الشعر العربي القح، لانهم لغويون اقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتـــاج الى مراجعـة القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وازالة كل الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ. الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا علي بقصائدهم؛ فاجبت كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل أحاديث وذكريات كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب (الالغيات)؛ فلما شاهدت ما شاهدت خطر في نفسي أن أكتب حول تاريخ الغ؛ لاسجل ما يمكن من اثاره الادبية؛ واخلد ما يسنح من حياة عظمائه الذين أسسوا لمجده؛ وغرسوا فيه باعمالهم ما غرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخي البحاثة الاديب سيدي الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك حوالي عام: 1351 هـ. فثارت مني نعرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ في هذا المنفى؛ ووجدت بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علمـاء، وقوافي أدباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غير متساو في الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا. وهو (المترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس في العهود الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذي من تمامه كتاب (رجال العلم العربي في سوس)؛ وفي أثناء ذلك اجدني مقصرا في كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت في بنيات صدري: «لما ذا لا أخص اهل هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذي يضمها بين قراه الاخـــرى بكتاب خاص؛ يسهب في كل ما أعرفه عن (الغ) وذلك بايحاء بعض أهلينا؛ فلم تكد هذه الفكرة تخطر لي حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل ما يصلح ان يدخل في كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث مجالس الغ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت ـ بفضل الله ـ أن أقر عين الاخ البونعماني الذي هو ابو كل أفكاري في هذا الموضوع؛ وقد رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغية او سوسية ان اسمي الكتاب؛

« المعسول »

«في الالغيين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت ان اسهب في ترجمة كل استاذ او تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته، وكل من اخذوا عنه. ولا القصد - يعلم الله - الا ان افتح الباب لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التى تمت الى الغ بالاستاذيـــة؛ او بالتلميذية او بالصداقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك ايها القارئ تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛ لعلك تضمه الى التواريخ التى كتبت فى هذا العهد: عن (العويرة) بقلمى اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الركراكى الرباطى، وعن(مراكش) بيد شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديبالكبير سيدى احمد الزيانى القاضى .وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن (دمنات) بيراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوممولاى على الدمناتى. وعن (آسفى) بجهود البحاثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة (عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على الساوى. وعن (مكناس) بيد شيخنا ياقوتة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن (فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يغترف الا من وشل؛ وليسموضوعه الا بادية قاحلة؛ وأدباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحيى أن يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من أبناء بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيـــده غيره؛ فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات .

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز؛ وانت اشعرمنه؛ فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال قوله :

قد اثقلته حمولـة مـن عنبر	انظر اليه كزورق من فضـة

وقوله فى وصف زهرة آذريون :

والشمس فيه كاليـة	كـــأن آذريونهـــا
فيها بقايا غاليـــة	مداهـــن مـن ذهب

---

(1) قال حسان :

لذى جسم يروق وذى بيان	وقد كنا نقول اذا راينــــا
وحسنا مـن بنى عبد المدان	كانـسك ايها المعطى بيانـــا

فصاح؛ واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون بيته؛ وما ذا اصف انا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف اين يقع قول من الناس؛ فانشد :

ما انس لا انس خبازا مررت به — يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة — وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة — في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وبعد: فهذا جناى في هذا المنفى أقدمه للقارىء لقمة سائغة؛ واعتذر له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة في التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع من الزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تتمة ترجمة كيفما يتيسر؛ فحينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينا يحاول ان تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينا تغلب فيه فكرة الادباء؛ وحينا فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينا أكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور اعينهم الا في مجالاتها المعتادة؛ وحينا يجد هؤلاء ما يعدونني به من المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعمل؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لانني هكذا خلقت؛ نشأت في زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينا أبناء العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت مني مجموعة تضم كل ما اقتبسته من هذه البيئات .

فالله أسأل؛ أن يوفقني للعمل الصالح؛ وأن يختار لي كل ما فيه رضاه؛ فقد قادتني الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت على أن أكتب حول (مراكش في عصرها الذهبي) (فالله يعلم وانتم لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت .

وصف (إلغ) الجغرافي

بسيط الغ البعيد عن تزنيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛ تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يبتدىء الشمال الشرقي بجبل امقسو العالي القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكني اديان. فجبل توكال. فالجبل العظيم الممتد في كل الشمال الى (آيت وفقا) وهو جبل (الايفشانيين) الذي في سفحه (أيجض نتاكزين) ـ شعب العصر ـ ثم يحوط البسيط غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد أن

تمر ببصرك بمكان المدرسة الوافقاوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلع الالغيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (أكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبيه جبل آخر غير عال الا في ناحية (تاكانزا)، حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بثنية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (أكجكال) الى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جواد قرية (ايزربى)، حيث مدفن الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الغ من جهاته الاربع. واما حالة هـذا البسيط فانه اجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية اساياك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبلى قرية (تاحواوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام الممطرة من آبار؛ فتسيل فى الجداول، لكنها سرعان ما تغيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وا نكانت الارض تصلح للزياتين صلاحية ممتازة كما يقول أرباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التـــى يعتنـــى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حـــول الآبار؛ ثم ييبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه .

واما ما يحرثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحرث بعض اغنيائهم من آصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الغ الغربى والجنوبى يحرث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالغيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع الى فى الجنوب من بسيط الغ؛ اذا اخصب يكون كنزا

للمواشي الالفية؛ الا ان «بردي» في شمال الغ الذي لا يحرث كثيرا يكون من المراعي للقريبين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن .

وارض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفي صاع محروثة في الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتي عشرة، ولهذا يتعذر الاتساع في المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان أهلها هم الذين يسعون عليهـــا. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغذاء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب ـ وقلما يدوم ـ واما الهجوري (1) فمن تامانارت؛ يعني بالتمر. واما العشاء فمن ماسة؛ يعني بذرة ماسة التي تجعل منها العصيدة؛ كما هي العادة الالفية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجدب والاقلال هــو الغالب على من في الــغ؛ ترى أهل الغ يجدون ويجتهدون في كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أي شغل من أشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بابرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبـــة؛ أو بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكـــذا ادركناهم ، ولا أزال أستحضر أحد المسنين من أعمامنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو) .ورحم الله العلامة محمد بن العربي الادوزي الذي قـــال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما آنسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين .

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرات في كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبي .(2) جمع في مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبي نزل في الغ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاغشانيون والوافقاويون؛ ولعـــل محلا يوجد الآن في وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان ـ اغرم أكليد ـ كان منزل الذهبي اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاى الرشيد مر بالغ في سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايليغ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبيرعبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل في الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكل) .

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التي تجاور هذا البسيط؛

---

(1) الهجوري بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .

(2) نشرناه في كتاب (ايلغ قديما وحديثا) .

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الغ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحربيلية فان لها بعض القرى الالفية: ايكل؛ آيت الحسن أعل؛ اكني اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الغ؛ قرى اغرابو؛ دو تمزوت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى اكادير وايو - تونين - ازار أوعيسى - ازربى؛ فهي من قبيلة أمانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزرى) .

قرى (إلـغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب ، فالتي في الجنوب او كالجنوب :

١ - تافكاغت من ايت وافقا

٢ - الزاوية من دوكادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد

٣ - آل سليمان من دوكادير منهم ايضا. ويقطن معهم بعض الحربيليين الذين هم اصلاء في القرية

٤ - تيبيوت القاسمية من المرابطين وحدهم .

٥ - تيبيوت الواوكرضائية: من المرابطين وحدهم. وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك

٦ - تاحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .

٧ - تافراوت كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

٨ - انويدر كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التي في شرق البسيط هي :

٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطي واحد .

١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطي واحد .

١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطي واحد .

١٢ - ازار اوعيسى من الامانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطي واحد.

١٣ - ايزربى من الامانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا

١٤ - ايغيل وامان من الامانوزيين ايضا

والقرى التي في الشمال او كالشمال هي :

١٥ - ايت الحسن أوعلي من الاغشانيين .

١٦ ـ ايكل من الايفشايين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما •
١٧ ـ اكني اديان من الايفشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
١٨ ـ توكال من الايفشانيين •
واما القرى التي في الغرب فهي :
١٩ ـ ذوتمنروت من الوافقاويين
٢٠ ـ اغرابو من الوافقاويين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
٢١ ـ تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت
هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين في قبيلة ال عبد الله بن سعيد التي كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذهالشهرةعلى لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون في الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلكالقبيلةوتلك الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقــط رؤوسنا نجد في انفسنا ما يجده كل البشر في مثل موقفنا :

بلاد الفناها على كل حالــة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كمــا تولف الدار التي لم يطب بهـــا هـــواء ولا مــاء ولكنهــا وطـــن

بسيط اجرد قفر نزاحم به تفكها ـ بهذا الكتاب ـ اهل دمشق ولبنان واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل ـ من قر عينا بعيشه نفعه ـ

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغــالب ان عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلكيعلم انغالب مانذكره عنالالغيين منالعادات لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل وندر ؛ والعادات تدخل كل ناحية من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلكنجدكثيرين من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد القو لالجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما في حنايا صدورهــم • فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بيــن عند كل من يزن بتمييز ولا تنطلي عليه البواطــن بزخــاف الظواهــر ولا بتمويهات الالسن (ولا ينبئك مثل خبير) •

نحن هنا لا ننظر الا للواقعالمعتاد من غير أن نزن بميزان الشرعولذلك نحكي ما كا نللتاريخ وللعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم ؛ لان التاريخ كالمراة تبين كل ما يقابلها كيفما كان .

عاشوراء

اعتاد الالغيون أن يعمد بعضهم في عشية التاسوعاء الى الغثاء الذى تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فياخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعار واعواد صغار فيبخرون به الديار في صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا اول ما نفيت الى الغ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحث عن مثل هذه العادات، وكذلك يعمد في سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم في ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اهراء الزرع وحظائر المواشي .

وفي ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قريتهم فينادون ـ فيما زعموا ـ على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبنون هناك احجارا في محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفي صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر • من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتنسكين يحرصون على الاثنتى عشرة خصلة التى ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح راس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذى ورد في حديث حسن وقد رأيت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصي بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون في ثمنها بضمان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مغرس ذنب كبش عيد الاضحى الذى جعل قديدا يعطى في يوم عاشوراء للراعي وهو ياكله في ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحية على دور السنة في ديارهم تبركا به

١ ـ وهذا مما تشارك فيه الحواضر الغ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يوكل يوم عاشوراء• الا ان اهل الرباط وفاس ياكلونه انفسهم• واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة• لان الرعاة اولى به• لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعي

هذا ولا يحتفل بهذه المواسم في عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين ـ وحاشاهم ـ فانهم لا يزالون ضد هذه البدع ·

ليلة المولد

في الغ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاهما تعمر في ليلة المولد النبوي، فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملأ مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الغ ان يحضروا في تلك الليلة التي تنزل فيها بالتغني على السنة المنشدين قصائد البوصيري من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هنالك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقيها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية :

بسرح الخفاء وصرح الوجد ... وبدا الذى ما خلته يبدو

ومطلع اخرى همزية :

راى برقا بكاظمة مساء ... فامطر مزن مقلته دماء

ومطلع اخرى وازن بها البردة :

بطيب ما نقلت عن جيرة العلم ... ريح الصبا يشتفى قلبي من الالم

واخرى وازن بها (بانت سعاد) :

دع عنك لومي فما التعذال مقبول ... (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)

واخرى مطلعها :

سرى طيف سلمي فسل ما اثارا ... اثار دموعا واورى أوارا

واخرى مطلعها :

بارق الرقمتين جد ائتلافا ... فجفوني القرحى ابت ان تلافى

واخرى مطلعها :

اذا اشيمت الارجاء من آل هاشم ... بوارق غيث من رباءال هاشم(1)

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهي عشرات سنذكرها في ترجمته ان شاء الله

---

(1) شام البرق : اذا لمحه · والال : السراب · وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت ·

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من التججبيات اللائي لا يحضرن في ملعب احواش تنتحي وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض - ويسمى عندهم احمــال - فتقف ازاءه فترقص رقــصا متواصلا، وهي تغني بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدى نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يملي شروطه والغالب ان تكون تمــال كل من فى دار أهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب، ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الــذى يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما أعدوا للزوجة مع ماأتى به الزوج كالشرط أويهدى للزوجة أو قدمه أهلها لها، فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلى وما اليهما الثمن الخاص ، فاذ ذاك تكون المعركة فيغالي في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفــرق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتني الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصداق مــن الدراهم هــو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي، ولذلك لا يذكـر فــي الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج ، هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا مــــن دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال، واذذاك تخرج العجائز

اللاتي يجلون العروس باغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يغرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلختمت ـ نسبة الى الخاتم ـ ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك. وقد كان الشيـــخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء فى اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى ان العروس تجلى تحت الظلام وفى صبيحة الجلــوة يذهب بالعروس الى اقرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء فى اناء نحاس يكون من جملة ما تاتى به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلب سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولا مـــن الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه . هذا والالعاب تقام فـى دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتى مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج. وعهدنا بعرس الفقيه سيدى المدنى لما تزوج من الايفشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاية باهل الزوج . وقد يتعنت احيانا اهل الزوجـــة فيابون ان يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلا مملوءا بالحلى ليعلموا ان بنتهم حلت فى دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانـه ثم بعد اسبوع تزور العروس أهلها. ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتى اهلها ـ ولا بد ـ اما بثور او كبش. ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله. وعند حلق رأسه بادىء ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئا ما .

العقيقـة

ترى النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كـل ذنوبـــها فيحرصن على ان يزرنها فى الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيـــق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعى النساء للحضور فى العقيقة كما يستدعى الزوج ايضا الرجال وفى صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا اغصانا من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) ـ وهى خبزة كبيرة يغطى مخبزها فيوقد تحتها وفوقها ـ وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبـح الكـبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من فى الـدار وتحرص النساء على ان لايغفل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلـك يسبب

محبة الولد • وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفلة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لنظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا ـ خصوصا القروش المربعة التومرتية. واراها كثيرا في قلائد الصبيان الالغيين ـ ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعي الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرءان والطلبة دائما في الـــغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعا لشأنهم على العوام

الحذاقة

متى ختم التلميذ القرءان تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستديـــر باواخر البقرة ـ آمن الرسول الى آخرها ـ ويذهب مع التلميذ كل طلبـــة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القريةويزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالغيين مقتصدون لفقر بلادهم •

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعاء ببيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميـــذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تانعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقةبآيات من القرءان ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملهـا احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذى يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرءان وحملته •

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران. واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة. فقراوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي، فيغشن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وه لإبراهيم خليل الرحمن! اي الشودة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

أدركنا الالغيين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان لجني اللوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك في تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر في الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فاليوم لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس في بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالغيين همة معلومة مذكورة في اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس في يوم واحد لكثرة البغـــال التى تجمع وليبس المدروس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتقض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لي الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول في سقى قريتنا: دو كادير؛ منذ عقله من نحو 1280 هـ. فذكـــر العجب العجاب الذى ادركنا نحن بعضه .

الجنائز

انْ مما اختصت به الغ ان لا نياحة في جنائزهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هنالك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا أمثال هذه المواقف، فلا تحس الا لوعة في الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة في العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل في الشبكة، ولا يعرفون الآلـة الحدباء التي ذكرها صاحب (بانت سعاد)(1)؛ ثم يصلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن انثى وان طالت سلامته — يوما على آلة حدباء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقن الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختتم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترم الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد الثكل المحدة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولاتكتحل ولكنها لا تترك الغسل والاغتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاثنان .

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادركناها لتعجب القارىء من حدادة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سملالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحلي السوسي له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي ـ صناعة ممتازة ـ فانها مثبتة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعلنا نؤدي له حقه مرة أخرى.

نعم ان الذي يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالغية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالغيين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالغيين .

الحدادة

توجد الحدادة في قرية (دو كادير) في أيدي اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكل) من القرى الايغشانية؛ كانت فيهم ايضا ثالثة. والعادة ان الحدادة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاريثهم او في صنع حدائدها وما الى ذلك اجرته على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحدادين الالغيين من يسمى : بعلي ؛ وآخر أوشنا لقبان لهما . وقد درجا الآن وتركا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالغيين الادباء هذين اللقبين فورى بهما في هذين البيتين :

وكم عانس بكر تخطت زواجهـــا
الى ان غدت تقلى وتشنا لدى الاهل

اذا اصبحت نادت الا ليت لى نرى
من (اشمنا) لديهم والرواح الى (بعل)

وحدادو (ايكل) امهر واكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التى تتخذ — حديثا — من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لخفتها وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها .

النجارة

اما نجارة المحاريث مقابض والمعاول والمساحى؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن الموذن الذى مات اخيرا فى قريـة (دو كاين)؛ والفقير بلقاسم السوقى الواققاوى؛ واما النجارة المتقنـة فى الابواب والنوافذ والاخونة والموائد ؛ فانها فى قرية (ايكل) وهى الآن فى اولاد موماد فانهم من احذق من هناك فى صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التى تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين فى كل دائرة (تافراوت) لا فى الغ وحده .

الدباغة والحذاءة

اشتهرت قرية (تاحواوات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ فى داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهى حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرص كل الالغيين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص أن يدبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا اوجرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه فى داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه من جبل (أمقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ايركل)• وفى جبل امقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات .

وما قلناه فى الدباغة نقول مثله فى صناعة الاحذية، فانها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتى؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتى ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكانزا) التى تطل على الغ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطى بعض الساق؛ اشبـه شىء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده فى (تاكانزا)

الاكافة

الاكـاف حلس البغل او الحمار ؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكـادير)

الفقيه ناصر المتوفى اخيرا؛ وابن العربى؛ وابن عموا فى قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم اهلها لاحتياج كل ذى بغل او حمار اليها؛ ولها ثمن، حتى أن الاكاف قد يصل ثمنه الى الف ريال واكثر الآن 1358 هـ.

الحبالة والشباكة

لكل واحد من الالغيين يد صناع فى فتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيخان سيدى الحاج على. وسيدى على بن عبد الله. ـ وهما ما هما ـ يبرمان بايديهما ما يتوقف عليه العمل، حين يقفان على اعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان تلك الحرفة وابرامها وفتلها هى من صناعة الوافقاويين، فلهم حذق فى صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجواليق والزنابيل، وفى صنع الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس فى اوقات الشتاء فى الطين. وقد قال بعض الالغيين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقاويين :

خلق الله للحرير اكفا	وأكفا لصنعة الحلفاء
حرفة الالغيين فتل حبال	وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتيحوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لفتلة حبل	والسعيدى لفتله البلغاء

نساجة الصوف

اشتهرت الالغيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتحن فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بتور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف فى الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

---

(١) هذا اسم قرية فى بسيط الغ، وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة فى قبيلة املن.

(نابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالغيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عنـــد بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تثلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التنمية للمواشي سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجدبة فيستنتون فتذهب مواشيهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالغيين ما ت بعضها لمن هم أقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائي لخروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجل في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لي عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت في قبائلهم في الحوز؛ أوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابي :

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل برداء عيش اغبـــر
اوما الى الكوماء هـــذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحري

لكنني في الحقيقة اعذر القوم. فانهم في بلد مقفر. لا يمكن أن يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزازة التامة ـ وقد كدت آكون كذلك الآن ـ ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعذل المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة في جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون في الحوز ومـا وراءه ؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين في القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالغيون في عرض جماعتهم هذه في هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين مـن الذين يجيدون الخياطة في اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدي محمد بن الحسن التياسيتني؛ والسيد علي الاحطيوي من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرهما في اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالغيين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما .

---

(1) ظفار كحذام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبني على حكاية .

الرفـادة

اذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل انواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى؛ (تاغزديست) وكثيرا ما اتعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصرى رفا لى ثوبا فى المدينة المنورة فى حجتنا 1365 ه. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار فى المغرب فى رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذى يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مالوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى فى الاحذية فانها ترقع حتى ينمحى الجلد الاصيل احيانا ؛ وكل ما يعاب فى بيئة قد يعد مالوفا فى بيئة اخرى .

الخزافـة

لهذه الحرفة رواج عند الالغيين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب ان يصنع كل واحد فى داره عشرات او مآت من الاوانى قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون فى دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقى يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكـــن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعقيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون .

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالى، ذاك للرجال، وهذه للنساء؛ وقد ينتجعان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكنى قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنـــه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او فى (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين .

---

(1) فى هذا الطيلسان قطع شعرية لشاعر. وتوجد فى كتـاب (زهر الآداب) الحصرى .

معدن النحاس

اتتلا ترى أن لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدلا الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المنن فان في كدية ازاء قرية اكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم أو من أذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ اجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدى اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا ان ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل . وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير ان يوخذ رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين .

العلم والتدين والاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولمكانة الغ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون أبناء الشيخ عبدالله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالي عام؛ 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ ــ ويجدها القارئ في ترجمة الشيخ أمامه ــ ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سريرته بالانوار. وقد كانت في الغ مدرستان قبل؛ احداهما في (ايزربي) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل في ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التي كانت منذ اسست بايدى السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضيء حينا بثويرة من العلوم؛ ثم تنطفئ احيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق ان يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1297 هـ، حتى صار المتخرجون منها تطمح بهم الظروفات وتتموج في سوس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالغي؛ ثم في ابن كرير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليمة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: « لانعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية وللادب الواجب الا الالغيين». هذا مقا م الالغيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الغي ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لايزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلي منهن؛ وياتممن بالمسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدي بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل ونسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار باذكارهــم من قبـل الفجر؛ وعـادة الالغيين التبكير في اشغالهـم ، فكـل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للمتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الغ حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالغي على كل حال تجده غالبا متفقها في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة – وان لم يكن الا عاميا – لمصاحبتهم للعلماء .

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبعقيليين والحربيليين والمانوزيين ممن لايردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقيلي او حربيلي؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوي السلاح؛ ولا من ذوي عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة :
ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

فانما تكاة كل قوي؛ ومرعى لكل صارع؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاليها او بمقيليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى ان جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فامكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبائل، فتستطيع ان تتملص ممن كانوا ياخلون كل اسرة باتاوة فنفعهم الاحتلال من هذهالجهة ـ ومصائب قوم عند قوم فوائد ـ .

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فبه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما، ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتي، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1) .

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذي لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضياف من ذبح الكباش وقلي الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابي. وقدور راسيات؛ فان بلدهم القفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من أمكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفشاني؛ وكالفقيهين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالغي، ثم بعدهم الرؤساء من ايت وافقا وايزربى وسيدى المدني واخينا سيدى محمد؛ على أن الغ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى علي بن عبد الله في طليعة القبائل التي تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز للهمم الى ان توفي عام: 1357 هـ. ثم خلفه في ذلك شيخنا سيدى الطاهر الإفراني الذي ما فارق قط الصف الاول في المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذى علمت سعد) .

اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الغ المتقدم الفقار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تثمر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون في هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ أو عصيدة ملتوتة من دقيق الذرة ـ ان أتى بهـا مـن افران او ماسة او

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوي دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامراة وردت عليهم تسمى جهيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبه، فقيل: قطعت جهيزة قول كل خطيب، فكان ذلك مثلا.

تامانارت - او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ، ان غالب الالغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛ ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فى الطعام العام الا الكساكس المسنمة فى القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت الحرث فانه يوجد :

من قبل ان ترشف شمس الضحى   ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛ وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغداء والعشاء - وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكساكس؛ هذه هى المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار ال صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايغشان ان كان عندهم اضياف (1) والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان كان متسعا الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد، فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائه ولا لمن فى زاويته من المنقطعين؛ هذا ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاى فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما فى كل اسبوع، بعد ان كان غالب الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذبيحة يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم نكن نعلم فى صغرنا من يدوم اللحم فى دارهم الا دار الرئيس الايغشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد الله؛ ثم تتلوهما دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى شهرا او اكثر لا نذوق مرقة . والشعير هو عماد المعيشة ؛ ولا يعرف القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع وتحكى كالنوادر؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايغشان ومجاط، فيدور به البدالون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهة يوما؛

(1) بات الاديب البونعمانى سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايغشانى فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتنكبت العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايغشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل هذا الاديب، لو احتفل به وعرف قدره .

وقد راى بعض الناس يريد ان يشترى تفاحا لالفي!

فكه مصاحبك الالفي مسا الفت	لهاه من (اكناري) شمالك فاس
لا تتحفنه بتفاح فشهوتــــه	في غير ما يشتهيه اكثر الناس
يعيش في فطرة البادي الذي مرنت	يدا ه من مسك محراث الى الفاس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فدع	تلك التفافيح للمصري والفاسي
لذائذ البدو في الاذواق اطيب من	سوالهـا منظرا وطيب انفاس
فلـذة المرء في عاداتــه ومتى	تجووزت فظـلام قاتم عاسي

والخبز عند الالفيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة التي تجعل في المخبز. ثم تغطى بغطاء المخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى (توفديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظي بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر. وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل شيئا فشيئا في الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبذ؛ وهو افضل ما يوكل في الغ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران الذي يهيأ للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الملة للرعاة، وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفي) وهو مطعم الرعاة في مرابعهم؛ وقد يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذي ذكر في بيتين ينسبان لليوسي؛ وهما :

أرى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث في الصيف إغْدَ إِقِّي(١)

ومن كـان هكـــذا فلست ارى له
دواء سوى أكـل العصيدة أو (بُقِّي)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم في الغ؛ فترى السميد وخبز الحوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاواني المتنوعة. ولا تكاد الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شيء.

فهكذا دبت الحضارة الى الـغ بمطاعمها وبفرشها من الزرابي والحشايا والكساء الحسنة؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى البناءات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدي محمد اول من اتخذ

---

(١) اغد اقي ، معناه : انهمر .

السيارة بالغ عام ١٣٩١ هـ، ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضا. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاه الرئيس على الايغشاني وبلقاسم المانوزي وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقاني؛ والتاجر سيدي عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستحلي ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد في بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوي على الحنيذ. وخبز السميذ؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذي يستدير بسكرجات السمن والعسل واملو ـ طحين اللوز ـ زيادة على القصاع المكللة لحماء المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين أن يقدموا اولا زبديات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يثني بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلث بشراب الاتاي، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية في المطاعم .

وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف في بعضها غير خاف عن ذوي الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم في البسيس ـ واللفظة عربية فصحى ـ وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فبها يجازي معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدي صنع يوم ختمتي ثمانين لقمة قدمت في قصعة عود؛ فيتناول كل من في زاويتنا من الفقراء لقمة لقمة. والبسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقلي؛ وهو الذ. والمذنه قيل يوما في مساجلة مع المرحوم سيدي موسى بن الطيب ابن العم :

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس ... تطيب به في المضغ كل نفوس
صناع يد لتنتــــه لنا فكـــان من ... اخاير ما قد ذاقــه كل سوسي
فمن ذاق منه لقمـــة خال انــه ... يمس سمـــاء من مكـــان جلوس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا ... ازاء بسيس مثـــل ذا بـتنفيس

وقيل في أملو :

املـــوا علينا من حديث (أملو) ... ان حديث (املـــو) لا يمـــل
تمزجـــه بالعسل المصفـــى ... مع سفنـــج في الخوان صفـــا

(١) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدي بلقاسم الذي تاتي ترجمته في الفصل الثالث .

ناخـــذ من هذا وذاك اخـــلة   طيبـــة تأتى بكل لـــذة
ومـــن اتى الغ ولم يبتلـــع !   من هـــذه الاكلة لم يستمتـــع
ومـــا البساطيل بهـــذا الباب   ازاءهـــا الا مـــن السراب

ولشيخنا سيدى الطاهر الافرانى يمازح رفيقه الاديب سيدى العربى الساموكنى؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايغشانى الالغى:

ان الموائـــد انت مـــن شجعانهـــا   والزرد حرب انت من فرسانها (١)
لله درك فارسا يفرى بـسيـــ   ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
ويفك فـــى قـــعر الطواجـــن ظفـــره   اسرى الدجاج تقاد فى ارسانها (٣)
واذا كررت علـــى الطبالـــى كـــرة ،   اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
وتزج فى بحـــر المكايـــل غائصـــا   فلك السفنج فتنثنى بحسانها (٥)
وتعوم فى جمع من السادات فى   نعم همت كالسحب فى نيسانهـــا
حادث بواكفها يـــدا بحـــر النـــدى   فـــذ العلا طـــرا سنا انسانهـــا
خير الاحبة احمـــد وابـــوه مـــن   شاد المكارم فى ذرى غسانها (٦)
فرد مكارم مجـــده اعيـــت علـــى   اعشى البلاغـــة أو عـــلى حسانهـــا
لا زال فـــى شأو المكـــارم جاريـــا   طلـــق العنـــان الى مدى احسانهـــا

وفى سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليمانى، عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيلت هذه القصيدة التى نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو ثلاثة شروح الغية .

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الـغ أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

---

(١) الزرد المقصود به معناه العامى الـذى هو الـزردة المعلومـة حفلـة الطعام ؛ لا معناه العربى الفصيح

(٢) اخسان بكسر فخاء مسكنة ؛ لفظة شلحية معناها : العظام

(٣) الارسان جمع رسن : الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها

(٤) الطبالى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلـــق فى الغ عـــلى الصينية ؛ وفى الرباط على الخوآن ؛ والكاس تجمع على اكؤس وكؤس ؛ وأمـا الكيسان فلم نقف لها على أصل

(٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الغ الزبديات والسكرجـــات يجعل فيها السمـــن ونحـــوه

(٦) يقصد بغسان قبيلة ايغشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالعصد ـ وهو عود تلت به العصيدة فى مطبخها ـ لتا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر فى اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى بانـــاء اللبن، واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كـــان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبثق من حوض الزبـــدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاعق فى ماكل الغ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكـــل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال فى المؤاكلـــة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذى وصف فى القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريحية الادب :

لمـن جفنـــة قــد اقبلت تتالـــق — تلوح بـــلالأ العصيـــدة يبـــرق ؟
مسنمـــة حتـــى كـــان سنـــامهـــا — شماريخ طود لم يكد يتسلق (١)
وقد فغمت منها الخياشيم نكهـــة — تطيب بها كل النواحى وتعبق(٢)
أهذا أريج المسك أم نفح روضه — أزاهيرها تحت الصبا تتفتـــق ؟
نعم انها من غير شـــك عصيـــدة — من الذرة المعطار ان كنت انشـــق
وعهدى بانفى ليس يغلط شمـــه — فيا طالما شـــم البعيـــد فيصـــدق
الم ترها كالثغـــر أشنب باسمـــا — وللشنـــب البـــراق فيـــه تالـــق
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛ — متى جال فيها لحظ غرثان يشهق(٣)
لها قمة فى وسطهـــا حوض زبدة — (كجابية الشيخ العراقى تفهق) (٤)

فيا ليت شعرى من تحط أمامـــه — فيوضع فى الاطراف منها ويعنق (٥)
ويخبـــط فيها باليـــديـــن كانمـــا — تخبطه وسط الدجنـــة أولـــق

---

(١) الشماريخ ج شمراخ : بالكسر رؤوس الجبال ؛ وتسلق الجبـــل طلع عليه ؛ وتسلق الجدار :

(٢) الخياشيم، ج، خيشوم : ثقبة الانف ؛ وفغم العطر أنفه ملأه .

(٣) الغرثان : الجائع :

(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله :

(نفى الذم عن آل المحرق جفنة) .. وفهق الشراب فى الكأس ـ اذا سال ـ من جوانبه لكثرة الامتلاء :

(٥) الايضاع والاعناق : الجرى وسرعة السير :

(٦) الدجنة : الظلمة ؛ الاولق : الجن :

يشـن عليها غارة مشمعلـة   بلقم اكول امن ليس يرهق (١)
فيالك على تلك العصيدة كلهـا   اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحي اني السعيـد فانهـا   تحط امامي والرجاء مصـدق
فيا طالما اجرى احاديثهـا وكـم   اعرض في نطقي بها وارقق (٣)
فاني لمنهـوم اليها وللحشـا   الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فها هي ذي عندي فيا بطن ابشرن   فعمـا قليل سيلها يتدفـق
فذى نهمتي جاشت اوارا تحرقـا   افي كـل يوم نهمة تتحـرق ؟
افي كل يوم فرصة مثـل هـذه   افي كل حين لي جراز يفلـق (٥)

* * *

دلفـت اليها والعيون كانهـا   نطاق حوالي ركبتي تحملـق (٦)
حللت لها طوقي وزحزحت معطفي   والقيت عني ما بـه اتمنطـق
فاغسل حـتى مرفـقي فربمـا   ستعمل ايضا معصماى ومرفـق
وهل فاز في اشغاله غير حـازم   يؤيـده عزم اذا هم يصـدق ؟
وهل فاز باللـذات الا الـذي اذا   تأتت له اللذات يفري ويخلق (٧)
فانفض نفض المعجلين فلم يمـل   الى فوطة هم بتلـك معلـق (٨)
وهل يذكر الانسان امثالها سوى   اذا لم يكن أمر حواليه مرهـق ؟

---

(١) الغارة المشمعلة : المنتشرة على الاعداء ؛ وارهقت الانسـان عن عمله : اعجلته عنه .

(٢) الحديقة الغناء : المزدهرة ؛ والارض الجرداء : لا نبات فيها ؛ والسملق القاع الصفصف لا نبات فيه ولا أشجار .

(٣) التعريض والترقيق : اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح بـه ؛ ومنه المثل : « اعن الصبوح ترقق »

(٤) المقصود بالسيل : ملتوت العصيدة باللبن .

(٥) الجراز : السيف القاطع ؛ وهو بضم الجيم .

(٦) دلف الشيخ في مشيته : مشى مشية المقيد .

(٧) خلق الصانع الاديم : اذا قدر كيف يقطعه ؛ وفراه قطعه ؛ وفي المثل ما كل من خلق يفري اى ما كل من قدر الاشياء يتمها كما قدرها

(٨) الفوطة : مريلة فصيحة ؛ والاشارة بتلك الى الجفنة .

وما اذا الارصاك عن قربهـا تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق(١)
وادلى الى القعب يطلع رائبـا كغـرب ملىء ماؤه يتدفـق (٢)
وللمحـض فيه نضرة وتلالـؤ كمضب على متنيه لمع ورونـق
وما اثرت فيه الوطاب ولادنـا الى أريه المبيض ارعن يمذق (٣)
ولا مخضته العانسات وقد بـدا لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
وتعلوه امثال القباب سميكـة زجاجيـة لماعـة تتألـق (٥)
فآخذ منه حسوة بعد حسـوة كما يحتسى الفحل الذى يترمق (٦)
وما القصد الا ان أبل مصـارني والا فهمى ما اليها احـدق (٧)
وأن تغتدى بدء الفتوح لحملـة تغرب فيهـا غـارتى وتشـرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجـدر به اذا تقدم ان يحظى بفـوز يحقـق
فاعلن باسم الله أن حانت الوغى ومن كان محفوفا به ليس يزلـق
فاحفر فى حرف العصيدة حفـرة موسعة كالحوض او هو اضيـق
واجعل فيها يمنـة ثـم يسـرة سدودا صحاحا عاليات توثـق
فاملأها محضا فاجدحهـا كمـاء يهيىء طينا مشمعل محـذق (٨)

---

(١) تدلق السيل : اندفع :
(٢) القعب بالفتح : القدح الضخم ؛ وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن ؛
قال : تلك المكارم لاقبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا :
والغرب بالفتح : الدلو الكبيرة ؛ وهو مذكر ٠
(٣) الوطب بالفتح : جلد اللبن الـذى يمخض فيه ؛ والارى العسل ؛
والارعن : الاحمق ومذق اللبن بالماء : مزجه به :
(٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من الممخوض ؛ فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
(٥) المقصود الفقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب .
(٦) ترمق الجمل الماء : يشربه قليلا قليلا ؛ وكذلك يقلل فى اللبن
(٧) الضمير فى اليها الى الجفنة :
(٨) جدح السويق : لته ؛ ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
والمشمعل : الخفيف الظريف؛ والمحذق ؛ الذى تخرج فى حذق عمل حتى أتقنه

اخضخض فيها خضخضات بهمة ... تكاد لديها جلدتى تتشقق
وانى فى امثال هذا لباذل ... جهود مجد فى المهمات يصدق
فاجدح ما فى حفرتى جدح عازم ... وسبابتى فى جانبى الحوض تبثق (١)
الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة ... كما بان طرف واسع الجفن ازرق
اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى ... وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
وقد رصصت فيها الانامل كلها ... فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
اطلطها حتى اوسعها وهل ... يبلغك السؤل الاناء المضيق ؟
فتأتى وتمضى كالدلاء تواليا ... وللسيل فى وسط اللهاة تدفق
وللشدق صوت كلما صب وسطه ... كما يجد المخنوق روحا فيصعق
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنما ... تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا ... بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
فابقى ولاء هكذا واناملى ... بمنحدر حينا وحينا تسلق
وما فتئت جدحا وحملا كأنها ... عفاريت تزجى حملها وتخندق
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه ... ولى بعد اغذاذ امام ومعنق (٥)
وبطنى ينادى هل هناك بقية ... فما من معى منى بذلك ضيق ؟
وهل من مزيد فالعصيدة هذه ... الذ واحلى من رحيق يروق ؟
فكان جوابى فى سيول كأنها ... سيول الروابى والسحائب تفدق
ورائب قعبى فينة بعد فينة ... يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
وقد وسعت تلك المجالات فاغتدت ... بسائط لكن ليس فيهن مورق
فلتاح قبل الجدح والمحض مائج ... وبعض لقيمات عليه تفرق
كبحر شديد مزبد قد تفرقت ... زوارق شتى فوقه وهى تغرق
وانى أوالى حملة بعد حملة ... كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

---

(١) بثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء :

(٢) السطل عربية فصيحة ؛ وهو الاناء الصغير للماء ؛ ويستعمل الآن فى كل اناء ماء يحمل باليد ؛ وهو مجاز مرسل :

(٣) الذنابى : الذنب نفسه ؛ والابلق : الفرس.

(٤) فرق يفرق كفرح يفرح : خاف :

(٥) والمقصود بالحوض : حوض الزبدة ؛ والاغذاذ والاعناق : الجرى :

(٦) الاخرق : من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛ فاذا اراد ان يحمل مزادة الماء افلت فاها فيندفع الماء :

فتنسف هاتيك الجبال جميعهــا وتعلى صياصيها ويفتح مغلق (١)
الى ان ارى الفتح المبين وانثنــي على شبع والجوع خزيان يرمـق
ولم يبق الا جولة وحدها لــكي يلمم ما يبقى هنالك ملعـــق (٢)
فالحس كلي ثم اغسلها وقــد رسا بى على سيف الامانى زورق(٣)
فاعلن حمدا خالصا من طويــتي لمن كان يعطيني النعيم ويــرزق
فان يطعم الفالوذج الحلو فتيـــة وبسطيلة جماعة مـا يعـرق (٤)
فانى بحمد الله عندى عصيـــدة من الذرة الغـراء اولى واوفـــق
فقد برئت من كل زور ولم يطف على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
فجاءت بما لم يات فيما اتى به الـ ـمقنع فيما قاله والمحلـــق (٦)
ادام لنا الله العصيدة ما غـــدت مصارين بطن الجائعين تنقنق (٧)
وما سالت الارياق ان عن ذكرهـا وطـاف حواليهــا ثنـاء مخلـق

* * *

المشروبات الالفية

اذا كان الحضرى يجد بين يدى ترفه وبين يدى غناه من المشروبات المتنوعة مـا يجـد؛ من شراب اللوز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛ ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلـو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب وابرد من مـاء الحواضـر المثلج؛ وما رآى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة :

ألا ليت لى من مـاء الـغ مروقـا من الخمر قد سموه ماء على غلط

---

(١) الصياصى : الحصون .

(٢) الملعق : الاصبع التى يلعق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة الباديين الى الآن .

(٣) سيف البحر : شاطئه .

(٣) سيف البحر : شطئه .

(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر وأمثالها :

(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل :

(٦) للمقنع الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون التى عليه : وفى جفنة لا يغلق الباب دونها مكللة لحمـا مدفقـة ثردا

وأما ما قيل فى المحلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته :

نفى الدم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

(٧) تنقنق : صوت؛ كنقيق الضفادع .

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض السخ الفقيرة الجرداء من الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسبيل .

ثم ان مشروب الغ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد! وقد دارت قواف كثيرة حوله فى مناسبات! فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الغ البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى الشحرا بقصائد كثيرة (1) فقال هو :

هذا وانى قد رايت رجـــزا ... موشحـــا محبرا مطـــرزا

قد دار بين سيدين احـرزا ... خصل المدى فى الفضل لما برزا

كلاهما لدى الصيـــال بازل ... متـــى سطاعنا لـــه منازل

هما هـــلالا هالة الاكـــرار ... سلالتـــا الخيرة الابـــرار

سيدنـــا محمد ابـــن احمدا ... من صار فى قلب الحسود كمدا

وكفؤه سيدنا عثمانـــا ... من قد حكـى نظامه الجمانا

تجاريا فى حكم أمـر حدثـا ... من صنع تشحير الاتاى عبثا

فعابـــه الاول عيبا قادحا ؛ ... فيـه ورده الاخـير مـادحـــا

فبان لى أن اجرى الفكرة فى؛ ... فصل القضيـــة بقول منصف

فاعلم بان صنعة التشحير قد ... أحدثهـــا ذوو المجانة فقد

اما الطباع المستقيمـــة فلا ... ترضى بان تفعلها او تقبـــلا

لانهـــا تسخم البـــرادا ... وربمـــا تفسده السبـــادا

والكاس قد شرط اهل الظرف ... فيهـــا النقـاء وصفاء الظرف

لذا تغالى الناس فى ماعونـــه ... وبذلوا النفيس فى شؤونـــه

وزوجه اذا غلا اسهك مـــن ... حوت رماه البحر صيفا فنتن!

وشرط طيب الكاس طيب الارج ... فضده اذن تمـام الحرج !

اذ ما تنافس ذوو المفاخر ؛ ... فى العود والمراش والمباخر !

فما زوال الهـــم والتقطيب ... الا بمـــرأى مبهـــج وطيب

كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛ ... كـما استحال لونه وشمه !

فهـذه فقط ثلاث حجج ؛ ... بينة مثل الصباح الابلـــج

وكلهـــا حسيـــة طبيعيـــة ؛ ... وبعدها رابعة سمعيـــة

قال فتى الظرف ابو نواس ... وهو كما قيل امام الكاس

فى وصف خمر «لم يشنها الطاهى ... بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

---

(1) يوجد بعضها بعض تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فهو كما سمعت سمي الطبخا	شيئا فهلا لتيمن الشيخا
ان قلت ان قولـــه في الخمر	قلت ومثلهـا الاتاى فـادر
فالقصد أن الطبخ شين الكاس	بالنص والاجمـاع والقيـاس
فصـح أن صنعـة التشحـير	قذي بعين الانس يا سميري
لا هـم الا أن يخـاف البـرد	جدا عـلى البراد اذ يشتد
او اقتضاه سبب فلا حرج	اذن عـلى ما كـان فيه من عوج
لكن على السداد دون نفخ	بقدر ما يسخن دون طبخ
فالبرد أيضا يفسد الشرابا	ويغلـق الشهـوة بابا بابا
نص عليـه جلـة أكيـاس	وكلهـم في زكنـه ايـاس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالغية : نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب أثر من آثار نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛ فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالغيات يطبخنه تيمنا ودرءا للعين والجن؛ ولذلك يعمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي بالعادة الوحيدة التي تصنع ليلة اول السنة؛ فاتذكر أن الناس يحرصون على ان لا يبيت اي واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبت في داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة .

الالبسة

الذي ادركنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف وسراويل الصوف ـ ويسمونها التبان ـ وعمائم الصوف، وذلك لباسهم صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون على أعاليهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء والعلماء وائمة المساجد؛ وفي الشتاء يلبسون الخنيف ـ وهي لغة فصحى ـ ويستورد من (ازانيف) مكان في الاطلس الكبير الموالي سوس، وقد لبست انا ـ ما شاء الله ـ خنيفة غليظة تحمر ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس الى ذلك غالبا السلاهيم من الصوف المسرج بالغ المعروف بجودته ولم تدرك عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ماانقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمـــه؛ ثم جببه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا فى ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد .

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر عـلى الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض فى البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التى ما كن يعرفنه قد دبــت اليهن لبسنها وشيكا، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهويـــة والسلاهيم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومى او البزيوى قد صار اكل الآن ياخذ مكانته بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ دبيبها .

الفرش

ما كان يعرف الا الحصر التى تستورد من قرية (أمتضى)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها فى الطى اكثر من بقائها منشورة تحت الناس ؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر من جلود الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابى الا فى عهد آبائنا فى دور قليلة فى الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن واقل القليل جدا جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة فى الحواضر من المضارب والزرابى والمخاد الا نحو دارين؛ على أن ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة .

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الامام والمؤذن - غالبا - وقارىء الحزب،

والحزب يقرا في الغ عل القاعدة الناصرية؛ تتبع الاحزاب الا في عشايا الخميسات فيقرا الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم بالشهر؛ ويقرا سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية تقسم الهمزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة تقرا وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع ؛ خصوصا المجامع التي يحضرها اهل الخير، تحتوى على الصلاة الابراهيمية؛ ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ ثم الصلاة الابراهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولاريب ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور في العهد الموحدى، ولكل طرف منه أساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ ـ وتكون دائما عشية الاحد ـ تزاد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجـــال والنساء الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتي اهـــل الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران الغ توجد احباس لهذه الختمة .

أما كيفية التدرير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المغرب ضبطا وتكرير السور وغسل الالواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر نصفها الاول؛ الذى كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التي كانوا حفظوها الى الهاجـــرة؛ ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميــــذ؛ وتكرر المحفوظات الى العشاء؛ ومن عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله، لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الغ البيضة الواحدة في الاربعاء وقرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما. ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة من البيادر بعدد معلوم من الآصع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤونته بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجوري ولا لهلة (١) في الغ؛ وقد ادركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها المنار؛ وعاقد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين ٠

المعتاد في المدرسة الالغيـة

كان سيدي محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الغ عام: ١٢٩٧ هـ٠ مجددا فاسس في الغ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ في المدرسة بعد ان يحفظ القرءان يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوي؛ ثم اللامية لابن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقاقية؛ ثم المنهج وفي الرمضانات لا يقرا الا الحساب والفرائض والبخاري، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة في كتب الادب بينهـم يبتدئون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالمواهب المدنية ثم لايزالون يترقون الى ان يقعوا بعد ان يشدوا في نفح الطيب الذي هو الكتاب العالي عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرأ في ايام الدراسة تفرغا للعلـــوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريرية، واما المعلقات والطغرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرا في العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا ؛ والمعتاد ان يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهــم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ في حفظ الشواهد والابيات التي تستطرد في الدرس؛ ثم يؤاخذهم الاستاذ بالحفظ لعدد من الابيات في كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة في عشايا الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين في غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات في كل المتون التي يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم في الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التي تقرا جماعة قبـــل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين في اللوحات؛ ينقلون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بألسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه في القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون الالفيــة اولا بشرح السيوطي ويتلــو التلاميذ المكــودي مناوبــة ؛ ثم بشرح

(١) اللهلة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا، فقد قال اعرابي لاناس : لهلوا ضيفكم .

الاشمونى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحفـــة بالتاودى والتسولى ؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشى ؛ وللاساتـذة الذين مروا بالمدرسة الالغية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بهـا : فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الالغيين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمـر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتى احدهـم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحيى الصغير أن ينبه الكبير ان لحن فى اعراب او فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فاسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ التطوانى فى وجهى كنصيحة أن لا أتسبب فى معاداة الناس؛ فياللعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الالغيين وكشيخنا سيدى الطاهر ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحى أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات .

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ فى هذا الميدان؛ وللالغيين ابيات سقيمة يفتتحون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان رجزا تقدم له ارجوزة فى أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ... الخ ومن ابيات الطويل: قول حسان فيما اظن فى الرسول:

له همم لا منتهى لكبارهـــا

وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمـــة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالغيـــة من بينهـا قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع .

دور المرأة الالغية

قديما يقـــول الحضريون: (المراة الفاسية؛ امراة وتجارة؛ والمراة البدوية امراة وحمارة؛ والمراة المراكشية: امراة وخسارة) .

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غـير قليل فهذه المراة الالغية ككل نساء تلك النواحى؛ هى التى تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها فى الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البير بالقلة على ظهرها تاخذ القلة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابى الغ حيث لا يزال الشيح الذى

هو الوقود الوحيد للالغيين! فتجمع منه ابالة عظيمة تنظمها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب ان ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فان النساء الحاطبات يرجعن بالاغاني يتداولنها باصواتهن الرخيمة! ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهيء الغداء ان لم تكن طبخته صباحا! ثم تمخض وطبها! ثم تنقى طحنها للغد! ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتى بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقر! ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهى التى تتول ذلك! وزد على ذلك ان تتعهد مغزلها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهى التى تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تمـــلا نهارها! ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها فى دارها مسمع المسمع من المسجد، والمراة الالغية هى سيدة الدار حقا ـ فهى الخازنة وهى المتصرفة فى الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولـو لـم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف ـ؛ والطلاق فى الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط، من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: ان المراة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراى) اى اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما فى خارج المنزل، ومجمل القول أن المراة الالغية تقوم ازاء زوجها الذى لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم فى الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا فى النادر الذى لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق فى المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصا ايـام الجمعـة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان .

الامثال الالغيـة

ان درس الامثال التى تطلق عفوا من الالسنة هو عين الدراسة الفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم فى كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها منى الكولونيل المستشلح؛ (جوستنار) ففرنسها ونشرها فى بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة اخرى ونحن فى معتقل: (اغبالو نكردوس) فامليتها على الوزير الكبير اخى سيدى محمد الفاسى؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منثور ومنظوم؛ وقد فسرها كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التى جمعها فى الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفـــاء بها فى مجموعة الاخ الوزير المحترم .

الالعاب الالفية

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما العاب الصبيان فانها :

1 ـ الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانــوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم .

ياتي كل صبي بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد عــلا الحصيات؛ ياخذه اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمي ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيتلقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقــد خسر اللاعــب؛ فيعطــي الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتــه؛ يبتدىء اللاعب في التقاط ما انتثر أمامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمي الى الاعلى حصاة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصاة أخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد أن لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد أن يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى أن يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمــت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكتترن) .

2 ـ شلوك ـ لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى في باطن كفه؛ فيسال صاحبه: أشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب : (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربـا
اخنس يحنــي ظهـــره اذا مشى
الزور او مـــال اليتيم عنــده
لعب الصبــي بالحصى خسازكا

3 ـ ضما ـ لعبة أشبه شيء بالشطرنج؛ الاان شروطها أخف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق .

4 ـ طابت العصيدة ـ لعبة الاختباء يختبيء صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المخابيء ثم ينادي احدهم بالشملحة؛ طابت العصيدة (لوانكلا) فيخرج المختبيء فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب عل ظهره مليا ويدور به بين الصبيان .

5 ـ لعبة الحبل ـ وهي رياضة نافعة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو القوي.

6 ـ لعبة الحمل ـ يحاول الصبيان في أن يحمل كل واحد صاحبه الى غاية محدودة .

7 ـ رماية الهدف ـ يضعون حجرا مفلطحا؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز .

8 ـ صيادة اليمام ـ يحفرون حفرة وينصبون ازاءها حجرا مفلطحا غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحـــل بمجرد ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة أن يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطى الحفرة فيبقى هناك حبيـــسا؛ فياخذه صاحب الحفرة .

9 ـ لعبة الخيط بحجر ـ يعمدون الى حجر صغير قدر ريال حسني يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبتين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى) .

10 ـ الخلروف ـ لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا أحتاج ان اتكلف وصفها تفصيلا؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الراس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 ـ المضاربة بالفاطو ـ وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبـــة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمي بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 ـ المضاربة بالاحجار الصغيرة ـ وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمقلاع؛ والمقاليع على نوعين : نوع يسمى (السدى)

واخر يسمى ليزيبا يصنعان من الحلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا ان الاول يجمع مكان الحجر فيه، والاخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في حبل الطرفين .

13 ـ اللعب بالكرة ـ ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تخاط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط .

14 ـ المراماة بالماء يوم العنصرة ـ على أن هذا اللعب قلما يتعاطى في الغ كما يتعاطى في غيرها .

هذه هي الالعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالغيين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء ـ ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذى يعجب به ان رآه او سمعه في المذياع ويقام في الاعراس والاعياد والافراح، يديره رئيس يعرف ان يغني؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتي ارباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذى تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس ـ طاقات الحبق ـ وهو النبت الطيب الوحيد الذى يعتنى به في الغ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار ـ وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التي تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والغالب في الغ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من احواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ والاشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير .

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهـداف في عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب احواش؛ وكـان لبعض شيوخهم العظام سعي حثيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادت القبائل بتغريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعـاده جذعـا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

اما اغاني الالغيين في وقت الحصاد وفي الدراس فكلها أذكار وحكم

واستهانة بالاشياخ المتقادين عندهم؛ وهي لديهم معروفة بالتقاليد؛ وكذلك ما يتناوله في محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مأثورة يحفظها المسنون؛ وبالاجمال؛ ان عوائد الغ في الالغا بهي عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص ! بل هنالك عند غير الالغيين ازيد مما ذكرنــــاه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا، مع الاختصار في هذا القليل.

ما قيل في وصف إلغ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله ؛ ولكنني لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشوق اليه؛ او التشكي منه؛ وقد كنت انا نفسي صدرت مني اشياء من ذلك؛ فلأختر من كل ذلك مــــا يقارب الموضوع :

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخـــرة الادب الالـــغي ؛ سيدي الطاهر :

نسيم الصبا هبي بنشر ربا الغ	ففي نشرها للعاشق الصب ما يبغي
لعل شلوا لم تغادر يد النوى	به غير سمع الملامة لا يصغي،
يحن الى تلــك المنازل انها ؛	منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
وربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛	بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور أرضه	سماء حبا انوابها الفجر بالصبغ
اذا اشمست أرجاؤها قلت انها؛	فتاة على أعطافها صفرة الردغ(2)
هي السؤل والمأمول لوسمحت بها	يد الدهر لكن شيمة الدهر ان يبغي

وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة علي بن عبد الله استاذه الوحيد؛ من قصيدة مطلعها :

بانت فبان جميل الصبر اسماء	وانهل من سحب الاجفان انواء

يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفــــه من الجوى والدموع النار والماء :

ارسى باحشائه الشوق المذيب كما	للمجد في أرض (تحت الحصن) ارساء
ارض ثراها عبير؛ والنسيم شذا	والمـــاء راح، وكالياقوت حصباء
واربع طلعت فيها شموس هدى	فهي المنازل لا فرغ وعـــــواء
تاهت بواحدها الــغ فقلت لها	ايـــه فقد سلمت مصر وزوراء

(1) الفرغ : من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل. هكذا في اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى في الردع بالعين لا في الردغ بالغين. ولا ادري ما وقع لشيخنا مع انه يتثبت في اللغة .

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى :

اياساكنا ارضا هي الارض وحدها	بها ما يشاء القلب والاذن والبصر
اجل بلاد الله علما ورفعــــة	ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا	بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
فما شئت من عيش هنيء وحكمة	وعقل رصين لا تحوم بــه الغير
بهم ولهم عيشي يطيب ومرتجى	فؤادي وجودى معهم او يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان	تقاصر جودا عنهــم وان انهمر
ألا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛	بروك لديهم كى يزايلها الضجـــر
فابصر ايضا عيشة مطمئنـة ؛	ودهرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المــرىء لديهـم	فتضحى عيونى بالمنى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعدرى :

ليهنكـــم يا آل الغ مفاخـــر	فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم	تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛	الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا :

حى ربع الرباب من (تحت حصن)	منجـــدا زائرا لاوثـــق حصن
وبــوادى العقيــق فيــــه فعرج	بالمطايا واعمد الى خير ركـــن
واقـــرأن تحية مـــن مشوق	قـــاده لهواهم كـــل حين

وقال العلامة محمد يحيا الصحراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فمكث فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا :

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه	معنى وحصنكـــم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفـه	أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعــــلا	ترقوا معال حدها لا يوصف ،

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبيه بهـــا؛ مطلعها :

بالغت فى الارشاد يامن ينصف	اهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العينين بن العتيق الصحراوى :

يا آل (نحت الحصن) ان يلج النوى ... فبحفظ ودكم الفؤاد زعيم
لا زلتم مأتى الوفود وان دهت ... سنة ونأب من الخطوب عظيم
انا بلوناكم فالفيناكم ... ما منكم في النائبات مليم
لم تضجروا فطباعكم محمودة ... والعرض مما يستلم سليم
انتم مناخ بني السبيل وحيكم ... ابدا بقارعة الطريق مقيم
(ان امرءا جعل الطريق لبابه ; ... طنبا وادى حقه لكريم) (1)
فعليكم أسمى التحايا ما شدت ... ورق على ايك وهب نسيم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعمانى على قطعة محمد يحيا المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال :

لله ما قد هاج ذاك الموقف ... وعيون الغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهي في ... حسن اجل من العقود واشرف
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا ... ولكم بشعرهم المسامع شنفوا
ذهل المودع والمودع للنوى ... فكأنما دارت هناك القرقف (2)
حييت الغ فما أجلك مجمعا ; ... لوفود شعر أين من يستنكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا ... فيها عكاظا للنهى تستوقف
اهما الولاتى في الموات حدائقا ... غلبا بفكر في المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضه ... وعليه أعلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء الغ أغدقوا ... كرما وآدابا وما يستطرف !
هم اقعموا من كل فن أكؤسا ... للوافدين وبالنوادر اتحفوا ،
صف بالمفاخر الغ فهي جديرة ... وأنا بالغ في المفاخر اعرف

وقال بعضهم :

ابواب الغ لكل آت تفتح ... وصدور من يرجون منه تشرح
يأمن يؤم الغ قلوصك واقترح ... ان الحوائج منك طرا تنجح
فسبح ما أبصرته بسهوله ; ... كم كان فيه للتجارة مربح
ارسل لطرفك في البسيط عنانه ... فبسيط الغ كما تشاهد افيح
لا امت فيه لا اعوجاج كراحة ... مبسوطة منها المكارم تطفح
من ذللا؟استقت الطباع من أهله ... (ان الاناء بما حواه يرشح)

(1) بيت قديم مبدل، وهو هكذا في الاصل :
ان امرءا جعل الطريق لبابه ... طنبا وانكر حقه للئيم
(2) القرقف : الخمر .

وكتب الاديب محمد بابسه نزيل الـغ الصحراوي الى عميد الـغ سيدي علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها :

عرج بـ(تحت الحصن) يامن سادا
لترى بعينك في الورى أجوادا؛
وانزل هنا لك ما تشاء وطولـن
واطـل به التطواف والتردادا
واكرع بمعهده ورد اعلامـه الا
قطاب والاجراس والاوتـادا
وامكث هنالك ألف ألف راتعا؛
بل بله عنك الحصر والتعدادا
قوم تقفوا في صيانة مجـده
ما رد للآداب الغ عمـادا
الغ وما الغ تلافى مجـده
أبناؤه الابـاء والاجـدادا
فاقرا السلام على الفقيه وقل له
صيرت الغك للعلوم مهـادا
قبل يديه وأبلغن من خلـه ؛
أن التشوق لم يزل مـزدادا

كان قاضي (أقا) ورد على الغ فقابله أدباؤها بقصائد ترحيب ـ على عادتهم ـ فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها :

ما الغ غير شعوره في شعـره
أسعد بمن ظفرت يداه بـدره
بالعلم والادب البليـغ فخاره
ان قام كل في الندى لفخـره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا
بالروض يونق من تدفق نهـره
لكن له أدب تدفق نهـره
مدا وهل أحد راى من جـزره
كل البلاد لها كنوز في الغنى
وكنوز الغ جميعها في شعـره
ما الغ الا البحر يزبد علمه ،
والشعر افضل مقتنى من بحره
بل روض مجد خضلت جنباته؛
وشذا القريض تارج من زهره
فبه يرحب بالنزيـل فينثني ؛
بجرا حقائبـه برائع سحره
فاذا افاض الشعر الغي فقـد
أدى بما أسداه غاية شكـره
وبمدح الغ وتركه يدري الورى؛
من كان فذا في العلا من غيره

اصبحنا يوما في الغ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الغ بجباله يميس في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد الحسن بن علي الصالحي، وهو ناشىء اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم فكتب الي :

اهلا بوفد الخصب وفـد سماء
نالت به الغبراء كل بهـاء
حنت اليه وكابدت بفراقـه
ألم الغرام وصرحت بعنـاء
وتولهت حتى أتـاح لها الا لا
ه وصاله فتباشرت بهنـاء
نثر السحاب زمردا فتزينت
بعقوده وتبرجت للقـاء
فترى البسيطة كالعروس تبرجت
وتتوجت بزهورها كسمـاء

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا ... جهدا قد احتفلوا بكل ثنائه ،
هذا بفضل الله ليس بخيره ... نهج الفلا عباده وغنائه !
لولا النبي المصطفى ورجاله ! ... عند الإله لما سمى بالمساء

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم :

ما ذا راى من لم يكن بالرائى ... ثلجا يشع بلونه الوضاء
لا سيما ان عم حتى لا ترى؛ ... من لمعة في سائر الارجاء
والارض من أثوابه مياسة ؛ ... ميس العروس بحلة بيضاء
فكانما وجه البسيطة فضة ... مصقولة براقة اللألاء
وكأنما كل الثرى حبب الكؤو ... س متى يشعشها المدير بماء
او روضة ازهارها مبيضة ... مخضلة من مسة الأنداء
والجو صاف والسماء كأنها ؛ ... مرآة من تعتادها بجلاء
والشمس قد ألقت لدى اشراقها، ... بشعاعها الوهاج في الانحاء
فجلا بياض الثلج في برقانه ... حتى ليعشى أعين البصراء
انى التفت رايت أبيض ناصعا ... شرك العيون وفتنة للرائي
نهوى به لو كنت اجمع أعينا ... كي تحتظى في لمحة بمراء
لله وقت ضحى خرجت لنزهة ... ترتاد في البيضاء لا الغبراء
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛ ... لماعة الإنجاد والبطحاء
واليوم طلق والحياة مسرة ... والقلب مجلو من الاسواء
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت ... أسرارها بالطلعة الغراء
فوضعت فوقي معطفي والعقل لا ... يفتر صاحبه بصحو شتاء
فمشيت اخطو والبسيطة نضدت ... ساحاتها باللؤلؤ الوضاء
في جانبيها شامخات توجت ... منها المفارق باخضرار سماء
فكانني في صحن بلور وقد ؛ ... غطيته بكرامة خضراء (١)
فاجيل أبصاري اجالة حائر ... في تينك الخضراء والبيضاء
متنقلا بلواحظي مترنحا ... مما أرى من روعة وبهاء
واللب ماخوذ كأن طافت به ... أيدى السقاة بخمرة عذراء
فأقول ياعجبا أفي ذا اليوم يبـ ... ـقى المرء تحت الشملة الصماء
من ذا يرى النعماء هذي ثم يبـ ... ـقى بعد في الجدران تحت كساء؟
من ذا الذي لا يستفز شعوره ... ببسائط مبيضة زهراء ؟

(١) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) اى اناء وغطاءه .

أين القرائح اين ما يعتـــاده ان   يبهر عجيب أعين الشعـــراء ؟

* * *

أمضيته زمنا اجـــول واننـــي   فكه الفؤاد بهذه النعمـــــاء
متمتعا بمناظر ما مثلهـــا   من منظر، ما سامع كالرائـــي
وانا اميس ومحجني في راحتي   كيلا تزل الرجـــل في الارساء
حول بياض ناصع يقق ومـــن   دوني اخضرار طافح بصفـــاء
ما كنت أحسب أنني متهلل ؛   يوما هنـــا بملامح السـراء
حتى رايت اليوم الغا كلهـــا   بسهولها وجبالها الشمـــاء
قد جللت بالثلج يلمـع صافيا   كالثغر حين تبسم الحسنـــاء
فاهتز عطفي نشوة وأثارنـــي   ما يستثير خواطر الادبـــاء
فاحس من طيب الحياة وعيشها   ربا كان قد عدت للحمراء (1)

* * *

العادة في الغ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جـــاء الخصب والا فعكسه؛ فتاخر المطر في سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقيل في ذلك :

الغيث فـــي مـــارس بعـ   ـد ما انقضى الصبر الجميل
كالـوصل جـاء بغتـــة   من بعد هجران طويـــل
بينـــا ترى الجفـــاف يسـ   ـتولي على زرع الحقـــول
والورق الرقيـــق سيـــ   ـــم باصفرار وذبـــول
ولفحة السموم تـــر   مض البطاح والتلـــول
وصرصر الاعصـــار يهـــ   ـشم الفروع والاصول
واليـــاس يرسل عـــلـــى   اهـــل الفلاحـــة الذهول
اذا بمزن هـــامـــع   مسترسل الغيث الهطول
يحيي البـــلاد والقلـــو   ب بتمـــوج السيـــول
فتسترد الارض زهـــ   ـــوها من الزهر البليـــل
تلـــوح كالحسناء فـــي   مطارف وفي حجـــول
فاينما التفت أبـــ   ـــصرت قشيبا مستطيل
فكـــل حقـــل غـــادة   ماست تجـــرر الذيـــول
تبهـــر مـــن يبصرهـــا   تحت نسيمهـــا العليـــل
فالحمد للـــه الـــذي   روى بفضله الغليـــل
ورد للربيـــع بالـــ   ـــحيا رواءه الجميـــل

---

1) لا ينسين القارئ، أن القصيدة قيلت بعد النفي من الحمراء الى الغ .

ما البغ في شبه الربيـ ... سع شبه قفر ذي طلول
لجهـــم وحشيــة ... فلا مبيت لا مقيـل
جرداء لا روض ولا ... حوض بها لمن يجـول
لكنهـا فصل الربيــ ... ـع صا لارضها مثيـل
بســانـــط مخضرة ... يحوطها الجو الصقيل
فـاينما انتحيت منـ ... ـها تجد الظل الظليل
لا سيما عنـد الضحــى ... وعند زبـرج الاصيل
حييت يـا الـــبغ بهــ ... ـذا الفصل لا كل الفصول
فان يزل عنك الربيـ ... ـع فتحيتـي تــزول

ومما صدر عني اذ ذاك وانا في هذا البسيط الملون بين فـرح وحزن؛ فاقول كيفما تيسر : فمن ذلك :

يا طيب البغ في الربيع فـما ... لجـوه في طيبه من قسيم
ارجاؤه الفيحــاء مخضــرة ... تقابـل الطرف بوجــه قسيـم
فكلما اسمته نظـــرة ... اسمتها بين بسيط وسيـم
بموج بالصحة لست تـرى ... ذا علة هنـاك الا النسيـم
يفوز فيه رائـد العلـم ان ... فيه يخيــب حاطب او سميـم
لـولا ينابيـع العلـوم بــه ... والذكر ما زارته ذات رسيم
مدرســة جـوار زاويــة ... فجاور العالم فيه الدسيـم (١)
وان صقعـا مجـده علمــه ... لفالج القدح بمجد جسيـم

ومـن ذلك :

لله الـــبغ ومرءاها ومحياها ... وما يشم اذا حيث برياهـا
وما تحس به بين الشغاف وقــد ... قاربت ان تجتلي منها محياهــا
حتى اذا انكشفت بطحاؤها فـاذا ... البغ السماء التي تدري ثرياهـا
سماء افق المعالي من يطل عــلى ... آفاقها الفر حياهـا وبياهـا
خصب القرائح لا خصب المزارع ما ... في البغ فهو على الاماد محياهــا
ففكر البغ حيـاة للعلـوم ومـن ... أحيا العلوم على أرض قد أحياها

ومما قيل في وصف البغ وهو وصف حقيقي :

اوصاف البـغ متنافيــات ... عند القيـاس متناقضــات
ضـد لضد يتقابــلان ... كفارسين يتصــا و لا ن

---

(١) الدسيم : الذاكر

مناخها بجدبه المفتسر ... مباين لعلمها المفتسر
غير ربيعها بسيط يكلح ... صيفه وقت الشتاء يلفح
فلا نمت ارضها لاهلها ... الا كمت حزنها لسهلها
فكل من يزورها مرات ... بين فصول متفاوتات
لا بد ان يصفها فيشهد ... حينا يذمها وحينا يحمد
ان شرفت أرض بنيها فبنو ... الغ همو من شرفوا وزينوا
ومن اتى الغ فما اتاها ... وانما اتى بنى رباها
فانه من علمها سيعجب ... لكنه من فقرها سيكاب
فانها من جهة لمخصبة ... كما ترى من غير تلك مجدبة
مجدبة كما ترى حقولها ... لكنها مخصبة عقولها
فكم علوم من بنيها فائضة ... وكم بثار فى رباها غائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة ... وكم هضاب عندهم محجرة
روض الفهوم عندهم مزدهر ... وما هناك قط روض يزهر
خزائن العلوم دافقات ... ولا مياه متدفقات
قلوبهم فى العلم بين العين ... والشيح والحلفاء للعيون
منعهم فى الادب الاندلسى ... لافى الرياحين ولافى النرجس
فكم قصائد لهم عصماء ... بين بسائط لهم جرداء
وطيبهم من عرف (نفح الطيب) ... فى وسط ذاك الجرز الجديب(١)
فهذه الغ وذى اوصافها ... وارحمتا لمن همو آلافها
سبحان من يجعل فى الاضداد ... لحكمة منفعة العباد

ومن ذلك :

نعمة الالفى فتح ... لكتاب وسط داره
بين رشف الكؤس ... واصطلاء حول ناره
يتملى قابعا بيـ ... ـن التفافات ازاره
بنعيم كان فيه ... دفتر قطب مداره
والاعاصير تدوى ... فوقه أو فى جواره
فيكاد البيت ينـ ... ـك جميعا بجداره
جنة الغ وان حفت ... بأنواع المكاره

ومن ذلك :

الغ بسيط بلقع مقفر ... لا روض فيه لا ولا عين
تجول فيه ما تجول فلا ... تبصر فيه مونقا عين

(١) الجرز بضمتين : من الارض : التى لا تنبت .

شتاؤه سم زعاف لمن   يقطنه وان له كسن
يعصف فيه صرصر صافر   كأنما يقطنه جن
تشقق الاطراف منه وان   حوليك دار الصوف والقطن
وتجمد الصهباء من قره   اعظم مما يجمد الدن
حتى مياه المزن في افقه   تكاد لا يندى بها المزن
كم قرعت من قم قاصده   ندامة وحسرة سن
لولا علوم من بني الغ لم   تصخ الى اخباره اذن
ولا رايت قط من مبصر   الى تجاه ارضه يرنو
لكن قطرا زانه اهله   يعلو بهم بين الورى شان
هل البلاد غير سكانها ؟   بهم لها الزين او الشين

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك :

اذا احتفلت اداب من كان في الغ   تصاغ كما تبغي وفوق الذي تبغى
فاية ارض حول الغ متى شدا   من الغ بليغ بالقصائد لا تصغي
فالغ لكف الشعر والناس كلهم   شهود على هذا ؛ بمنزلة الرفغ
لئن كان قفرا فهو كالخد ليس في   جوانبه الا طلائع من صدغ

ومن ذلك :

الغ المعارف والاداب بلدتهم   لا الغ مال ولا الغ الامارات
من رام علما وآدابا وحل بهم   يقر عينا بآيات وآيات
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم   مجد القصور ولا مجد الرياضات
فالعلم حرفتهم والبحث شيمتهم   والفهم حليتهم بين النديات
ان تسألن الصبا عن زهر أرضهم   هبت عليك بآداب ذكيات

ومن ذلك :

الغ فردوس لمن منيته   صحة الجسم وجورائق
ونسيم مستطاب في المصيـ   ـف وماء مستلذ فائق
أي مصطاف عجيب لوبه   خضرة الروض وماء دافق
انما المصطاف أشجار لها   ضفة النهر حفيف شائق
فاذا اعوز هذان فما   بعد يهفو لهواه عاشق

كنت مررت في سفرتي الى (تامانارت) بوادي (ترت) فصدرت مني قصيدة في وصفه : ــ مطلعها

وضيق واد بترت طويل   كما امتد للماء خرطوم فيل

ثم شطرها الاديب الالغي سيدي الطاهر بن علي بن عبد الله باخرى مطلعهـــــا :

لك الفضل ترت على ما بــــه يخاطبـك اللوذعي الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعي من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهـــذه القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالغي سيدي الحسن بن علي بن عبــد الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

اتنثنى الـغ بــدمع يسيــل	كجدول مــاء بخد اسيــل
تنادى الاديب الاريب الـذى	تحلى بعز ومجد اليــل
جمال الوجود ومفخـــره	وكنز المحاسن لا لامثيــل
رئيس المعـارف مختارنا	شفـاء لكــل فؤاد عليل
تقول اليس من الحيف ان	تبجل (ترت) بذكر جميــل
اينشر ذكر لترت ومــا	حظيت لديكم ولـو بقليــل
وما ترت الا ممر يشيــ	ـب وينسيك أهلا وكل خليل
بذكـر ضيقـا ممر الصرا	ط اذا ما مررنا به في مقيــل
عـلى انني للعـلا محتـد	وأنتم سليل ونعم السليل
ولكن هجرت فاحفظني (٢)	ثناء لغيرى وحـقى جزيــل
اينسى بسيطـي ومـا فوقــه	وما يحتوى من سرى نبيــل
وما وسطه من ربا للزهـــو	روخير قرى يتلقى النزيــل
وما بين ذلك للزائــر	ين وما مهدوا من سواء السبيل
اتنسى علوم من النحو كــم	تسر مبردهـم والخليــل
اينسى نحارير في كل علـ	ـم هنا ما لهم من مثيــل
اشادوا المعالي وما فيهـم	سوى مستحق اعتراف الجميل
الا فانظرن يا ابن الغ الــى	مكانـة الغ المقـام الجليـل
ففي كل ناحية يستحـ	ـق الغ اهتبالا بكل دليل
وما الغ بين البـلاد ســوى	عزيز وما (ترت) غير الذليل
اينفى العزيز ويبقى الذليـ	ـل اذا كان في الشعر قال وقيل
الا غيرة منـك الغيـــة	فتنسف هذا الكثيب المهيـل
لعلك تراب ما قـد صدعــ	ـت لتشكر عن الغ في كل جيل
فالغ سرت تحت ذيل الدجـا	كطيف خليل سرى لخليــل
تراود انصافها بالقريض	منك ومن صنـوك المستطيل

(١) والقصيدتان في (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)
(٢) احفظه : اغضبه

فان القوافي لتنصف صبا ... تسارع الك وذاك الزميل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالفي ولا الادب العام

فقلـــت :

حنانيك الغ المكان الجميـــل ... فما لك بين القرى من مثيـل
اما كنـــت في بهجـة فـــذة ... اليك بها كم وفود تسيـــل
اما كنت روضا اريضا فمـــا ... يزورك الا نسيـم الاصيـــل
قرائح مـنـك يفجرها الـــ ... بيـان المروق بالسلسبيـــل
اينكر شانك بين القـــرى ... لدى وان لم يكن من دليل ؟
اما فيك شعر بليـغ تـــرى ... لروعته كل طود يميـــل
أما فيك علم تفننه الـــ ... فهوم كما جال سيف صقيـل
اما فيك صوفيـــة لهـــم ... عزائم مـــا لهم من عديـل
اما فيك ري لكل العطـــا ... ش فيصدر كل ببرد الغليـــل
ثراك شفاء لكـل فتـــى ... يزور مقامك وهو عليـــل
صباك تفوح بخلق بنيـــ ... ك تشـم كزهر بروض بليـل
فيا طالمـــا صح من شمهـــا ... الا اعجب لذى صحة بالعليـل
شرفت شرفت الى ان تشـــر ... ف حوليك كل قبيل قبيـــل
فلله ذاك البسيط فكـــم ... راى من عليم فصيح نبيل
اذا قال قافيـــة فـــذة ... يرددها مثـــلا كـل جيل
او ان حبرت كفه مهرقـــا ... ترى كعذار بخـــد اسيـــل
كذلك يا الـغ انـت ومـــن ... يكذب انك قطر جليـــل
فلا عجب . ان يطيـب اليـــ ... ـك ومنك لاجلك كل سبيـــل
فيدرك (ترت) نصيب ومـــن ... تجاوره فهو ايضا جميـــل
فانت تنيل الجمـال لـتـــر ... ت واشباهها ولنعم المنيـــل
فكل مديح لهـــذى الجهـــا ... ت وكل قريض ففي الغ قيـل
ايطرق لي بالحصـــا وانـــا ... ابيت بالغ وفيهـــا اقيـــل
وفي كل وقت انث عن الـــ ... ـغ مفاخر ما ان لهـا من مثيل
أمني عقـوق يظن لالـــ ... ـغ ؟ فبالك ظنا كبرق يخيـل
وكيف واني أوائل الثنـــا ... ء عن مرقـم لم يكن بالبخيـــل
سيكشف الدهر عمن يكسو ... ن لالغ المعارف خير سليـــل
اذن يعرف الناس مني ومـــن ... اخي خير نسل وخير زميـــل

ولنختم هذه النوازل الالفية باخرى كانت صدرت مني يوما قبل ان آلف الالغيين وامازجهم اثر ما نزلت بهم في منفاي عام : ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقـــول)

يقولون صبرا انــه بك اجدر … فقلت نعم لكنني كيف أصبر ؟

وقالوا تكلف ما استطعت فربمــا … فقلت لقد حاولتــه ثـم اقهـر

وقالوا تجلد في النـدى فقلت قـد … أباغت حينا بالدموع تفجـر

وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قـد … تباعدت لكني على الرغم احضـر

وقالوا اتبكي كل من قد تركتهـم؟ … فقلت لعيش بينهم ليس يكفـر

وقالوا الم تقدر تناسي ذكرهـم … الى أن يعودوا ؟ قلت لا لست أقدر

وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت انـي … على كل حال انني لست اغـدر

وقالوا قداستعبدت بالشوق قلت هل … يفي في النـوى الا فتى متخير

وقالوا الست الحر ؟ قلت لهم بلى … ولكننـي من ودهم لا أحـرر

وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا … ومن هو أزكى مخبرا حين يخبر

فقلت بنو الحمراء شيخا ويافعـا … وليس كـراء من بـذلك يخبـر

وقالوا ومن اولى الورى بجوارهـم … ومن مورد منهم حميد ومصـدر

فقلت بنو الحمراء من كان جارهـم … سيورد من شتى البحار ويصـدر

وقالوا ومن اذكى الانـام اذا سمـا … لبحث عويص دونه الفكر يعثر

فقلت بنو الحمراء اصحـاب فكـرة … كجذوة نار في يفـاع تسعـر

وقالوا سبى المراكشيون عقلـه … فقلت انا مختارهم ما اخيـر

وقالوا اما في الغ والاهل غنيـة … فقلت بلى لكن لمن ليس يشعـر

وقالوا اذن انكرت فضلا مشهـراء … فقلت متى في البدو فضل مشهـر؟

وقالوا اما في الغ علم وحكمـة ؟ … فقلت وءاداب بها كان يذكـر

فقالوا الم تولد بالـغ ؟ فقلت هـل … تظنون انـي للولادة منكـر ؟

وقالوا لماذا اليوم تعرض جامحا؟ … فقلت لانى بعدكم متحضـر

وقالوا اهذا كل ما كـان وحـده ؟ … فقلت وخلق من كلينـا مغيـر

وقالوا سيكفيك التخلق امـره … فقلت وخلف بيننا اذ نفكـر

وقالوا وما التفكير ؟ فقلت أيعـد ذا … يعنفني ان صحت بالشكو معشـر

فاني يكون الحر بين معاشـر … مداركهم لم تدر كيف التفكر

امن بعد هذا تستطاب بالغكـم … حياة بتنغيص الجمود تمـرر ؟

ومن عجب انـى اجيش بفكـرة … فاودعها شعرا بليغـا فتدخـر

فيحسب من في الغ انى خاثـر … جزوع عظامي بالاسى تتكسـر

فيعطف بعض كي يسلي وما درى … بان صفاة الحر لا تتاثـر

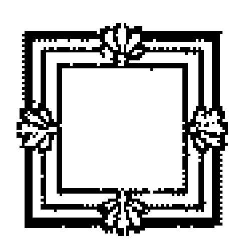
وما هي الا وثبة من خيالـــــه — وفورة جاش تستهل فتزفـــر
فتودع في الاشعار خير ذخيـــرة — لكل اديب لا فح الفكر يشعـــر
فكم شاعـر فحـل تخيـل نكبـــة — لكيما يجيد القول فيها فيبهــــر
فكيف أنا يا قوم افلتها وقد — عركت بها عركا يقض ويسهـــر
اكل مصاب فاض بالشكو جــازع — خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
فما كل ذى رزء اذا ان خائـــر — ولا كل ذى شعر شكـا متأثـــر
اينظر من اى البراكين ان طـــغى — من احشائـه الاتـون الا التفجر ؟

هذه القوافي هي التي وقفت عليها مما قيل في الغ التي كنت قلـــت فيها من قديم متشوقـــا :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة — بالغ وحولى الشيح يطهى به سكسو؟
وهل اردن يوما مياها بعنصـــر ؟ — وهل يبدون بردى لطرفى وآمقسو؟

والشيح هو الوقود الوحيد في الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون به لا (كسكسو) والعنصر بفتحتين بير عذبة المـــاء امام دارنا : وبــردى بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى : وأمقســـو: بفتح الميم وسكون القاف : جبل عـال في الشمال الشرقي من الـــغ : والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادبـاء قديمـا وحديثـا

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة — بواد وحولى أذخر وجليـل ؟
وهل اردن يوما ميـــاه مجنـــة ؟ — وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

١ ــ القسم الاول : في المرابطين ابناء الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد الذين يقطنون في الغ وفي اكادير ايزدي وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان :

الفصل الاول : في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥هـ

الفصل الثاني : في المرابطين أبناء الشيخ الذين لا يزالون أحياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ ــ القسم الثاني في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايفشانيين والوفقاويين والاغوديديين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الغ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول

الفصل الاول : في الاغوديديين

الفصل الثاني : في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسوا أصالة من الالغيين .

الفصل الثالث في الوفقاويين

الفصل الرابع : في الايفشانيين

الفصل الخامس : في المانوزيين

٣ ــ القسم الثالث : في أساتذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف .

وفيه فصلان :

الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف

الفصل الثاني : في أساتذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم في القرءان

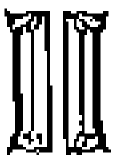
٤ ــ القسم الرابع : في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :

الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .

الفصل الثاني : في مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ ــ القسم الخامس : في اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم . أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم لحمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هي اقسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفقني ويسهـــل لـــي حتى يتم كما قدرتـه وحزرتـــه في نفسي • فانـه ان تم عـلى ذلـك النمط سيؤدي مهمة تحيي غالب الاسر السوسية أو بعضها على الاقل ؛ كما ستنشر من تراجـم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريـد فستفتـح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجـــزي وبقصر باعي • وبكوني بلا ريب اقع في اغلاط • ولكن حيــن بـــذلت جهــــدي وافرغت ما في وسعي فلا عتب علي والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعيديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولـــده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له اخر
على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيرى
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزى
بلقاسم بن على بن أحمد بن عبد الله بن سعيد التيبيوتى
احمد بن بلقاسم ولـــده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه فى اهله السليمانيين
ابراهيم بن سليمان ولده
أحمد بن صالح بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد أول فقيه فى الصالحين
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبيوتى الفقيه الاول فى القاسميين
الحاج على التيبيوتى الفقيه
الحاج عبـلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدى محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد الغ
الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية المنبع الثانى لمجد الغ

العلامة سيدى على بن عبد الله
الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيـــدى عبـــلا بـــاولا
النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
الفقيه سيدى البشير بن الطيب
الفقيه سيدى موسى بن الطيب
النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا ام الشيخ الالغى
سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
سيدى احمد ابو الفـــدام
الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التاهـــالى
سيدى احمد بن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
النجيب المغتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
العلامة سيدى المدنى بن على بن عبد الله الصالحى

سيدى عبد الله بن سعيد التهالى

نحو : ٩٥٥ هـ — بعد ١٠٥١ هـ

نسبـــه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك؛ اوحسين بن مسعود على ما في بعض الرسوم اوحسين بن يبورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان يبورك انما سقط فى بعض الرسوم .

هذا هو الجد الاعلى الذى تنتسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو على شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط رأسه غير معروف الا رجم ظن ؛ وأقاويل تتداولها الالسنة ؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما يجد ما يستضىء به فى طريق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبذل جهدنا فى ذلك؛ على حسب ما يتراءى لنا من كلام المؤرخين ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهناك .

ما شـــاع عنه فى الالسنة

شاع عند أولاده شيوعا متواترا ان أصله من(تامدولت أوقا) وأن ولادته هناك ؛ ثم انتقل بعد الى أكادير تنبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدى يحيا بن عبد الله التملى (وشيخه هذا فى التاريخ معروف موصوف بانه شيخ يربى المريدين؛ ويرشد السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالملا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفى نحو عام : ٩٩٩ هـ) فلازم خدمته على سلب الارادة؛ فيحكى انه وكله على غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضياف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مز؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لااعرف مذاقه؛ فقال له الشيخ : أو لا تعرف الحلو من غيره فى البستان وأنت القيم عليه من أول يوم؟ فقال : انك يا سيدى لم تاذن لى فى الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم فى يوم آخر وقد تكاثر اضياف آخرون

---

(١) مثل هذه الحكاية تؤثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزوانى .

عند الشيخ؛ امره ان يوقف القران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد مـا مضى وطيسه يعلمه بانفاد القران حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان انفـد دادخاله : فبعد لاى قال الشيخ لاضيافه : قوموا بنا الى ذلك الابلـه : فانه لا يبعد ان يلج الوطيس لما سمعه منى من الكلمة الفارطة : فوجدوه داخـل التنور جالسا؛ واللظى فى الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان من رؤوس اظافير رجليه فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛ فامره ان يسكن فى وادى (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا : انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد فى اهـل البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره لـم فتحه؛ فاذا به يرى الوادى كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له : هذه جنودك؛ تسلط على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يـد اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

النطفيـات التي اسسها في القفار

ثم يقولون : ان من حكاياته ان له نطفية فى (دراووغ) فمـر بـه هناك بعض الملوك بجيش كثير : فاضر بهم العطش فى ذلك المحل ـ وهـو معطشة الى الان؛ ـ فقال الملك لمن حضر : من يقدر ان يسقينى انـا وجيشى؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيـد؛ وهو مشتمل برداء : فقـال لـه : انـا اسقى الجميع : فقال له : او تقـدر على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له سترى؛ فمال بالجيش الى نطفيـة له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يناول لكل من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه فى القفار؛ فيؤسس النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته : فقام بنوه على ذلك الى الآن : وءال آكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة : لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتى عشرة؛ وكانت تسمى بنـات الشيخ عند المتحدثين وهى :

١ ـ (انبد نتوملبلين) فى الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادى (تامانارت)

٢ ـ فى (بو الجبر بين تاكجكالت نيت تيكتى) وبين (اوسا)

٣ ـ فى الطريق بين (اداى) و (افران) فى قفر هناك

٤ ـ فى ايخف ابفير وبتنكونا : بين (تيمولاى) و (بوزاكارن)

٥ — فوق المراكع في (ئلازروالت) وسمعت من بعضهم ان هنالا اثنتين اخــريـيــــن

٦ — في ءايت (بومريم) في مسجد بناه هناك

٧ — المذكورة في (دراووغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ريا حتى ضرب بعطن فيما يقال :

٨ — في (سمون ايسان) في القفر الذى يوجد في جنوبي الغ

٩ — في (تينوضفيوين بيزين) في طريق تامانارت من الغ

١٠ — في (فم افيفاغ) في شرق (ءاكجكال) بالغ

١١ — في ءاودرى بتهالة

١٢ — في (اكرض ايملالن) بـ (ايسى)

هذه هي النطفيات التي تواتر عند المرابطين ان جــدهــم هــو الــذى اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان

ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما يضاف الى الشيخ .

تلك هي الترجمة التي يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدرى؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك لاننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليهـــــا الحكاية الاولى ؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية ؛ واصداره جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعـــــة الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛ ولا ننتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بمـــــا تثبت به المعلومات؛ واين السند الذى يثبت به هذا ؟ على ان امثال هــذا الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقــدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف فـــي امكان وقوعه الاغبى جاهل ؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى ؛ لكــن المحدثيــن يوثمون من اطاع ءامره في مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق فـــي معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها. هــذا رأى المحــدثين بـــل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلــم عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقــع لبعض الصوفية في هذا المقام. وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية وجهة هو موليها استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا في كل قضية على حدة .

قرات معى ترجمة الجد التى يتداولها احفاده؛ وتعال معى لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التى بايدينا وبين العبارات التى وجدناها لبعض المؤرخين. فلعلنا نجد فى اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل لعلنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التى يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التى يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقى الشعاع التام على حياته

١ ـ نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفى؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار : « تزوج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الايمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله على (بنحسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة ـ كذا ـ قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هى ثيبة (لها طلقة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب فى هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما فى وجهى الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلثدرهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز ـ كذا ـ واربعة حروز.

الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلوبه ٦٨ حصـ ... ابراهيم ٨ ... (١) ... ٧ دراهم وذلك ... (١) ... د بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخه من اصله بلاولا وكتبه من شهد فى المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثانى عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن احمد بن ابى بكر الغسانى وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

(١) بياض فى الاصل

كذا بين عارضتين فهو الاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح • وقد رايت في ءاخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تتمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأيته•

٢ – فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (••• (١) •••) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اهـ • كما نقل من أصله ؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط ءاخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هـذا القرن

٣ – الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجبه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى •••• لطف الله اهـ كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيهالبياض

٤ – ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه : يبقى المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثالهالمرابطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس ءال تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

---

(١) بياض في الاصل •

ه ـ ... وباطنا يفزع اليه من كان ملهوفا فيغيثه؛ ومكسورا فيجبره ومن نزغ الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم في طلب قضائها فتقضيت؛ ذو بركة في جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشدهم من البلاد والطارحين وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه وعظموا حرمته من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك واظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة ؛ فترك أولاده متمسكين باوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوقير وان يدخلوا في جملة المبتعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما به المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته مولانا ابوالعباس أحمد الشريف نصرهالله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح ؛ والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ باوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد ابن على بن ابراهيم التويبتي لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عمن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن ... والحسن بن محمد بن على بن داود السملالي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به.

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن محمد بن سعيد السملالي؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بثبوته وصحته احمد بن على بن عبد الله السملالي؛ لطف الله به ؛ ومحمد بن على بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملالي لطف الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه ... العمل على ما رسم اعلاه ... فيه أعلم ... بن محمد التملي به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام اولاده بعده باقتفاء اثره ... بسلوك طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛ والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلاما العبيد الذليل؛ لربه الجليل ابوبكر بن عبد الله التامانارتي؛ كان اللهله وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد ابن عبد الله بن عمر التملي لطف الله به؛ وسعيدبن على بن ابيبكر السملالي

لطف الله به في الدارين آمين ؛ وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدياني العصماوي وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجماري لطف الله به ؛ ومحمد بن عبدالله بن عمر الساموكيني بمنكب ابي القاسم عفا الله عنه عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وعبد الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين؛ وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفي وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحادي عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الدياني عالم الغ في عصره؛ وابراهيم ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفي المذكور عنه انه كان من قادة الناس في عصره وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالي احد العلماء العباسيين المشهورين؛ ولا تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كنا نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لايستانف حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كلهم علماء كبار في عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين عند الناس علما وديانة .

ثم ان هــذه الوثيقــة قد وقع فيها بتر قليل في مفتتحها؛ وان كان ذلك لا يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة بين وثائق التحريرات والظهائر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على أن المقصود بها هوالشيخ صاحب الترجمة الذي سقط اسمه فيما سقط من أول الوثيقة وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة : ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بكثير ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وهذا السلطان الذي رفعت اليه الوثيقة سمي في وسطها كما قرأته بامير المومنين احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر : اسماعيل. من سنة: ١٠٨٢ هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احمد ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد مـــن اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظــة (ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات أخرى ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعــد وابعد ؛ على اني الآن لا استحضر كيف حال سوس في سنة ١٠٩١ هـ وتحتاج هذه النقطة الى تامل طويل ؛ ربما نتفرغ له بعد ان شاء الله ؛فنعلم هل احمد بن محرز في سوس في ذلك العهد اولا

ثم انني راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن محــرز الذي لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة ــ اذن ــ الى احمد بـــن

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخواله! فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالى الا بعد هذا الحين! على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ – نقل من ام صحيحة بعد الثناءين؛ الحمد لله؛ صير سيدى عبد الله ابن سعيد المرابط من وادى (ايمور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيم الفرموزى ؛ من (اكرسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادى ايمور فى البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت نصيبا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع فى جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها فى ذلك بسببه ! وعرف قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ اوائل ربيع النبوى سبعة وأربعين وألف ؛ احمد بن بلقاسم بن احمد الكرسيفى لطف الله به وهو عدل ورضى لموته ؛ بلقاسم ايضا؛ ما فى النسخة المتنسخ منها نقله باول صفر عام ١١٣٣ ه ابراهيم بن على بن ابراهيم ومعه فى النقل عبد الله بن على ابن أبى القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اه كما وجد ؛ وفى قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ – منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدى بلقاسم والدهما الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله فى ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله فى الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وابرآه فبرىء؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفى رجب عام ١٠٥١ ه ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفى ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به فى الدارين؛ بالنبى صلى الله عليه وسلم ءامين ءامين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ ه موسى متم ه

ثم يليه : اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له فى مهل رجب ١١٠٣ ه عبد المومن بن محمد بن على وفقه الله ٠

ثم يليه : اعلم بثبوته وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمد السملالى لطف الله به آمين٠ انتهى ما فى الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا ولا ٠ سببه تعدد المنافع بتاريخ أوائل صفر عام ١١٣٣ ه عبد الله بن على بن ابى القاسم الساموكنى ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال من شهده من اصله ابراهيم بن على بن ابراهيم الساموكنى ؛ لطف الله به آمين٠

٨ – يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادي ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفي رحمة الله علينا وعليه ؛
فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت احمد الغرموزي وبنوه السيد محمد والسيد
احمد وسيدي بلقاسم وسيدي موسى وماماس ؛ ثم توفيت زوجه المذكورة
فاحاط بميراثها ابنها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
من ذكر في علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
عبد القادر وعلي بن يحيا بن علي من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
ابن علي تحقق ذلك في علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
عارفهم باواخر ذي القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
الكرسيفي وفقه الله ؛ وعبدالله بن علي بن عبد الله الترسواطي؛ تاب اللهعليه
انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي
ابن ابراهيم الكرسيفي ومعه في النقل عبد الله بن علي بن ابي القاسم
من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ ـ نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزي
لافتراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفي الغرموزي
مع ابنتي اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدي عبد
الله بن سعيد بوادي ايمور التهالي ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها
العامية زهرة بنت احمد في جميع ما اورثهما الله في ابويهما المذكورين
في أكرسيف وأحوازه ؛ والجرفة وأحوازها ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛
واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) ـ اى اطلالا ـ غامرا وعامرا؛ سهلا
ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه
خمسة وعشرين مثقالا ذهبا سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك
لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
في ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط
السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛
ويمينه الوادي وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمزكز ؛ على العين باعلى اكرما
ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك
بحساب الناقش (اى المناقش الذي يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل
واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما في ذلك ـ انفصالا قاطعا جميع
الدعاوي والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعاء
بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرم
عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفي لطف الله به امين
واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب لطف الله به امين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسخ تاب الله عليه امين انتهى ما فى الام وقوبل باصلـــه مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيـــع الثانى عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن على بن يعقوب بن ابراهيم القشانى لطف الله به امين ومبلوبه احمد بن على بن محمد بن داود من مشمس جدمانة الغشان لطف الله به امين •

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد ابن على القشانى ؛ وفقه الله آمين اه كما وجد

١٠ ـ ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتـــى زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الفرمسولى انهما تصدقتا على المرحوم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد من زاويـــة ابمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة واللـــه اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذى قعدة عام ١٠٦١ هـ بلقاسم أحمد بن سعيد الكرسيفى لطف الله به آمين •

اقول : لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتى بلقاسم واحمد• فيكون الكلام هكذا : بلقاسم بن احمد الخ ••

١١ ـ اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن احمد العسرى ـ به عرف ـ البعقيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد اللـــه المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبـــد الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابرأته منها ابـــراء صحيحا حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريـــخ رجب عام ثلاثة وعشرين وألف انتهى من أمها بعد المقابلة والمماثلة ؛ فالـــه ناقله بأوائل ذى قعدة عام أحد وثمانـــين وألف ؛ عبد ربه محمد بن عـــلى بن احمد بن يعقوب امرح البعقيلى السطحى غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبـــد الواسع المرزوغى البعقيلى؛ لطف الله به اه

١٢ ـ وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينـــوب (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى البعقيلى وهى الثيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامـــا اقامه مقامه (فى كل مايراه وظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ ـ شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيا الكرسيفـــى انه حضر للمرابط السيد عبد الله بن سعيد من ابمور حين ذكر جهاز مريـــم بنت عبد الله البعقيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبدالله بـــن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلي وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اهـ .

١٤ ـ المرابط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا من تيظاهارين ؛ الساموكني وطنا وتوفى بتيظاهارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثاني عام اربعين والف ؛ هذا ماقاله الرسموكي في كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره.

١٥ ـ عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا الساموكني وطنا كان رضي الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مربيا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقى اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى في مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفي بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكي في (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالغي من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكي رحمه الله في تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعيني رسم تصيير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس مائة مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده في ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ماكتبه شيخنا على نسخة للحضيكي نقلته من خطه .

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد القت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التي نحن اليوم في صدد جلوتها الى أعين القراء ؛ فلنتتبع هذه المآخذ المتقدمة مأخذا ـ مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه تصريحا او تضمنا .

١ ـ في وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لنتساءل : اهذه اولى زوجتيه ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا في الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذى رأينه فى وثيقتى ١١ـ١٢ قد تزوج بمريم بنت عبد الله الجعفيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى وبلقاسم المذكورون فى الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب كما ترى ذلك فى رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحزر مبتـدا حياته على اقل تقدير فى نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛ هى اقل مايحتاجه من كان لابد ـبعد ان يحتلم ـ من ان يمر تحت يـد شيـخ من شيوخ التربية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيـى ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس بستانا قام عليه حتى اثمر ؛ واما اذا كانت هذه هى الثانية من ازواجه فلابد ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا فى سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الـذى يحتاجه بعد أن تزوج الاولى فى العادة وفى الغالب ؛ لا يقـل عن نحو خمس سنوات على ما كنا قدرناه فى الزمن الذى يحتاج اليه فى الاتصال بشيخه؛ على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان فان ولادته فى نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لـو توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهـل لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتطاول الى المعدوم فقد يتطاول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم ـ وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم ـ ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا : فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثـم موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينبنى هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرنى الفقيه سيدى على من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛ النهالية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى محمد بن عبد الله ؛ والافرانية وهى أم سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب لها معروف ؛ ولا يدرى من هى أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هـذا مخطوطا بين رسوم المرابط سيدى عبد الله بن محمد من مايت اورخا مـن اكادير ايزرى؛ وهنالك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كـل مـا هنـالك •

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمـد بن عبـد اللـه

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمده من ذي النورين جد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضي الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضله

ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الثيب التي ربما كانت للشيخ عبد الله بن سعيد - ان تزوجها اولا - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه في حياته - والاسرة قائمة؛ والضرة موجودة بمرأى منها - فقد وضحت لنا نفسيتها واخلاصها لزوجها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك في رقم ١٠ فلئن قيل انما ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذي حازه بين أولاده الاربعة ؛ حين خمس ماله بينه وبينهم في أواخر حياته كما في رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار ؟ ثم ان في وصفها هي واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفي .

ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عدة الورثة في رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ ه ضرورة ان الرسم الذي فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب في السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى في العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا

٢ - في الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنة وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا - نتحقق الان تلك المكانة التي كانت للشيخ في زمنه ؛ وفي ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ ه يتمتع بها بين الاهالي حتى توصل بذلك الى الاستظلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ ه تطلع على الشيخ قبل ان يطعن في العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التي يكلل المرء بتيجانها في هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه في ريق شبابه؛ كان يجتهد في الارتقاء الى المعالي كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة في أيام سلطان واحد ؛ لما يحمل على مجد يتزايد ؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله .

على ان هناك في عصر مولاي احمد الذهبي الذي افتتح بسنة ٩٨٦ ه وانتهى بسنة ١٠١٢ه لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزيين بالصلاح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

---

(١) تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقي التنكيل والهوان ؛ فقد قرات في وثيقة سلطانية الى ؛ كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لايتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدي بيورك بن الحسين الهشتوكي المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدي خالد الكرسيفي؛ والا الشرفاء الكثيريون والركراكيون والفلاليون واولاد سيدي يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بغمار الناس في الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء.

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك في ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذي نعهد منه سيلا طافحا من التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار في زمانه ؛ فلهذا نعرف ان صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون مندرجين حينئذ في غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذي راى منه تلك الكرامة في (دراووغ) التي كنا ذكرنا ان اهالينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهالينا ؛ مما لابد أن تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبي الذي نعرف من هو في التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنازل الى احترام ذي زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجافته؛ الا بباعث آخر جديد يحفزه فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذي مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتا خاصا؛ وقد قرأنا في الوثيقة التي ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوفقاويون والايغشانيون والحربيليون ؛ولايزال محل في بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لايزال محل مشرف على وادي ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اغار اوكليد) ويقول الساموكنيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبي ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضانية ؛ الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا في تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضانية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضا ؛ كما رايت هذا

المحل الاخر هو الذى اضيف له ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران المعدود ايضا من بين منازله فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريرات •

ثانيا ـ ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنقع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافى والقفار ؛ وكان يسميها بناته؛ فكان مما أوصى بـه بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حينا بعد حين؛ فكان اولاده عندهذه الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هـؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهيد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يحتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جراثيمه الا من حمأة الالحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشديـن ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محور الاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولـون ذلك بلسان الاقاصيـص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؟ وانه نهاهم أن يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يألفون التكفف وجمع الزيارات ؟ مـع نبذهـم شارة الدين ؛ وتنكبهـم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك ـ لعمرى ـ منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدى الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتى

هى احسن فى المنزل الهبوى مناقب عظيمة! فاية منقبة افضل من هذه بالناس؟

كدنا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد لو كنا عدمنا هذه الوثيقة الجليلة! فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايفشانيون والاكماريون والساموكنيون والتامانارتيون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا ماراوه وشاهدوه فى الشيخ ومن خلفه فى مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عمن رآه وشاهده فى الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما فى الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحريين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عـواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هى ــ والله ــ شهادة لها عـنـد ذوى الالباب مكانة مكينة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له •

كثير من الذين حظوا بالشهرة فى حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حـول ذكرهم ؛ لايكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدا تلك الشهرة فى الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكـن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بـل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل فى الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فانت بمانقرا اليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدى عـبـد الله بن سعيد مـن الافذاذ الذين وقفوا حياتهم فى سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلمة يتسرب منهـا الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى معنيا باصلاح الطرق وتسويتها فى الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتاسيس التطفيات فى المعاطش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غايـة الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التمنارتى فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقى؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيـخ الحضيكى فى ترجمته التى كتبناها تحت رقم ١٥ بهـذا الوصـف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمنرتى فان الشيخ التمنرتى توفى سنة ٩٧١هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمنرتـى عالما جليلا طائر الصيت فى عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامى ان يتردد الى زيارته ؟ وان يتخـذ منه هذه الطريقـة المحمودة التى هـى نفع العباد فـى مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة فى الفجاج والقفار كما يهتمون بها فــى القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسهـا صاحــب الترجمة من الشيخ التمنزلى مصلح طريق (تيسا) فى بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الغاس وناصب النطفيات المتعددة المعلومة الى اليوم فى قفار شتى

ثالثا ـ نعلم هذه التحليات التى يحلى بها صاحب الترجمة فى هذه الوثائــق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امى لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هوءلاء انما يصفونه بالفقير المرابط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام فى الصلاح ؛ وظهرتعليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفاتتحمل كل من جالسه على ان يعترف بانــه ليس مــن مطلــق الناس فــى الوجهــة الربانية؛ التى ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلـــوم شىء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانــت معــه علوم؛ هذه هى العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هوءلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المرابط الصوفى ؛ نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه أمى لم يتشرفالا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالاميــة ؛ وأن الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا أن أحفاد الشيخ عندهم من أوصافجدهم ما ليسبقليل؛وانهم وان ادخلوا فى ترجمته فى اسمارهم مايشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيهــا لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولــذلك نعتمد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها فى هــذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون : ان الشيخ وان كــان أميــا يحب اهل العلم ويتحاشى اليهم ويستشيرهم ؛ ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده فى ترجمةالحضيكى

ثم يقولون بعد ذلك فى تدعيم هذا : انه كان من الواقفين على مدرسة (اوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجويى المعاصر للشيخ (وقــد توفى هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة مــن الحبوب يؤديــه كل سنة من صلب مالــه ؛ ثم أوصى أولاده بعده بالمواظبة علىذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن •

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة فى تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنــه ليس من بعض الصوفية الــذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحوهم ويكشفوا الستر عنتمويهاتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أنصاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولايعرف لاهل الفضل الا ذووه •

وما عبر الانسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

فهذا ما امكن لنا ان نعرفه صراحة او استنتاجا من هذه الوثائق التي كتبناها تحت هذه الارقام : ٣ـ٣ـ٤ـ٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك حمدا كثيرا .

٣ ـ في الوثائق الموضوعة تحت ارقام : ٦ـ٧ـ٨ نعلم ان اولاد الشيخ الاربعة محمدا وابا القاسم وموسى واحمد قد بلغوا كلهم اشدهم في حياة ابيهم؛ فاستحق كل واحد منهم ان يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب ان والدهم زوجهم جميعا كما زوج اخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ ـ ١٢ فسلك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها أولو الحزم في الدين والدنيا ؛ الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون أموالهم لاولادهم قسمة لاتصطدم وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك لاولادهم وهم لايزالون في الحياة خوف ان ينشأ ايضا بين اولادهم حول الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين ؛ وانقطاع أواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ ؛ فخمس ماله بينه وبين اولاده الاربعة وذلك الخمس الذي صار له ؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا في رقم ـ ١٢ ـ موافقة اولاده على هذا التصيير .

فكل هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو لايزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله المالكية رحمهم الله ؛ ثم ان الموافقة انما حصلت من محمد وأبي القاسم وموسى ولم يذكر فيها أحمد ؛ لانه ابن المصير اليها ؛ وهو الذي سيؤول اليه هذا المال متى هلكت المصير لها لانها أمه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الملك اليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه نرى ايضا من ذلك ان للشيخ اعتنا ءبتاثيل الاملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا ما لاشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحدة (١) في هذه البلاد ؛ فكما ان له في ايمور املاكا كانت له أيضا املاك أخرى في مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولان كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وان كان غالب العامة وبعض الخاصة من المتفقرين يحسبون ان الرجال الصالحين المشار اليهم بالاصابع ؛ الذين يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون في منصة التربية للمريدين ؛ كصاحب الترجمة ؛ لايتاتى منهم

(١) وحدة بلا ياء ؛ وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة .

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعا ؛ ولا يخفى أن هـذا قـول مافـون لايصدر الامـمن لايعرف ماهو مدلول الزهد فى دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغى أن تصك آذانه بقول أبى الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا •

وبقوله أيضا : من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه • وأن يصرخ عليه بقولـه صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاصى : نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على مايروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرتـه لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال فى أحـاديث كثيرة فى الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ مـا عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السىء غالبالناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض لليد ؛ حتى لايضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متأثل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فيأحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لابد منه من دنياه ؛ لاكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم؛ ويتمضمضون فيأنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه علىالقياس الذى توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد القياس ؛ فسد المقيس والمقيس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذى أنحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى أن يخالوا ما ليس فى الواقع •

اذن تأثل صاحب الترجمة املاكا لاباس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفى اسرته فكان من ذلك أمران : أحدهما أنه لم يذر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بـل ورثهم ماانموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر فى اولاده هـذه العادة المحمودة المتركبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هى العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك فى هـذا الخلف •

هذه نظرات فى الـذى وضعناه تحت أرقام ٦ـ٧ـ٨ وقد بقى منها مـا يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما يأتى :

٤ ــ فى الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩ـ١٠ نعلم بعض ما يتعلـق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا انهـا توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا ان اسرتها الفرموزية ؛ اسرة مجيدة مذكورة فى

لوجها ؛ فقد عبر من احد افراد عائلتها بالشيخ بالقاسم ؛ والشيخ في عرفنا هو احفاد الذي يراس اخوانه ؛ ولا يمكن أن يراس الانسان في هذه البلاد الا اذا اهل للرياسة تاهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رايت الى هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ـ الذي فيه المفاصلة واعلم ايضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع اخويها على ورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ او على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ اذ هو اصدرها املاء منعلمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هوالتاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الاصل ؛ او من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ايم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما ياتي على زمن وفاة الشيخ ٠

هذا ما يتعلق برقمي ٩ ـ ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما ٠

٥ـ في الوثائق الموضوعة تحت ارقام ١١ـ١٢ـ١٣ تجد مايتعلق بزواج صاحب الترجمة : فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق اجمع ؛ في عصر الاباء الابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقيلية الشريفة ؛ وهي فيما كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والحلي التي جهزت بها السيدة في جهازها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والاوقية في ذلك العصر ؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيرا ؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس انا كثيرا ما ننشد هذا البيت ؛

والمرء لا يشبه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؟(١)

او ليس انا نروي فيما بيننا هذا الكلام المأثور : خولوا اولادكم فقد خول صاحب الترجمة احفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن احمد ؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من ابيه احمد ؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ ولقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما راينا ذلك في رسم منادات لعبد الله بن احمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى ٠

---

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فانه فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيفية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كـــــان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنابة أحمد بن عبد الله بن سعيـد ؛ لاحمـد بن عبـد الرحمن من نسبه لدليلا لما سنستنتجه منه حين نبحث عن اصل صاحب الترجمة؛فيما يأتي قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين .

هذا ما استفدناه تصريحا او تضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣ زيادة على ماكنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤-١٥- المذكور فيهمـا ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيـدي عبـد الله بن محمد فوائد جليلة ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابـد ان نقف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه .

أولا - نجـد في ترجمـة الحضيكي زيـادات في الاوصاف على مـا عنـد الرسموكي؛ فبينما هذا لايزيد على قوله - المرابط الافضل - اذا بالآخر يصفه بكونه - رجلا فاضلا متصرفا مربيا للمريديـن ذاكرامـات وجهادات وعبادات وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي أكـابر العلمـاء ؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التي زادها هذا المؤرخ المتاخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذي أدرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد مايؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم -٥- التي وقعها ذلك اللفيف من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التي لا تزال تتردد بين الالسنـة الى الآن ؛ فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات البين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛الذكر الخالد بين الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكـلا السهمين ؛ وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وأثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالمـا فيكفيه شرفـا أنه يزور أكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلات اليراع أولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف -اذن- التي زادهـا الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقـة أيضا بمثل ذلك أو أكثر في بعض النواحي .

ثانيا - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم أكابر

الصلحاء ويزورهم ؛ والمقصود بالصلحاء هم الصوفية ؛ فاما كونه يخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيا بن عبد الله التمصلي ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين ادرك اعصارهم كالشيخ احمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانهما واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا انه اتصل باحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر — الا ماكان من الفقيه سيدى سعيد الاوجويي الصوابي وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقى اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذى ادركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عمن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه •

ثم ان التصوف الذى اتصف به صاحب الترجمة يظهر أنه تصوف عملي؛ متسم باقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعى في مصالحهم جهده — كما وصفه بذلك الحضيكي — وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذى يحمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ أو في مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه أولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ ويشاركهم في كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جدب ؛ فينتبه اوجههم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بامور المسلمين •

ويظهر ايضا ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كماسلكها والده الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ لنفسه سيما خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية • وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذى درج وراءه ؛ وماكان الرسموكي الذى ادرك عصره ليسكت غاليا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدى محمد بن احمد الحربيل المتوفى سنة ١٠٢٠ه والشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المتوفى سنة ١٠٦٧ه ولعمرى ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذى يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك •

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلقت على كبير من الصحابة فلاهم عمر بالدرة فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : اتريدون ان يقال هذا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقراناه في مختصر تاريخ ابن عساكر

ولم نسلمه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضي الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده في المسلمين ؛ وكأنهم لايتلون قوله تعالى «ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء»

فهذا الذي كان عليه الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون : كالازهار ؛تختلف الوانها وان كان الماء الذي تسقى به واحدا .

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة في مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله في عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا ـ ان كلا من الرسموكي والحضيكي وصف الشيخ بانه ساموكني وطنا؛ تهالي مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكي فاخذه عنه الحضيكي على عادته في غالب التراجم التي اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقي ذلك مشكلا عند كل من يراه من أولاده لاموزشتي ؛ منهاما يزعم من أن قبيلة ساموكن قبيلة منحطة في أنظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها في المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لايستحيي جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكي ؛ فحواها انه سأل مرة انسانا عمن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكني فزعم ان الشيخ قال له : أوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك ؛ والا فتبلغوا بطالب (ازغاري) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فأريحوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من أمثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاعهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة في انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بني آدم كلهم كاسنان المشط لايتفاضلون الا بالتقوى ؛ بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع بهراسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل في ذلك؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية المقوتة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوي العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون أن الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لايرعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذي يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا ينفر اهلنا من ان تكون بينهم وبين آل ساموكن اواصر؛ وينظرون الى كل من لزهم بذلك نظرا شزرا؛ حتى ان من اراد ان ينبزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور او بغير شعور.

لاازال اتذكر انني كنت مرة سوانا فى طور البلوغ فى دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم القشانى؛ فضاحكنى وداعبنى فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فحاورته فى ذلك؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة؛ فقام رحمه الله الى الحضيكى فقرانى هذه الترجمة؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول؛ فصرت ادافع ساذجا عن السامو كنية؛ ولكن مضضا فى نفسى احس به يخزنى وخزا؛ وغرارة الشعوبية لاتزال تنشب فى التعصب المقوت؛ ثم اننى بعد ذلك بكثير قرات فى تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضى بسوس سيدى محمد بن احمد الرفاكى فسح الله فى اجله؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم القشانى؛ فكان هذا اراد ان يستفز ضيفه؛ فصار يعلى امامه شان مرابطينا السعيديين ويعرض فى اثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف؛ فلم يصبر الاستاذ ان قال من هم مرابطوك هؤلاء؟ وهل هم الاساموكنيون؟ فجاذبه رب مثواه فى ذلك ماشاء الله؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكى؛ فاتى به فوجد الامر على ما قال.

هذا ماقراناه فى كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع فى ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه؛ والبادى اظلم.

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعوبية المقوتة؛ التى ينبغى ان تنطوى بين المسلمين.

ومما يحول ايضا بين اهالينا وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثارة من علم؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكن؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهما؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بايمور طوال حياته حتى اقبر فيه؛ وليس هناك فى وادى ساموكن ما يدل على انه كان نازلا فيه ولو حقبة من الزمان فلا دار له هناك؛ ولا املاك؛ ولا ماينتسب اليه والعادة تقضى فى البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لابد ان يدع فيه اثرا من الاثار؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لايوجد شىء من ذلك هناك؛ فلاشك ان هذا غلط من قائله اياكان سواء قاله الحضيكى من عند نفسه اونقله عن غيره؛ وهذا الذى يقال للحضيكى يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة:

— اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه.
— وأما ان ينتقل الى املاك تاتلها فى مسكنه الجديد؛ فيجب ان يجاورها؛ وان يكون استغلالها تحت نظره.

ـ واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهي كلها منتفية ؛ فليس هناك في ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك في المكانة التي يغبطه عليها كثيرون؛ ولا كانت له في ساموكن املاك تاثلها فاحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التي فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريحات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة في امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت في هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض أمكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افنقدر ان الشيخ باع ما تاثله هناك بعد أن ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لايحتاج الى بيع مثل العقارات التي تكون في ذلك الوادي والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر مايباع من المتاع ؛ فبهذا كله يعرف انه لااصل له هناك ولا عقار يمكن ان يحفزه الى النقلة اليه ؛ وكذلك لايمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (تاهالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادي وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادي عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من أهاة الاسد ؛ فلا ينتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنيتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ في حين ان تهالا بلد متسع الارجاء منفسح المرعى ؛ لايمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه في ذلك القبر العميق قالوا فبهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التي بها ـ غالبا ـ ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفي كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفي بانتفاء جميع اسبابها ٠

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف في عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على مانعلمه فيما سياتي ففي أى وقت توطن في واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة في رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله ـ اذن على السكنى هنالك ـ والانتقال باولاده اليه ؟ الا تلك الاسباب التي ذكرنا انها هي التي بها ينتقل الانسان ـ غالبا ـ عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفت افلا ينتفي كذلك المسبب ؟

قالوا عجبا ! ايعرف غيرنا عن جدنا مالانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكةادرى بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمآت ابا عن اب ؛ الامكنة التي اسس فيها ماأسسه في حياته حتى اننا لنعرف مابين المهامه الفيح والقفار المترامية ؛ آثاره اثرا اثرا ؛ ثم ننسى شيئا مما وراء ذلك ؟ افليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد من طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين اوكان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا فى الواقع ؟ان ذلك مخدوش فيه ! بل ان بعض الاصوليين لايقبله البتة ؛ اليعرف واحد من باقانين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادى ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب .

قالوا لايسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به زماعنا او نابى ان ننتظم نحن واياهم فى سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوى الشعوبية المقوتة ولا ممن يتنصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما فى الناس جميعا؛ ذهب وخزف ولوصح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوصح انجدنا سكن بين ظهرانيهم لتلقينا ذلك بكلتا اليدين ولابديناه للناس اجمعـــين ؛ فاننا فى شرف نفسي يكفينا عن كل شرفوراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء فى واد ونحن فى واد فان ثبت ذلك بعد بماتثبتبه المعلومات منالادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادى فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادى كما تشرفت برسول الله صلى اللهعليه وسلمعدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكى وتابعه الحضيكى يقولان فى الشيخ التهالىمسكنا الساموكنى وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هلالقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كانهذاهو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واينمسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على مايقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذى قدم من (تامدولت) ولايمكنان يقدم بنفسه ! مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ! فحيث تواتر عند الناس انه كان فى اكادير تنبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عندشيخه يحيا بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة٩٨١هـ فى ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففى اى وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كماقاله الرسموكى ؛ فى حيناننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه فى اكادير تنبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد انتتتابع كما ترى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم نلقى مــن ذلـــك اعوام الصبا فما الذى يبقى بعدذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطانــا يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون فى مقابلة سكناه فى تهالا الذى كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكى بتلك العبارة ؛ فليتشعرنا ماذا يقصدبها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل انأهالينا يابون بكل مافى امكانهمان ينسب الشيخالىساموكنمطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما نرى فى رقم ١٥ مما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي : ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل مايمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهالينا فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لايريد ان يسير الا بمصباح ينير ماامامه ؛ فقد فتشت واكثرت التساءل عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لى هذا الباب .

كنا قرأنا فى الوثيقة الموضوعة تحت رقم -١- ان عليا عم الشيخ هوالذى كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا فى رقم -١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل فى عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فادركنا بذلك أن لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا أن الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يساكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا فى اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؟ لاندرى ؛ ولا طارق الحصى يدرى اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكى الذى يدفعه اهالينا بما رايت .

اكثرت التامل فخطر لى انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهالينا ومايقوله الرسموكى بتاويل كلامه .

ان اهالينا يقولون ان الشيخ كان فى اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن فى وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكى أن وطنه هو ساموكن ؛ أو ليس أنه يمكن أن ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم أكادير تنبسيست؟ وهو فى جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكى اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصار الى الترجيح كما هى القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقى الرسموكى الكلام جزافا فيما هو بصدده فى كتابه ؛ وقول المورخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ماعند اهالينا كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟فندرك اذن- ان الشيخ ماانتقل الى ايمور الاقبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يضفه الا الى ايمور ؛ ولم يضفه الى مكانه الاصل ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمثواه الان ؛ لابما درج منه على أن العقود لايستدل بها الا فيما

سبقت له لاغير ؛ واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها ؛ وذلك معلوم عند كل فقيه ٠

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير نتبسبست كما يقوله اهالينا وتواتر عندهم ؛ ويدل عليه قول الرسموكي ان فهمناه ذلك الفهم الماضي ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسنرى امامك الكلام حوله ٠

ثم هانحن اولاء نرجح عندنا ان الشيخ كان في اكادير نتبسبست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هناك ام كان في تمدولت؟ كما يقوله اهالينا ؟ انني ارجح في هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه في اكادير نتبسبست ؛ وان الذي انتقل من تمدلت احد اجداد الشيخ؛ والذي رجح هذا عندي ان وقت جلاء تامدولت الشهير كان في اوائل القرن التاسع اواثيله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشاني هو الذي كان سبب هذا الجلاء في حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا في القرن التاسع ؛ وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن السجدادي المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعلى بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجد انى في النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفي سنة ٩٤٨ ه فبهذا ندرك ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هو بل ولاابوه من بين الجالين ؛ فربما كان الجالى هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ؛ ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيا بن عبدالله ؛ اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ماعاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى نزيد في ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهالينا ٠

هذا ما ترجح عندنا في هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو في ايمور ؛ دليل على وجود اصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف في الاستدلال ؛ وكون المتواتر عند اهالينا هو ان اصله من اكادير نتبسبست ؛ يكفي في رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر المتواتر بما قاله الرسموكي " من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما اولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما امكن لنا في الموضوع ؛ والحمد لله ٠ وقد كان اكادير نتبسبست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه آيت على المريبطيون ٠

رابعا ــ انك قرات في ترجمتى الرسموكي والحضيكي الموضوعتين تحت

رقمى -١٤-١٥- ان الشيخ توفى يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠هـ ثم قرات بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالفى حفظه الله مستدلا بما فى رقمى -٦- و -٧- من رسم التصيير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصيير المورخ برجب سنة ١٠٥١هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابراء من اولاد الشيخ لابيهم كتب فى حياته وان تاريخ الابراء هو رجب سنة ١٠٥١هـ وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهود فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفى سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته فى ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى •

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم -٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلها فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لايزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٥- بـ٣ اومثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى -٦-٧ فالمتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولايخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبت الرسموكى فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه : ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبان غلطه الممتد الى مافوق احدى عشرة ؛ كثيرقلما يقع للمتصدى لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبت ؛ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكى ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافى وثيقة التصيير وما فى اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفى بعد ١٠٥١ ولنبق على ذلك الى ان يظهر لنا ماينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانما هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين ينجلى تثبت الرسموكى من جهة اخرى فنتحير ؛ والله اعلم •

هذا ماامكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرك انه معمر حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله •

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل مـــا وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ماتدل عليه تصريحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا الا كلمة اخيرة حول كلمة قراناها في الوثيقة الموضوعة تحت رقم ٥ــ وهـي قول احمد بن علي بن ابراهيم التوبيتي فيما خاطب به السلطان «فنرغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته ابي العباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة عـلى عادته في اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالـى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهـم المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما لم يدعه قط مرابطونا ؛ ولاسمعنا من ادعاه لهم اوانما هي كـلـمة ارسلهـا التوبيتي على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تان وتبصر حتى ندرك ما يرمي اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالما؛ ولكي نعرف ذلك ينبغي لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك •

قرات معي فيما تقدم ؛ البحث عن منشا الشيخ واصله ؛ وقد استقر راينا اخيرا على ترجيح مايقوله اهالينا من ان الاصل الاصيل من تامدولت ثم لايعرفون ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا مـاكـان الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرني بـه منذ سنـوات انه راى رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفريـة يعني الى جعفر بن ابي طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال الغيراه في بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ماسمعته لاغير ولكن هل لهذا من صحة ؟ فان اهالينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينـهم قط ؛ الا ماكان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهي مخطوطة بيد الاستاذ العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبها الى تلاميذه بابي مروان ؛ولا ادرى من اين تسرب اليه ذلك ؛بل ولاسمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلـك هذا كل ماخطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولاعرف لـه مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطـب بهذه النسبة شيخه الشيخ الالغي في قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة نونية ستقراها ان شاء الله في ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفـرية ونشر النفحات العنبرية في المنافحـة عن الطريقـة الالغية بـذكـر بعض مالها من المآثر السنية في كتاب الترياق المداوى)

وقد سالت شيخي سيدى سعيد ا التناني ممن استقى من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ذكر له انه راىذلك فيطرةكتاب؛ هذا هومستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالينا فاما الذين عقولهم في اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت بــه المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلايزالون في ريب لان الانساب لاتثبت بمثـل مافي الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن ـومثل هذايكتفى فيه بالظن ـ ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ماهنالك ؛لانّ هذه النسبــة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فيحقهم الناس مصدقون في انسابهم ؛ واما حيث لايذكرون ذلك ولايرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لابما وجد في الطّرر لم انني كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة في جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لاادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده في اول هذا القرن : ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف أيضا الاستدلال بها .

هذا كل ماعرفه رائجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لمتبلغ عندى حتى درجة الوهم ؛ لانني استبعد ان يكون ذلك ثم ينساه الاباء ؛ولم يملاوا به مسامع الابناء مع أنكثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا علىهذهالنسبة بالنواجذ وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة أنسابهم الى الامـام جعفر ؛ وبتعهد ذلك بظهائر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايغشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هــذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التي حشرفيها اولئك العلماء ماعرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هوالمصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمــة مـن الحسن او الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لايحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هذا لعمرى ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثلهذه النسبة لوكانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولاعلنوا بها في كلمناسبة ولرايـنا ظهائر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تـقـدم وسنذكر في آخر هذه الترجمة سائرها تصرح بذلك وتعلنه على عادةالظهائر الملوكية في ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لايقبل به ذلك القول الذى صدر مـن الفقيه سيدى احمد بن على التويبتى في تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفـيــة التـى

ذكرت في الوثيقة هذه بانها هي النسبة الجعفرية ؛ لانها مستندة الى زينب بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فكما انهما ولدت الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت علي بن ابي طالب التي اولدها جعفر بن ابي طالب سلالته الزينبية وهي مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق على هؤلاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك في اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مسرحا ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتأمل .

حقا ان قوله اقرب ما نؤول به قولة تلك الوثيقة وهذا القول على الاقل نجد فيما يروج الخبر من يلوكه بلسانه ؛ وان لم نعتمد عليه ؛ ولا كانت عليه لوائح البرهنة ؛ على ان ابناء المصطفى اختصوا عرفا بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نمد ايدينا الى تقبل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق اذاني فينة ان هناك نحو وادى ايسي شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجنها ؛ ولم أدر؛ اهذا الذي يطرق اذاني صحيح او هو من بنيات الالسنة ؛ وطالما حثثت بعض الناس اليه لعلهم يجهدون في التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه مانخرج به مما يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكنني بكل اسف لااجد الا كسلا واعراضا ولاحول ولاقوة الا بالله .

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا على شك في هذه النسبة وهنا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذي يذكره الاستاذ الامنسوكي قائلا لانجد الابايا موصدا امام نتيجة يتطاول اليها بعض من لم يكفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبى الا أن يزج نفسه في الطالبيين ؛ ولا ندري ؛ فلعل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا في هذا مثل ماوقع للاستاذ احمد بن خالد الناصري الذي اعلن الشك في نسبة الناصريين في الجعفرية في كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحداه الى ان يرجح هذه النسبة في كتابه (طلعة المشترى) .

هذا آخر ماتيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا في ذلك جهدنا؛ واسهبنا بعض الاسهاب؛ علنا نتعرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليلي بقدر الامكان ؛ ونتمسك بما رأيناه صحيحا بالبرهان ؛ ونلقي ظهريا ما لاتدعمه حجة .

وله من الاولاد من رأيتهم فيما تقدم فاما احمد فستري ترجمته ؛ واما محمد فدفن في (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن في قرية (تيدل) بقبيلة ايفشان واما موسى الذي مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبدالله انه راى رسما مورخا بنحو ١٠٩٨هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افقير انه راى في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه مايدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددات ؛ فالتهالية هي ام محمد ؛ والاورانية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكنية لاعقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مات في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ماكتبه عنه

ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الآن بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهير السلطان علي ابودميعة التازروالتي :

حملته اولاد المرابط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهرين يبقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولايطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الامر بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتب برمضان سنة ١٠٦٣هـ

عبد الله سبحانه
علي

(٥)

ظهير في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل

كتابنا هذا اسماه الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بيد حامليه المرابطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبدالله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبدالله بن

---

(١) احسبه علي بن الحسن بن أحمد بن موسى ؛ ولعله كان قائدا على جهة ايمور والغ ؛ فاستحق ان ينبه على ذلك .

سعيد رحمه الله وقدس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنالهم عل مابايديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بسهم والواقف عليه يعمل به ولايتعداه والسلام • في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢ﻫ وعليه طابع ليس بجميل؛ لم نهتدلقراءة مافيه وقد ذكر فيه كما ترى ظهائر اسماعيلية ولعلها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الا طابع كتب فيه؛

(وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته مايأتي (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) ولاندري من منصور هذا ؛ ولا ممن كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيلي وقد كان ولاه على سوس حينا) •

(٦)

ظهير حسني :

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعادشموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كامل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح وذويهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولايحيد عن كريم مذهبه والسلام ؛ صدربه امرناالمعتز بالله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠ﻫ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه •

(٧)

ظهير عزيزي •

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددناللمرابطين اولاد سيدي عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم مااقتضاه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كامل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح وذويهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما لسائر

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام

اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه •

تحرير للقائد سعيد الكلولي الحاحي الذي كان قائدا عاما على تزنيت وما اليها سنة ١٣١٥هـ •

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدى حامليه المرابطين الاخيار ؛ معادن جواهر الاسرار السيد الكامل ؛ والمربي الواصل يتيمة عقد الاولياء وخلاصة القوم الاصفياء سيدى عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاويته بأيمور ؛ عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام وتنزيها لساحتهم المطهرة عمن سامها بقصد ذلك او رام وامتثالا لامر الله بتعظيم حرماته التى هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما بايديهم من ظهير سيدنا المقدس من انهم لايسامون بادنى تكليف ولايضامون باقل توظيف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ وأداء الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء الاعشار لزاويتهم التى للعلم والتى للفقراء قياما بواجب التعاون على البر والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافي الانخراط في سلكهم ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم ظاهرا وباطنا جزيل حقوق القائمين بامر الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر في طريقته ارباب الزاويتين العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدى الحاج عبلا بن صالح بزاوية تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء ؛ الفقيه سيدى علي بن عبدالله ؛ وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين الشيخ سيدى علي بن احمد الدرقاوي وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب عليهم القيام على ساق الجد في خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لما خصوا به من حلية العلم وزينة الوقار ونشرهم في الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعي في خدمتهم ؛ والاجتهاد في قضاء اوطارهم وان لايواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من مصالحهم المخزنية اوغيرها رعيا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه : واعلم بهذا من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ في ٢٤ ذي الحجة عام ١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلولي الذي هو خليفة القائد سعيد ؛وعضده

الايمن الا فال ؛ والذى حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن الناصرى الشهير بالمرقاوى ؛ وقد توفى سنة ١٣٦٠ه

(٩)

ظهير محمدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله :

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره : اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنه جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مداله من سوس حكم مانضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم فى دار السلام : من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل البرور والاكرام ؛ وحاشيناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه ؛ ولايحيد من كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

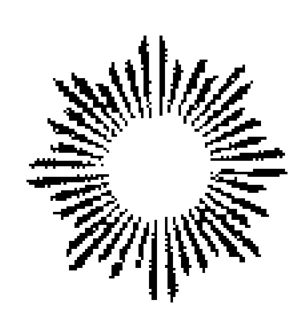
صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ه وقد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦ ماى سنة ١٩٣٤م محمد المقرى وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن يوسف الله وليه .

هذه هى الظهائر والتحريرات التى وجدناها فى الموضوع ؛ وهناك رسائل ايضا فى تاييد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد بن محمد ؛ تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهتد منها الا الى كلمات لاتسمن ولاتغنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ ه وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد :

لله رحلتنا الى ايمور	كيما نزور هناك خير مزود
بلغت به الاسعاد منها رحلة	جمعت شتيت مسرة وحبور
طويت جبال ثم اوداء بها	طى ابتهاج فى الذ مسير
يحدو بنا الشوق المبرح للذى	فيه الجدود ثووا طوال دهور
حيث استفاض الدين منهم مشرقا	كالشمس تشرق فى طفاوة نور
حيث المنابع صافيات للهدى	والرشد صين من الهوى بالسور
حيث استتب اساس اصلاح لكـ	ـل المكرمات مشهر مأثور
عمل له الاخلاص مصفاة وما	اسماه من عمل لهم مشكور
شهدت لهم طرق اثاروا حولها	ماكان خير مشيد مذكور

كانت معاطش ليس تسلم عيرهـا | فاذا بها ضمنت صدور العير
لله منك الهمة القعساء يـــــا | من كان مثل التاج في ايمور
علما لعصرك كنت ثمت خلفت | ايديك ما يبقى طوال عصور
فكذا يكون الصالحون وهكذا | تشدى مناقبهم مـن المسطور
زدت الكرامـة والتشرف والرضا | ممن يديـر دوالـب المقدور
وتقفت الابناء ما رسمت لهـم | ايديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر مايتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيدرحمه الله ورضى عنه .



سيدى احمد بن عبد الله الالغى

نحو ١٠٠٠هـ نحو ١٠٨٠هـ

نسبه

احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

هذا ولد من اولاد جدنا الاكبر الذى قرأت ترجمته ؛ وقد رايت ان لهاربعة بنين هذا منهم ؛ وهذا هوجدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح كثير ؛ وعلم غزير ؛ ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض نتف تلقفنــــا بعضها من السنة المحدثين والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوثائــق التى قرانها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطيل بسوقها .

رايت فيما تقدم ان والدته هى زينب الكرسيفية ؛ وان والده زوجه نحو سنة ١٠٢٢هـ بمريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلى التى سالت اليه ذلــك الصداق الذى ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهى ام ولده عبد الله بن احمد الذى سنرى ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تــزوج ايضا بامــرأة من ال (افرابو) كما رايناه بخط الفقيه سيدى ابراهيم بن سليمان؛ وهذه الاخيرة هى ام اولاده كلهم ماعدا عبدالله الذى ولدته الاولى .

وكان صاحب الترجمة ساكنا فى مسكن والده بايمور حتى انتقل الى الغ بسبب لانعرفه كما لاندرى ايضا كيف اختار هذه القــريــة الـتـى هـى الى الصحراء المقفرة اقرب منها الى العمران ؛ ولم يقع الينا فى ذلــك الا هــذه الحكاية التى اخذناها جزافا كما نلقيها اليك جزافا .

يقولون ان سيدى احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن ايمور فنزل فى سفح الجبل الشاهق فى شمال الغ ؛ فاجتمع عليه هــنـاك الوفقاويون والايشانيون والتاكانزيون والحربيليون الالغيون ؛ فصارت كل قبيلة تقترح عليه ان يشرفها بالنزول بين ظهرانيها وانها قائمة بها حسن قيام فانجمد الشيخ منهم فصار رؤساء القبائــل يتجاذبون الحديث حول ذلك ؛ وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجاذبة الكلام ؛ شاور بعضهم بعضا؛ وكادوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهم ذلك السيد المتئد عنهم فهدأهم ؛ وربط على قلوبهم بهيبته ؛ فامر باقامة صلاة العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد ابدوا ماهم فيه ؛ فما كادت

الصلاة تنقضي حتى علت في جنوبي مصلاهم ذاك ؛ طلقتان من البارود تترى مثنى فالتفت اليهم –وقد سلم من الصلاة– فقال لهم ماذاك ؟ فقيل له انهناك في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا ، ولعله توفي الآن – والعادة ان الطلقتين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاولى بنا الآن ان نغتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الغفير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى احمد الفقير –وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفضت الايدى من القبر ؛ وتمت سنة التعزية ؛ التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انني نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كانني نازل بين ظهراني كل قبيل منكم ؛ فرضي من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ؛ ثم ان ذلك المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لايزال يسمى الى الان (اكن تناكزين)ويقولون انه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذاك (شعب العصر) .

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية الحربيليون الذين آووه للتبرك به ؛ وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛قالوا له وهو محتضر وهم حوله يبكون لمن تتركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح بعدك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدى في السبل ؛ فقال لهم لاهالله لاتضيعون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتي اليكم الله باحمدآخر .

هذه هي الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنى صاحب الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية مايعد مستغربا بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيها ذيولا ممانعهد مثله في الاساطير ولكن التاريخ قلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة اللماعة .

هكذا استقبلت قرية دوكدير هذا الرجل المبارك الذىيقود اليها بحمارته من الصلاح والعلم والدين والعمران ؛ مالايقوده كثيرون ممن يقبلون الى مكان بجياد جرد عتاق .

تلقى الحربيليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين ؛ واستهلوا فرحا باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم .فعينوا له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه بابتعاده عن ذوى رحمه بامور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن انيجدهما بينذوى رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابى موسى : قل لذوى القربى يتزاورون ولايتجاورون .

ثم ان هناك حكاية اخرى توثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بداره

الجديدة ؛ وبعد ان راى من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايراهما لوكان لايزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا ـ كما يحكي الحاكون ـ يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتفلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى انتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلهم يقعون على دواء ؛ فقال ذو راى منهم : ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتفلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تفلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية ؛ فلابد ان تقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتتساوى الكفتان ؛ فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية راى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا ما بينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشي الى عادتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر المها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك •

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان في عمره كله لايهتم بتاثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نره رسما واحدا في ذلك ؛ بل ماكان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يتاثل كل هذه الاملاك التي بايدى احفاده ؛ ولا القيام الزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده علي بن احمد ؛ واما والده احمد فقد ليطلع بها ليسر ؛ مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ماقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ؛ وحين كان بهذه الثابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها •

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ماحزرناه لانه اصغر من اخويه عيسى والقاسم كما قيل ؛ وقد عرفنا انه امي لا يشتغل بالقراءة التي يتاخر بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم نهتد على ذلك الا مايفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب سنة ١٠٩٣هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم لكننا لم نر يذكر في ذلك الرقم مايشعر بان والده توفي اذذاك ؛ وكذلك راينا الاخيه

"محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه البض اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة ـ ببعض ما كان لزوجه مريم في ايام والده ؛ ولم يتعرض فيه لوفاة سيدي احمد؛ بـل الذي يتوهمه منه القارئ، انه لايزال حيا اذ ذاك ؛ وان هذا الرسم كتب في مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط؛وإياكان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا اوظنا الا ماكان من العم ابراهيم ؛ فانه ذكر انوفاته في آخر العشرة الثامنة؛ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتاخر ايضا عن سنة ١٠٨٠هـ وهي ان بعض المسنين ممن يجولون في الاخبار حكى لي ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ماقوض دولة ايليغ وشتت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بشيء ـ ولم يستحضر ذلك كما هو ـ فآنس منه مصيبة حملته عـلى تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ماحكاه لي هذا المسن ؛ فان صح هذا فان وفاته وراء رجـب مـن سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايليغ في ربيع النبوي ـ كما وجدته مقيدا فربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيـهـا حجرا على حجر ؛ ولاسقفا قائما ؛ ولابابا في محله ؛ فيكون رحيله في شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروره بالغ في طريقه الى تارودانت في اثناء هذا الشهر . هذا ماامكن لنا قوله في حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم في وهم ؛ ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل مادخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها في طريقنا الى هذا الحزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا أنني لم اسمعها الا من واحد من غير اهلنا

ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكـور (٢) محمـد (٣) علي (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلاعقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله في ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لايذكرون في اولاد الشيخ ؛ ولايتناولون من نذور مشهده حتى نسي انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العم الذي هو ماهو في انسابنا ؛ ومن املائه كتبت في غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمـد (٣) علي (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

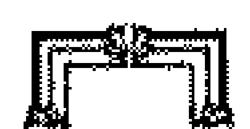
---

١) (من أفواه الرجال)

سيدى محمد بن عبد الله

نحو ٩٨٠هـ نحو ١٠٦٠هـ

هو اكبر اولاد الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ؛ ويذكرايضا بالصلاح وقد استقر فى جهة (كاور) وله دار فى كاور وفى (تالات غزيفن) وفى اكادير (ازرى) ولايزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده فى (كاور) مايدل على ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الى اليوم وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم فى (اكادير ازرى) وفى (تركا اخضير) وفى ايت (بوصحيب) ؛ (ادبنران) وبعض اهل (اكرض افقير) وفى (تاكانزا) وفى (انويدير) وفى (تاحواوات) وفى (دوتمنروت) بـ (ايتوفقا) وفى (ايمور) وهم انمى من ابناء عميهم احمد وبلقاسم



سيدى على بن احمد الالغى

نحو ١٠٥٥هـ بعد ١١٣٠هـ

نسبــــــه

علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كنت رايت في ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الغ ؛ ولم يتاثل فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية ولايزال حقل كبير حول هضبة (اوساياك) ينسب له الى الان ويسمى اوددى ولعله هو الذى تصدق عليه به من الحربيليين ؛ كما لاتزال داره التى اسسها له من تلقوا نزوله بينهم بكلتا اليدين ؛ مشهورة الى الان .

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذيلا ممدودا من الاحترام من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فزاده شرفا الى شرف ؛ وقد كان آل (تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه عند الحربيليين مقاما كبيرا؛ وسترى في بطاقة كتبها اليه عبدالرحمن الساموكنى في شان آل سيدى احمد الفقير ـ وقد نشرناها في ترجمة هذا الاتيةـ ذلك الخطاب العظيم الذى يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامه العصر الاسماعيلى الممتد مابين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩هـ فقد مربنا في ترجمة الجد مايدل على ان هناك ظهائر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولانشك في ان عليا هذا هو الذى تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التى كان لها في زمنه مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة؛ من الحربيليين الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا لوالده ؛ ليتاتى لاخوانه أجمعين أن يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو نفس ؛ وعلو همة ، وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١) التى تقام على مشهد سيدى احمد بن عبد الله من آل (اداى) و (تاجارمونت) وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كما طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون بـه سنويا الزاوية الالغية ؛ قال: وهو الذى حمى آكادير نيت على لآل مريبض؛ وعين

---

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين ؛ والمفرد معروف .

لهم صنجة يزنون بها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ثم لم يزل ذلك معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيتان منذ عام ١٣٥١ هـ وهو الذى حمى بسببه زاوية والده سيدى احمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسما مصححا من تصحيف فى عبارته ؛

اتفقت جماعة اهل الجرفة الحربليون – وهم آل (تاكانزا) وجماعة بنى وفقا وجماعة آل ايغشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الولى الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرابط بتظاهرين اصلا وجارا ؛ وفى دار ابنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لايليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا فى حرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى الضمان قبيلته اثنى عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن سرق شيئا ايضا فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضا مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلايلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ابى القاسم بن عبد الله من النسب اهـ بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فياويح من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شيء منها ؛ ثم لايزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لاتزال الى الان شاخصة ؛ ثم لمادفن سيدى احمد فى دار البرج كما كان الى ذاك يسمى ؛وبنى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولايضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ماجعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

اكنت لاتزال تتذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد التى وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت فى ايام صاحب الترجمة ؛ ويغلب على الظن انه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة؛ وبذلك استدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيا حثيثا متواصلا حتى يصح له الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابن سعيد فى تلك الوثيقة .

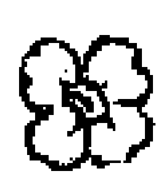
ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمر بك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠هـ والذى حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذى فى تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه فى سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم -٥- من الظهائر الملحقة بترجمة الجد ان الذى حضر هناك ولده احمد بن على مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لايقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهمنا ذلك لمارايناه من تصدره على اخوته ؛ وتوليه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لايكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء مايمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبرمن على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠هـ انلم تكن قبل ذلك بكثير .

هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .



سيدى عبد الله بن احمد الالغى

نحو ١٠٤٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك •

كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدي محمد ابن محمد الحضيكي صنو جد المؤلف ما ياتي •

واخبرني الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد الفشاني ؛ انه بات عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدى عبد الله بن سعيد التظهريتي ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحي (أسا) من ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما ؛ اما انا فما معي شيء ولكن تركت المزود في دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا به منهما فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاخذه من داري فناوله وهو لايبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من زيارتنا وقع لنا مثل ذلك •

اذن كان سيدى عبد الله بن احمد ممن اشتهر في عصره بما يشتهر بسه العباد والصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف عنه بين اهالينا ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر في عصره ؛ ولم يؤثر عنه الاهتبال بتاثيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه ؛ وباستغلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت انني وقفت على رسوم تبريحات متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها من اله ؛ وللاختصار لم نجلبها الى القارئ وقد وقفت ايضا بين الرسوم على بطاقة بخط الاستاذ القاضي سيدى عبد المومن بن محمد الايفشاني ؛ وهي هذه كتبت فيها شهادة لبعضهم ؛

(اعترفت زوجة ولدي عبد الله وهي حواء بنت علي بن الحسن العربيلية ؛ واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدى عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد التهالي من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ والهالم

تضيع لبرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك فى تاريخ ١١٠٢ ه عبد المومن بن محمد بن على بن محمد وفقه الله بمنه .

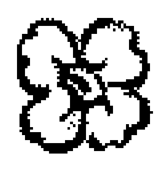
نتامل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع؛ وان امانته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا فى هذا التاريخ ؛ لان الغالب ان هذا الابراء لوكتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هى العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو ١٠٤٠ ه لان هناك فى رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ ه والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتم رشده فى العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ ه لاننا رايناه قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان فى سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة اسباب معاشه ؛ زائدا عن حظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هو بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافى هذا وهذه الحكاية بنفسها هى حالةحياة مرابطينا ؛ دين وصلاح فى ضمنه الكد وراء الحلال؛ لئلا تمتد يدهم فىفاقة الى استجداء ؛

واستف ترب الارض كيلايرى له على من الطول امرؤ متطول

حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به فى قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛ فطلب منهم فى آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛ فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدى اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع .

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة : سليمان ؛ وصالح ؛ وحسين؛وكلهم اعقبوا غير حسين الذى مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

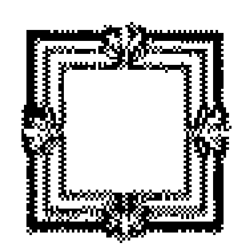


سيدي حسين بن عبد الله الالغى

من اهـل القرن الثاني عشر

اسمــــه :

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ، هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدى الحاج عبلا بن صالح يلم من شمائله ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه بالزيارات والنذور ؛ خصوصا من كان لها ارب في النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انـه مات عزبا من غير عقب ؛ ولذلك يستاثر عصبته بنو صالح بما ذبح على قبره وهو من اهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .



سيدي احمد بن على الالغى

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبـــــه :

احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده علي بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرات ذلك في ترجمته
ثم بعده تولاها احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه
يجول في مسلاخهم ؛ ولم يوثر عنه اي شيء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاب
التي تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوي الى الآن ؛ واظنه كان ككثير من
ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقــادا ؛ فــاراد ان
يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خموله التي لم
اسمع به يذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم -٥- في ترجمة الجد
وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خبر سقط الي ايضا اخيرا ؛ وذلك
ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مــرة
على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار
علي بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من
ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم
وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذللا يمتطونهم كيــف يشاءون
فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استثيرت منه النخوة ؛ وجرح مــنــه
الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة
التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغ -وهو صاحب الترجمة- فكشف لــه
عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لي ؛ فانني انوي مغامرة ؛ فاما القبر واما الصدر
فدله سيدي احمد على ان ياتي الامر من بابه ؛ فامره ان لايستبد بذلك عـــن
رئيس ايليغ - ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليغي اوولده سيدي يحيا
وهو آنذاك كما استرد شان ايليغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان
مثواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء مــتــى ارادوا ان يتراءوا فــي امــورهــم
ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذيول الحكومة منذ تــوفي مــولاي
اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا عــلى
هذه القبائل .

ذهب اوفاد الى بن يامة ؛ ففاوض الرئيس الايليفي ؛ وقال له اننا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات ؛ باى وجه ؛ واننا لناجزون بعقيلة حتى نردهم عنا ومن حرماتنا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا ياسعد تورد الابل ؟ وماهكذا تساس الامور ؟

ان الحيلة فى مثل هذا ـ وقد استشرتنى ووضعت فى ثقتك ـ افضل لما ترمى اليه ؛ والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذرا تقولونه لهم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة ؛ فسيطلبون اذ ذاك مشاورتى ؛ فسأرى ما يجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاهد فقالت لها بعقيلة سننظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيما بينهم ليس عندنا ما نبرم حتى نراجع الايليفي ؛ فالقوا اليه الحديث ؛ فقال لا باس بالنظرة ان استمهل اصحابكم ؛ فهى اول من مطالبة لاتدرون فيها الى الانفصال ؛ فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ؛ وعزمة جديدة ليدلوا بها هامانهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاهد فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليفي ؛ وببركة مشاورة [illegible] ابن [illegible] اوسيدى يحيا ثم كان ذلك ايضا اول الفراق بين ايليف وبين بعقيلة الى آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تنمرا ؛ ورفع الجباه مما يدل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ فصارت بعقيلة تقتل لمجاهد فى الذروة والغارب ؛ وتتربص بها يوما يمكن ان تصبحها فيه بغارة ملحاح لاتبقى ولاتذر .

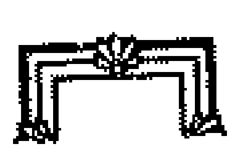
كان فى (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصار يختلف الى (الزغار) كأنه يخطب هنالك امراة ؛ وهو فى السر يهيء سرية كبرى يجتاح بها (تيزلى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فاستتر بطمن [illegible] ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون الى الزغار ؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بغال موقرة خبزا الى ثنية هنالك ؛ فتناول من الاخباز التى فيها مائة من المغاوير الاشداء خبزة خبزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم ؛ ويخوض فى صبوحة (تيزلى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتى تجاوزت الطلائع تازمورت ومجاهد فى دهش المبغوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاهد فى (كراما) فتوافقت هنالك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فواقفوهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاهد ؛ فمالوا على الاخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فانهالوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض من (كراما) ال بسيط وانكيضا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلا ؛ ثم انضافت وانكيضا كلها الى مجاط وصارت تخوم بلادها في اكادير نترگتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى لحر من المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيضا هذه هي الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لي - وهو ممن يعرفون مايقولون - انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيضا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت انه في هذا العهد هذا الذكر ؛ فذلك يدل على انه طال عمره بعد اوائل القرن الثاني عشر ؛ لان هذه الحكاية - ان صح انها وقعت في ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغي ؛ ولم تقع في زمن سيدى يحيا ولده او في زمن سيدى علي حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢هـ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من اخوته لتوليه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هي العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا في امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .

وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد : (١) الحسن (٢) محمد (٣) بلقاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

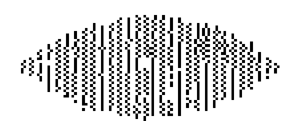
هذا هو جد بعض آل اكادير ايزري ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛فوافاه هنالك اجله وقبره هنالك مزارة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزري ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدي [illegible] بن علي ؛ ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من [illegible] الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لايقف في امثال [illegible] المواقف الا الرجال المتفوقون في الاسر .

[illegible] عنه العم ؛ فقال لي انه من افذاذ رجالاتنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على [illegible] السعيدي ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفاني في [illegible] العموم ؛ مع اقبال في نفسه على ربه ؛ مجتنبا للاسفاف الذي يبتلى به ابناء [illegible] ؛ وقد كانت له سمعة وصيت في عصره ؛واعتقاد من الناس يسوقهم الى [illegible] حضرته ويوثر عنه من الاحوال ماتشنف به المسامع فيهذه [illegible] العم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها في قرية تاركا اوخضير التي نسبناه اليها ؛ فحبب له سكناها فهنالك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي ؛ وقبره مزارة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام في راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدي احمد بن علي المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له في الولادة والوفاة بما رقمنا به الاول .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزري رحمه الله .



سيدى

ابراهيم بن بلقاسم التاكـانزى

قبل ١٠٩٠ هـ ـ ٣ ـ ١١٥٨ هـ

نسبه :

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى "محمد بن عبد الله بن سعيد وله هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد اللـه ؛ وهـو جـد المرابطين السعيديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن بلقاسم ؛ جد مرابطى قرية انويدير (٤) الحسن جد مرابطى قرية تاحواوات (٥) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير .

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لـم تصل شهرة ابناء اعمامه الاخرين ؛ كان متوطنا اولا فى قرية انويدير فبقى هناك ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهلـه فشاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرابط استاسد على ذلك المعتدى فكان الله فى عونه ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرته عن تـلـك القرية التى بتيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الـذيـن لا يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولايعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بـد ان يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحـلـه بـيـن ظهرانيهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال ينتاب الغ ؛ ولايحسب حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض الفقير فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الغ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة بنتا من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيلى الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما ياتى .

ثم ان سيدي ابراهيم بقي بين ظهراني التاكانزيين الكرام مبجلا محترما موقرا ؛ الى ان التحق بربه في ذلك التاريخ ؛ وتولى منه احوال سلبية مما لعرفه امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور •

(١) علي (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) "محمد (٥) صالح (٦) الحسن •

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما علي وبلقاسم فلهما انتشر ماانتشر ؛ ومن آل علي كان الاستاذ سيدي علي بن صالح الافقيري الذي سنذكر ترجمته ان شاء الله فيما ياتي ؛ وهو الذي افادنا ترجمة جده هذا ووقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا •

ثم انه دفن في تاكانزا في مقبرة (تافراوت اوكادير) ؛ وتقام له حفلتان شاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه في حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله •



سيدى بلقاسم بن علي التيبيوتي الالغي

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

نسبـــــه

بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان لسيدى علي بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبدءا ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء الى التصوف ؛ والذى يظهر لى من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال علي من اهالينا ؛ وقد اختـار ان ينتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل فى(تيبيوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولا من اهل اكجكال الذين لهم اوساط بسيط الغ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولمن بعدهم ؛ ثم تحقق عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قريـة اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها فى امثال صاحب الترجمة ؛ وفى سبب نقلته تقول :

انه طاف به امر امر وكرب شديد من قرية اهلـه ؛ فصار ينادى الاولياء لينظروا فى حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فـاكـثـر من الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء فيما يقال — ثم صار ينادى باعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاننى فى ضيق وكرب شديدين ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لى ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من كان محزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاراه موضع قرية تيبيوت ؛ كانه نقطة متلالئة فى وسط هذا البسيط ؛ قال فكان ذلك هو اول ماتنبه الى سكناها ؛ فبنى داره ومسجده فى بقـعـة وهبها لـه الاكجكاليون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هنالك فسحة فى قلبه وداره ؛ ماكان ليجد

مثلها في قرية دوكدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ماخلفه ابوهم سيدي علي ؛ وهنالك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذي اعطاه له ليجعله في داره ؛ وهو ظاهر في وجه الجدار المقابل لمسجده الذي اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقرية السليمانية وهي دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدي احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن سيدي محمد بن ابراهيم السلامي - وستاتي ترجمته - ولاتزال في ملك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آبائه السالفين *

اقول يجول في ظني ان صاحب الترجمة ؛ ما مال الى الانزواء في ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه راى من ابناء ابيه مشيا آخر غير مايعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانتباذ والله اعلم *

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته؛ وانما يعرف انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره *

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك *

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم * وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع*

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور ؛ توفي يوم الجمعة ١١-١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء ١٨-١١-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢- عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ٢-١ عام ١٢٠٤هـ وامراة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء ١٨-٢-١٢٦١ هـ *

وقفت على هذه الوفيات في طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها *

سيدي احمد بن بلقاسم التيميوتي

نحو ١١٥٠ هـ ـ بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك

هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الغ في اوائل القرن الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابل من مرابطينا في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا طارفا اشتهرت به قرية تيميوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار مايجره هو من الخمول ؛ ويتطاير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين له باحسان ؛ فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي للدين الذي يجول فيه مايستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولماكنا في هذا الكتاب نتنكب الاكثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها :

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانتزلماط) وكان لاهل ذلك الموطن تعال وقوة ؛ لاينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر المختال القوي الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاعهم الى غنم هذا السيد ؛ وقد أقبلت للمورد فذادها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ ذلك صاحب الترجمة فثار منه مايثور من كل مظلوم ففزع الى الباب الذي لا يغلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين اولائك الطاغين غائضة ؛ لاتبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لايجري ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ؛ ولاتزال العين مائلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصد ابواب السماء دونها •

ثم انتشر لسيدي احمد بن بلقاسم مال واولاد شبواني فلذلك المجد والريف فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بني سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير) فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد لآل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك لما بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والقربى والقشى - والاقارب دائما كالعقارب ولاينبئك مثل خبير - وقد وقفت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدي محمد بن احمد الحضيكي وهي هذه

(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخوالنا سيدي احمد بن بلقاسم من ذرية الولي سيدي عبد الله بن سعيد التيطافاريتي من تيبيوت ؛ وبين ابناء سيدي سليمان المرابطين من (تحت الحصن)؛ منهم سيدي ابراهيم بن سليمان واخوانه وخال احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شان المقتول من ابناء سيدي سليمان فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدي احمد بن بلقاسم ؛ الذي قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور؛ وانجبر رايهم ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولاغيره الا تهمتهم لاولاد سيدي احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفي دعواهم ؛ استحلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصلوا في ذلك القتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ماكتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدي احمد بن موسى ؛ فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلالي ؛ كان الله له)

اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشات من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي •

امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندري كيف تلقاها ؛ وكيف تجلد ازاءها وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ التقم الشيطان عقولهم فقادهم الى ماايس من مالهم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخؤولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص وفي القصاص حياة عند اولي الالباب

ثم انك رايته لايزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ وقد قال العم انه توفي حوالي ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعش بعد ١٢٦٠هـ رحمه الله من رجل صالح لايزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعقبين علي ؛ ومحمد •

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغي

نحو ١١٣٠ هـ – ٤-٩-١١٩٩ هـ

نسبـــه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بـدا لـه ان يولى وجهته مع قرينه الاتي ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المـعـارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبته ازدحاما ياخذ فيه البعض بعنق البعض – فى لجة امسك فلانا عن فل –

كانت القبائل السملالية والايسية والتملية بل والايفشانية ؛يتلالامنها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مابناه بالسبحة البنان ؛ واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاو ماظهر به للسعيديين الذين لايعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ؛ ومن المـجـد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شيء ؛ حين كان يتلـقـى القرآن ؛ وكذنا نجهل ايضا استاذه فى العلوم ؛ لو لم تهـدنا الصدف الـى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا)وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفـتـي الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لذى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منـه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلابد كذلك ان ننظر ما هو العامل لهذه الاسرة المحمدية –آل صاحب الترجمة– حتى مالوا بولدهم الى

المرسة من بعد ان كانوا لايعرفون من اماليهم الا المسرح لسوائمهم والحرب لعماداتهم فلتفتش سائلت من المراة – كمايقول لابليون – لعلنا لنجد من ام سيدي سليمان مايدعم لنا هذه السنة الكولية التي يذكر عنها انها لاتنخرم فيها بزعم
راجعنا ذلك العقد الذي ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المزكوني السملالي فوجدنا اثناءه ان ام صاحب الترجمة – وهي عائشة بنت الطالب الحسن بن علي التويبيتي – وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه سعيد كل ماكان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثي الدار اما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ابيها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة •

اذن ام سليمان هي عائشة التويبيتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن علي ؛ وقد كنا راينا في الوثيقة الكبرى التي نشرناها في اول ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن علي بن ابراهيم التويبيتي ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه في تلك الوثيقة اول من وقع فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولائك العلماء ينفي من التهم ما لعله يتوجس في مثل هذه الشهادة التي صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدي سليمان هي التي ضرب عرقها في ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن علي ؛ وشرفه العلمي ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة : فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن علي عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لايسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؟ وما هي المكانة التي تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التي رايتها في الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفي اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدي احمد بن بلقاسم الكرسيفي المفتي المتوفى ١١٨٠هـ فانها تدل على رقة في العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التي يتعثر فيها اليراع عثرة بعد عثرة ؛ واما منزلته في عصره ؛ فهي منزلة متوسطة ؛ لانه لايدلي بينهم لابالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحضيكي معاصره واقرانه الافذاذ قد ازدحموا في هذا الميدان فلايجاريهم الا كل بازل قنعاس(١)

وابن اللبون اذا ما لز في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

وانما الذي عرف به ان يتعاطى قسمة التركات ؛ ويفصل ما بين الخصوم في النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان في ايفشان ومجاط وكل القبائل التي تحاذي الغ مخطوطات بيده في ذلك ؛ كما اخبرني به العم حفظه الله ؛

١) البازل الذي له تسع سنين ؛ والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى قرينه سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلالاتاهالينا بمخطوطاتهما وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا دينا مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذهالقبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك هلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين في مختلف البلدان بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحربيليين ؛ وبوادي تامانارت ؛ وقد صارفي زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛ بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي على بن احمد ماكان لابيهم ولجدهم ؛ فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان : احداهما عائشة بنت عبد الرحمن بن محمد البعقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط ربيع النبوي ١١٦٠هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣هـ والزوجة الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمي ؛ تزوج بها قبل ١١٩٧هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١هـ واحمد ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لندرك منها ان اعتناقه المبدأ العلمي قد أماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠ سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة ١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقي القرآن ؛ والتقلب في المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهي عليه العادة المالوفة التي استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من ادخل الى داره اليراع ؛وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي المشهور هذا وباسم المترجم سميت القرية ايتسليمان؛ وان كان فيهاغير اولاده كابناء سعيد اخيه .

---

١) القبصة بالفتح : ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦ـــ٨ــ١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبـــه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد *

لم ننعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامـــي ؛ فانني رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛ ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفا بذلك الوصف في عصره ؛ والوصف بالفقيه في بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقه حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يندفق هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) *

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء تجويده كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ وكذلك عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلـمـه ان تقل عثراته قلة ما ؛ ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندري من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدي محـمد بن الحسن التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المرزكوني بسملالة فـي التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى مابعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلاميذ الحضيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سنة الخ ونحوه في هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمي التمل الذي مافارق المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته في التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم ممن رفعوا راية التدريس في ذلك العصر ؛ فلاندري بمن منهـم اتصل صاحـب الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله ومع جاره السلامي الذي ستعرفه ايضا *

---

١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانبها

٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته القصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلـك من محررات يده التي راى منها مائت ؛ واما انا فلم يمكن لي ان ارى الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والـده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك .

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي بـه في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملياء -وماقلهم- اوصدوا ابوابـهم دون رغبات المدقعين الراغبين؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهـو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور ؛ دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة .

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فراته امراة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلـك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي .

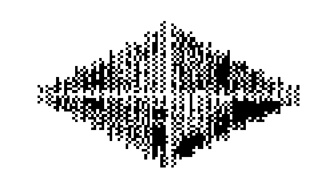
واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاتي - فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التيبيوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاءها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غربيها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرا حتـى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه مـا تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ماتندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولاسند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبارات كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي ؛ وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لايقبله اساطين ارباب هذا الفـن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لايستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احذق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول فـي ذلـك

كثيرا ؛ ينبغي ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (لم يعد كتبي هذا وقفت على مايؤيد تلك الحكاية من اقوال الناس آخرين مما يدل على شيوعها)

انصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دام على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (تكدا) بنت عدى (التي سنتالى ترجمتها) اورثته حيا حين تزوجت ال الغ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك؛ ولذلك ترقمنا له بما ترى *

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم *

هذا فالمترجم هو الحافر للبير في (تاغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي مسيلة للمرابطين لاللحربيليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالى ١٣٦٢ هـ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدي ابراهيم في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذي انفقه في الحفر ؛ وقد حكم في القضية شيخنا سيدي الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبـــه :

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدى سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتهما واحدة؛ ومجالاتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هى ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان فى قسم التركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما ليعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدى سليمان هو الذى له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين .

ذكرنا فى ترجمة سيدى سليمان ان شيخه فى العلوم التى عنده ؛ هو سيدى مسعود بن محمد المرزكونى ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على ما نستدل به فى هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشىء من كتبه لعلنى اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التى وقفنا عليها لسيدى سليمان حتى اخباره ثم اعرف منها الا ماذكره لى العم من انه رديف سيدى سليمان فى كل مايزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدى عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدنى فما زاد على ان قال انه راى فى مخلفاته مايدل على ان له يدا فى الفرائض والحساب والهياة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفض الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لى ان ارى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدورى ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدى سليمان الذى كان حيا من نحو ١١٣٠هـ الى ١١٩٩هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا فى زمن الولادة والوفاة .

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع .

سيدى صالح بن عبد الله الزاوى

قبل ١٢١٠ هـ ــ نحو ١٢٦٠ هـ

*****

نسبه

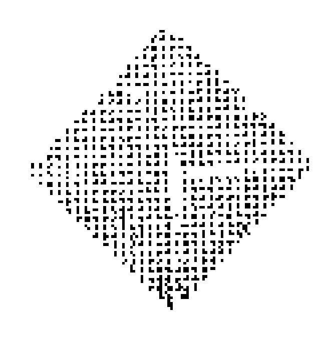
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

سيدى صالح كاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح في جده صالح بن عبد الله وفى ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا ان نفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف في الحقيقة كثير مـــن اتصف به مـن اهالينا الى الان ؛ وشرطنا ان نعـرف للرجل مايستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحـه تلفت الانظار فاننا نعتني به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يـراعـى المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبصر شيئـا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضى الى وسطه وقد جرى ذكره فى كلامنا على سيدى ابراهيم بـن سليمان وقد حكى عن سيدى صالح اخبات كثير وديانة ومسكنـة ودعـوة مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلايملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التى تيسرت فيزكيهـا فتنزل البركة ؛ فتكفيه مالاتكفي ماءات المكثرين ؛ حكى لى مجاطى عن مجاطنلة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال لـه ان هـــذا لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لاتكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكـم تدخل انت من محصولك؟ فقال ادخل المائة فاكثرفقال له: ومايدريك انيتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث احتاج المجاطى الى البذر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا في متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بفرق كثير في وادي تامالارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقي تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امراة من تاكفيشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقي كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره ـ فقالوا ان كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعنك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب الينا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدي مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف فاذا هم لاعين ولااثر فاعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك •

كان سيدي صالح مقصودا في عصره بالرقى والتمائم والدعوات ؛ معروفا بذلك فلايخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راى من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذي عندي؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطا فعليك بسيدي ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا غني كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر •



سيدي

محمد بن احمد السعيدي

نحو ١٢١٥ هـ – ١٣١٦ هـ

نسبه

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا جد والدي ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك في ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا يذكر الا بهذه الوجاهة وهي مالانعتبره في اهالينا بالترجمة الخاصة ؛ مالم يكن دينيا صلاح مشهور اوعلم لان امثال هذه الوجاهات في قبيلتنا وجاهات شخصية تعم الاسرة ؛ ولانجد القبيلة منها طلا وريفا ولاتسمع منها كلمة نافذة والتي اسقطنا شرطها في اهالينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح وبركة وشهرة وسعلى لم تدرك شهرة معاصره سيدي صالح المتقدم الذكر ؛ وكان الناس يتناوبونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا في المرض الذي يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى أشرف على تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذي هو والدنا آل الشيخ ؛ وأعمامنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدي احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج عبد الله المتوفى في الحجاز في ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذي سنرى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذي افادنا جل مافي هذا الكتاب وسنرى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذي القعدة ١٣٦٦ هـ

هؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى

نحو ١٢٥٠ هـ - نحو ١٢٨٩ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشا بالغ من اهالينا بعد الفقيه سيدى سليمان المتقدم فرفع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل في كل مسابقة ؛ والاستحواذ في كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح بعلالة يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية ولا اخبار تؤثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛ ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة الفهامة الفقيه المتمكن في تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛ وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران ؛ ثم بينماهو يتاهب فلكه للارساء ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط اوفر ماكان نشاطا واعلى ماكان شهرة فذهب مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلمة واسعة في الغ اذ ابكت قلوب الاصدقاء واشمتت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم في كل عصر ولكن انذهب سيدى محمد ابن بلقاسم ؛ فان الغ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود الثغور كلهابه بواسم ؛ وايام الغ بهوبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت في رابعة النهار .

فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل وارباب بها فقط ؛ فسياتى من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

او عمل .

بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه في حين اخذه للقرآن؛ ومن هم اساتذته فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندري عن شيخيه الاستاذين محمد بن محمد الافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكني وقد غاب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ عنهما ؛ والاستاذ الافاماني كان في المدرسة الايفشانية حوالي ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة ؛ والآخر كان ايضا في مسجد (ايشوكال) في اكادير ايزري ؛ فهل اخذ منهما في هذين المحلين او في غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتيم الحاج عبد الله بن عبد الرحمن واخواه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذي لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل ١٢٩٠ هـ فهؤلاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذين الافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم .

ثم انا راجعنا كتبه التي خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة الى الآن ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطي وانهاها بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨هـ والتاودي على الزقاقية في [illegible] الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل [illegible] في المبيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوي والفقهيات [illegible] والتاودي على التحفة ومتن الزواوي؛ وكنز العربية شرح الاجرومية [illegible] وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر ؛ والازهري على الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛ هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه لم يتتبع كتبه كل التتبع حتى يعرف ابقى وراءه هذه من مخطوطاته شيء ام لا قال انه لم يؤرخ من منسوخاته الا التي ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر عليه ندرك همة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فحين كانت الكتب الدراسية تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد في الاسواق للبيع ؛ ولامثال هؤلاء يستعار منها القليل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا في الافذاذ الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل .

كثيرا ما اسمع بعد رجوعي هذه المرة الى الغ بصاحب الترجمة وانا خلو من علمه ومعرفة شانه قبل ؛ فصرت ابحث عنه علني اصادف من ادركه ؛ او من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لي بعض مايتعلق بـه؛ والاما كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لي استحضر وانا صغير ارعى بهم(١) اسرتنا في سطح ربوة مشرفة على قريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

---

١) البهم بفتح فسكون : صغار الغنم

اتشحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صغار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته انّ تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩هـ ثم حكى لى ايضا ـ وقد سالته عما يسمعه من عند اهله عنه ـ قيل لهذاالفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛فاذا جلسوا اليك لايلبثون انيرجعوا في هدوء وسكون ؟ ماذا تصنع بهم حتىتفثأ شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلطه واما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحيى منى ؛ فانني أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فقيل له وأما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لايستحيى منك ولايهتبل بمقامك؛ فقال اذا كانا كذلك فاني اعالجهما بالتى هى احسن حتى اصرفهما عنـى ؛ وكـل مـا أتطلبه منهما أن يهـدءا حتى يبتعدا عن مجلسى ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيها هى لاريب التى رفعت من شانه ؛ واعلت من مقامه ؛وأسالت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك مـن العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لايتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم في مراجعةالمسالة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ واولى من يعطيها من صحت لـه القضيـة ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلكالطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض في ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى ؛ وقد اخبرني الحسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوفقاويين كان حكمه وصاحبا له في قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوفقاوى راجع الفقيه فقال لهانا غلطنا في الحساب حين ادفعلك اجرتك ؛ فقال الفقيه انني تحققت ماتوصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ماتراضينا عليه ؛ فكان الوفقاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتؤاخذني بين يدى الله ان خنتك في درهم واحد ؛ ولتقف في باب الجنة ان قـدرت حتى تصدني بدانقك ان مـر الى ؛ فطوى الوفقاوى البساط ؛ وقد جد الجد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرابط الضعيف

---

(١) لعبد الرحمن الجشتمى :

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا ... فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين ـ بعد ما اعل العلم شانه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

اخال ان سيدي محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥هـ قبل السنة التي سافر فيها استاذه سيدي الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذئذ لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده في ذلك ببلاد الوفقاويين والمجاطيين والحربيليين ؛ وكان الذي يصاحبه غالبا سيدي الحاج عبد الله بن صالح اولك اخبرت انه هوالذي قسم املاك ايت اورعي ببعلاش؛ اخبرني بعض البعلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بآرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافاماني ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازي الساموكني ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكني ؛ والى الاستاذ احمد بن عدي العركوبي ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسي الملقب هموش ؛ والاستاذ علي بن محمد التوزونتي المجاطي التمكيدشتي ؛ والاستاذ أحمد بن محمد الايفري التامانارتي والاستاذ سعيد الاساكي الافراني وأشياخه الجشتيميين ؛ وربما كتب سوالا واحدافي قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لايتكبرون من ظهور جهلهم ولايتعالون على معاصريهم حتى لايتنازلوا الى مساءلتهم في مسالة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن علي البريمي التازروالتي؛ والاستاذ الحاج الحسين الافراني ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ ؛

« ه وبعد فقد أذنت للفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التيبيوتي سلالة سيدي عبد الله بن سعيد في تنفيذ الحكم الذي ابرمه سيدي احمد بن محمد المتكي ـالايفري ـ على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالفي بعد أن الفى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه في ٢٣ من ذي الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافراني كان الله له وليا ونصيرا *»

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رايت في مخاطبات بعضهم اليه اجلالا واحتراما ؛ ثم مازال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة في ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغي فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خشنا غليظا مما اعتيد لباسه في الشتاء في ذلك العهد ؛ وفي مدخل راسه المنديل وراءه كتاب فلهي صاحبه معه هكذا تحكي حياته تعجبا لان المعتاد من العلماء تحسين الهيأة ؛ فتوى بايليغ فبعد أن رحب

به رب المثوى ساله عن مسالة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجراريين : امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليغ وهـم كثيرون اذ ذاك افتوا بأن الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف أن يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التى توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالى باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهر لك فى مسالة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنالك ؛ وفي اليوم الثانى قال له الرئيس الـق مسالتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد أن يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم فى هذه المسالة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق فى المسالة ؛ وان الملك انما هو للجرارى ؛ وليس له ؛ فالقى سيدى الحسين على اذنابه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التى يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذياع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه فى الرمضانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين ؛ فكانت لنا كالمجهر الذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارئ اليها فى كتابنا ـ آثار فقهية للمتاخرين بالغ وغيرها ـ فقد حشرنا فيها كل آثاره التى لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب ـ لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التى يعدونها ـ فيما يزعمون ـ من المستثقلات)

كان الاستاذ التيبيوتى اتصل بالجشتيميين كما رايت فى تواريخ نسخه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخالاانه اخذ عن الماقامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتيمية ؛ أخذ عنهما المبادئ والله اعلم. ثم قبل ١٢٨٠هـ رجع موفورا مودعامناساتذته الجشتيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهوبينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقى الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقدرايت فى ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الاخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروالها عبيدا ومدخرات ومواشي كثيرة ؛ حتى ليقال الفقران ولدت -١٠٠- شاة في يوم واحد ؛ ولايخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعدفيهامن يملك اذذاكمائة ريال كرتشارد الاسرائيلي المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان مانا له الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واتل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر ؛

وبعضنا قائـل ما اغتاله احد　　　　وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لانني رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احـمد وعبد اللـه ومحمد -فتحا- بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرني به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح انوفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ولكن عمت البلوىمنه ومن غيرهمن فقهاء هذه البلاد بعدمالاعتناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكناين من يعتني بـذلـك ؟ فياضيعة الاعتناء ومدفنه في قرية تيبيوت في المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايته حين اتصل بالجشتيمية سنة ١٢٦٨هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادىء حتى امكن له ان يعتني وينسخ ويكتب مايكتب في آخـر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو -١٩- سنة او اكثر ؛ وقلما يكون أقل في نظر من اعتبرما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركـوا هذا المدرك ٠

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدي محمد بن بلقاسم التيبيوتي الذي ابتهجت به الغ حينا قصيرا ؛ ثم رزئته سريعا ولم يخلف لـهـا الا تلك الآثار الفقهية لاغير ارحمه الله ؛ وجعله في اعلى عليين

الحاج على التيبيوتى

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥-٤-١٢٩٨

نسبـــه :

علي بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا فقيه آخر من قرية تيبيوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه في المعلومات ولمفارقتـه المـدرسة ؛ ولتصدره في ميدان الشـهرة ؛ ولاشك في ان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الغ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المـدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج علي ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨هـ فمرض فلحق بربـه في وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه •

حكى لى ذلك المسن التيبيوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كث اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم؛ وقد حكى كيف احتضر؛وان الغرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدأ حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا في بيت ؛ قال وبه استعان ورثته في المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالى بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيبيوت فعزى اهله •

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله في مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهومه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولا اننا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لايذكر من لم يفد لافى حياته ولا في مماته شيئا فقد حيى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كأن لم يكن حيا ! ومن لم يحى في التاريخ بآثاره ؛ فلا حياة له

ولبعض الالغيين :

الفجر بالنور وزهر الربا	بنفحاته الذكيات
لولا فرند ذى الفقار وما	يؤثر عنه فى المجالات
لما رأيت اليوم من ذاكر	له فقط فى المشرفيات

الحاج عبد الله بن صالح الالغى

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبـــــه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صغار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضي الا حقبة حتى تراها تعلـو مـا حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالى تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهى تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيقة فارعة كانها عماد من عمد السماء ؛ لو كانـت السمـاء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعثاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياشهم الى زاوية لايزاحمهم فـيها احـد من المثرين من ابنـاء أعمامهم الذين يتهالكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا عـلى الارض واطراقا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنـــــا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيـهـا فلما علمـوا ... انها ليست لحى وطنـا
تخذوها لـجـة واتخذوا ... صالح الاعمال فيهـا سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التى قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيراكثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الغ لـــواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

وورث الحاج عبد الله من والده ذا لك الصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنانه؛ فما مست يده مريضا ولا بهيمة ولا دواء الا جاء الشفاء سريعا؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار؛ فقد سأله والدي مرة من اين يستقي تلك الادوية التي يصفها للناس؛ فقال له انما ذلك شيء ينقدح في ذهني عند سؤال سائل ويصحح ماقاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين؛ لداء واحد للسائلين؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطبب عن والده سيدي صالح؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي الزجى به حياته؛ بل نامس هومن الخمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدي عبد الله بن احمد؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلح وكسب واثل وتاجر؛ فلم توسط العشرة الثامنة ـ٧٥ـ من القرن الماضي حتى كانت له ماشية كثيرة في ايسافن مرتبع اهالينا الالغيين؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدي محمد الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد؛ فمازال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات؛ فحينئذ فهم والده عن الله؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما سترى ذلك في ترجمة ولده؛ ثم لما اطل سيدي محمد بن بلقاسم على الغ بروعة العلم التي اظلته انحاش اليه صاحب الترجمة؛ فصارا يتصاحبان كما رايته في ترجمة المذكور؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاد الجهد في تثقيف ولده؛ ومن هنالك جاءته هذه الفكرة التي طلعت على الغ بحظوة لم نطلع بمثلها اية فكرة اخرى ٠

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي؛ لما لهذا فيه من حسن نية؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران؛ كما اخبرت ايضا انه باكل(اساكاو بلاغ) اتصالا؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس ١٣٠٣هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة: ان والد هذا سيدي الحاج عبد الله شيخنا ٠

هكذا خرج من انزواء اهله؛ فصار يعمل لكل جانب حركة؛ ولكل حركة بركة؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدي محمد بن احمد التيمولاي في دراهم اشترى بها زرعا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاي فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاربح فيه؛ فقال يكفينا فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذي لابد منه والطائر لايطير بغير الجناحين؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدي

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٩هـ وابراهيم ١٢٨٢هـ وكلهم انجبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة .

ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راى ان يخصص لهم استاذا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقرت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خيرمعين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده الآفاق ثم توج شرفه بالمثول بين يدى مولاى الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شفوفه على الاقران شفوفا كبيرا ؛ وامتعه الله بطول العمر حتى راى من جميع اولاده تفوقا في العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايحب الا معالى الامور ؛ حتى في البناء فلايحب الا العالى المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راى من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبنى بعد ؛ وليس ببناء وماصدقه في ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضى فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزىءايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزئه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ في العتاب ولا يستقصي في التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه في اى شيء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريده والده ؛ ومبلغ تاثره في ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فاشهر من نار على علم ؛ لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشي والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطبيه عن ذلك اى شيء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالغيين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتي بها　　فليس بمغتر بقل ولا كثر

ومن عرف الرب الذى خلق الغنى　　نظيرى فاني يطبي عنه بالوفر ١

---

١) أطباه بتشديد الطاء : استماله

واما نظراته في مختلف الامور فهي صائبة ؛ ويؤثر عنه كشف كثير ؛ وآراء سديدة ؛ وحكم مأثورة ؛ حكى لي استاذي سيدي عبد الله بن محمد انه القي يوماً من صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لي دهش كثير ؛ فذهبت بها اليه ؛ فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك

وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرني به العم ثم اقترن ايضاً بعائشة البعقيلية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ؛ وكفاها شرفاً انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين عما ماهما

وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعتري صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فشاع مرة انه توفي مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين للتعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان مبل من ذلك المرض ولاباس عنده ؛ فاستحيا الوفقاوي فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك فقال او تقول الناس ذلك ؟ اني اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سقط ؛ فالتحق بربه في ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ علي بن عبد الله والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فووري في القبة ازاء ولده الاستاذ محمد ابن عبد الله ؛ وفي بقية من كفنه كفن الفقيه الصالح سيدي عبد الله بن محمد ابن القاضي الايديكلي الذي توفي بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر في القطر السوسي ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله ؛ يعزي ولده الاستاذ علي بن عبد الله :

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع ... تذال نفوس لامصون من الدمع
ابعد مصاب المسلمين بفقد من ... يقوم مقام العين للمجد والسمع
وبعد مصاب الدين بالواحد الذي ... ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
وبعد ابي الاشياخ الفضل والد ... يساء بضر او يسر بما ينفع
لقد زلزلت ارض السيادة بعده ... ودكت جبال المجد من نفخة الروع
وغيب منه اللحد بدرا تكشفت ... عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
وفل منه الموت لادر دره ... شبا صارم ان سل فل شبا السبع
واوحش ربع الدين منه وطالما ... نأى جنبه جنح الظلام عن المضجع
فاي امرئ يفري العويص فريه ... ويكشف وجه الراي في الجلب والدفع
لقد كان للمجد المؤثل ساعدا ... فمات فكف المجد مني بالقطع
فو الله ما قام النعي بموته ... فاخرس الا والكمال هو المنعي
فصبرا امام الدين فالصبر صارم ... يسل فيرمي مارن الرزء بالجدع
فيالك لتشييد الكمال كفاية ... اذا مال منه الركن تجذب بالضبع
فلا تخضع الصم الصلاب لزعزع ... يهب وانت في العلا علم الرفع
فلا رزء الا دون رزئك فلسكن ... تلقيك امر الله بالسمع والطوع
فدونكها مولاي من فكرة ذوت ... نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
تسير وفاء لو تمد بمنجد ... من القول لاستقصت مدى الواجب المرعي

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبـــــه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمـد ابن‌عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهـرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والـحـدائـق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفياضة والمراتع التى تفيض حينا بالعشب النضر ؛ وحينا بالغثاء الاحوى ؛ كل ذلك منعته منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به؛فما هناك الاعاصير شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع تتدافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كانهاصفوف نخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن مـن امضوا اعمارهم فى وسط تلك المهامه القفار ؛ انهم امضوه تحـت قبة السماء - كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لايزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عـوضت الغ بعد ماحرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم‌والادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيرا فى الغ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعونته اسس الشيخ الوالد زاويته‌بالغ بعدماعزم ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ماجعلـه نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابـن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وربيب الغ‌شيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

في الاشادة بمعارف الغ الماجدة :

تاهت بواحدها السبع فقلت لها	ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض ثراها عبير والنسيم شذا	والماء راح وكالياقوت حصباء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالينا ذوق محسن ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ؛ ومغناطيس جميع المقامات العليا التي تشرئب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا غريبا حتى لايحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذي انتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التيمودي المتقدم الذي استراح في الدرجة الاولى واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التي اشتهرت بها الغ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضي بين البلدان السوسية ؛ حتى صارت مثلا مضروبا في الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالغيين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذي وضع بفكرته البذرة الاول لعلم الادب بين ما يلقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغاء اصحابه ونبغاء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالغ خاصة ؛ ولسوس عامة بل والجنوب المغربي اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلالا فوق هامات هذا العلم العال الذي لاينال اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس مما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار في طريقه ؛ حازوا به خصل السبق وتلك سنة النمو والتدرج والترقي ؛ ولايمكن في العادة ان تنخرم سنةالله في كل شيء ؛ ولن تجد لسنةالله تبديلا .

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره في الخالدين ؛ وليبق ذكره معسولا في افواه ذاكريه في ندوات التاريخ التي لاتزداد بتقادم الازمنة الا جدة وطلاوة .

فليحي الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحي ذكره امد الدهر ؛ وليحي كل من بذل جهده في اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحي هذا الادب الاندلسي النضير الذي ما ازهر في الغ بل في الجنوب المغربي الا بسببه

مبتدأ لا

كان بكر والديه وكانا يطمعان منه مايطمعه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشي من ابنهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعينا على مشاق الحياة وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا من يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملالن التمليين احفاد الشيخ سيدى يحيا بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهالينا يتيمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان في تعليمهم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند احدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راى والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان ـ وقد افردنا له ترجمة ـ فبه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افعوعم اناؤه ؛ وعتقت رحيقه فرجع يختال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل مناه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضي فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الابعلم ؛ ولاعلم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة ايابه من تانكرت ١٢٩١ هـ

في مسجد قريته

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرة عجلى على هذا الطالب النحيف الذى لايحرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة منتهى سمو اهلها في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حبائل لفصل الدعاوى وفض الخصومات لينتثر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتي هاجر ماهاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العد ؛ ثم ماجال في ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلده ان يبث ما حصله في صدور النشء
ولا جال في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبني له بمثل
هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله
فكان منتهى عمله وهجيراه ان يظل يدور من ابت وفقا الى امتضى الى مجساط
الى ايليغ ؛ ليحتفي مستجدا يزيده الى ما عنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في
ذلك العمر عشر سنين انه لما مات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تمحى من الوجود لو
لم نتصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هـذا
الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي
لاترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان ليست
بالنظر الى الاستاذ التيموتي فقراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج هبك
الله بسعيه الحثيث الجديد ؛ ثم ليس هنالك شيء آخر يعتمد عليه في اداء
مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونت الاسس اولا ؛ ثم
رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء لم لم يطل العمر بالاستاذ محمد
ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التيموتي منذ
ادرك المدرسة ؛ وانتصب في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العملين ؛ فـدرك
الفرق بين العملين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملاوا هذه الارجاء
علما ؛ فاين من ابقاهم الاستاذ التيموتي من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد
ان مات من الدروس ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هو ذا قد انتصب
في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وها هو ذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض
البنايات يتسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وها هو ذا يمولهم من
عنده وها هي ذي دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذي اسسه
فيه ؛ وها هي ذي سنوات ٩١-٩٢-٩٣ قد مضت وهو لايزداد الا نشاطا ؛
والطلبة المنقطعون اليه قد بدأت هالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فما هذه
الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمته النادرة ان قيس باهله
وعلمائهم ؟

في المدرسة البومرانية

اذا اراد الله بانسان خيرا هيأه من حيث لايحتسب اعانات ؛ واركانا
يبني عليها بنيانه ؛ حتى لاتزعزعه العواصف ؛ ولاتنسفه القواصف فهـذا
بعينه ما جرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب
السنة المظلمة التي المت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛
واتلفت الاموال ؛ واتت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتثت اصولها ؛ ولا
يدري الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك السنة

وقد تطوق بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛ فقد حدته العناية الربانية التي لايعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية فشارط فيها ؛ والمدارس لاتخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساغب وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية من سنة ـ٩٤ـ٩٥ـ فكان زرعا كثيرا فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة والاملاك من ارخص مايكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكا كثيرة في قريته وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لايزال مشارطا في المدرسة تلك ؛ عزم على تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتي الا بخير؛ فاعمل رحلة الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدي الحسن بن احمد بن محمد التمكدشتي فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدي عبدالرحمن العوفي عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالغية صانها الله وكان سيدي الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛ ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه   وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدي الحسن اسر الى بعض جلسائه مايدل على ذلك في صورة مباسطة يسائله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب سيدي الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان مظنونا صار محققا

المدرسة الالغية تؤسس

كان الاستاذ لايزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالي الدروس لتلاميذه بهمته المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته مااستطاع الى ذلك سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطا في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالاة الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة السنوية التي شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة الالغية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

المعهود في كل المدارس السوسية المبثثة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم المالية القرية ؛ المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتأسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ماكان من صاحبنا الاستاذ "محمد ابن عبد الله المصامي الذي اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا؛ فأنشأ مدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايغشاني ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها -يتلقفوا ما يلقون- وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الغ باعانات من اعشارهم ؛ التاكانزيون والتلجلرموتيون والايموريون اخوال الاستاذ • واما آل (اسيف مقورن) فقد انتسموا بان يقوموا بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير معينين لابن اخيهم الذي قاد اليهم المجد المؤثل بارسائه ؛ فجعله في متناول ابنائهم ؛ ووضع لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لايوصد أمام قاصديه ؛ لم ابائهم فيوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال ابائهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للتقوى ؛ ونور الله بصائرهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحسد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم أولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تتآكل قلوبهم حسدا ينفسونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فاوحى اليهم حسدهم ما اوحى فقاموا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجد سيدي عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار -كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله- ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ في ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت في قعر يم ؛ لان المدارس باساتذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو ابن معد يكرب لابنصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛ الا من شارك فيها الاساتذة سيدي احمد بن صالح الافراني ؛ ويليه سيدي

"محمد بن الحاج ؛ وسيدي المكي اليزيدي وهؤلاءومن تابعهم انما علمهم مـــن الاساتذة الالغيين الاخرين وما هم الانفحة من نفحات المدرسة الالغية ؛لان هؤلاء خريجوها واولادها والمربون في حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالغية على الجد والاجتهاد ؛ فانهال اليها الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التي كانـــت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذكان في مسجد القرية ؛ وفي المدرسة البومروانية كالاستاذ العربي الساموكني واقرانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقـوا ؛ ونالوا في تعلمهم المقام الذي يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة في الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذي سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة؛في تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافراني وابو القاسم التاجارمونتي وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيتقبل الاستاذ كل من ورد عليه ويركزه في الطبقة التي تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛وكان طلبتها في ذلك العهد لايتجاوزون خمسين ؛ ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التي تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزيـــة والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمديـة الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالغية الحديثة العهد هذه القديمـات المكتظـة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابكثرة المجتمعين

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقـر مقـلات نـزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع أسس بناء فكرت في ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم مراسية لئلا تتزعزع اركانـه

تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانـــه

واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبنى على ما رسمت عليه من اول يـــوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة مايدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم مايتلقى فيستكثر له مـــن تكرير القواعد وممارستها في كل فرصة ؛ مع اجالتها باسلات لسانه ؛ فذلك

[illegible] الرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لاينساها ولاتلتبس
[illegible] امورها ان امعن بعد في طرق العلم الشتى التي يدفع اليها متى شدا فعلى
[illegible] الطريقة سار الاستاذ في تعليمه ؛ فبثها لكل من درج بين يديه فمازت
[illegible] الآل من يعلم من الالفين بعد ؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون في ذلك
[illegible] صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدو للمبادىء وقد
[illegible] الآجرومية التي يقرأها لابد مرتين في اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود
[illegible] ان لم يدرك معناها كله الان فانه يعدها في حافظته لماسيأتي ؛ وقد قرأ
[illegible] المتون الصغرى الجمل والزواوي واللامية والمثنيات ؛ وهذه هي متون
المبتدى في النحو ؛ واما في الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه وانتهـــا
[illegible] مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهـــو مأخوذ
[illegible] كل القواعد وما يكتبه في لوحته ؛ لان الدرس في هذا الطور الثاني
[illegible] ايضا الا بها ؛ وهو وظيفته يطالع النجباء لهم الدروس التي سيقرأونها ثم
[illegible] هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين
[illegible] للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لايمضي للتلميذ سنتان فثلاث حتى
[illegible] التي الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقاقيـــة
[illegible] والالفية بالاشموني ؛ وقد كان في المرة الاولى يقتصر له عـــلى
[illegible] ؛ ثم في هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شيء من حديث
[illegible] وحساب بعد ما الم من هذين بشيء قليل في الدور الثانـــي
[illegible] الاربعاء وفي يوم الخميس يتلو في كتب الادب التي كـــان
[illegible] من المقامات الحريرية التي يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفي
[illegible] قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلـــقات
[illegible] والدالية لليوسي والهمزية والبـــردة ؛ فيدرك الطـــالب
[illegible] ؛ ثم يطالب في مناسبات مختلفة ان يتراسل على
[illegible] الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعتني
[illegible] الادب والانشاء ؛ والا فيكتفي منه بان يدرك الفضة من القضة ؛ والتمرة
[illegible] ؛ وفي الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان في متون التلخيص
والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول في جمع الجوامع ؛ هذه خطـــة
[illegible] الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولايتخطون هذا الـــنظام
والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه في مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا عـــلى
التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لايمكن ان يهتدي اليها الا مـــن
[illegible] بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت في
شيء الا صار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .

هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله في مدرسته الجديدة التي سار فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التي توالت عليـــه بعد ان كاد يتورط في بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين في انجاز الاعمال .

العشرة الاولى

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة اليومروانية التى كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على مااقتصده فى مسجد الزاوية قبلها وامدته بشرط آخر تاتى له به وبما فى يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هى معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذهالاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير انتريح الى خزانته حبة واحدة؛ثم طلعت السنة التى بعدهافاذا الناس يتضورون سغبا؛ ويسقطون بالجوع فى الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية ممحلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجدلها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم فى التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذوراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشرى

زار الشيخ سيدى المدنى الناصرى تلك السنة الغ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذى مرؤة يواسي اويسلى او يتوجع ؛ نفض الاستاذ شكواه الىضيفه فقال له وعيناه مغرورقتان بالدموع ـ كما حكى من حضر ـ انى ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم وألفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نامر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكأن السعد الذى كان ازاءنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكأن الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى باعينناكيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهدأه الشيخ بكلمات مسح بها بعض ماألم به ؛ ثم قال لهقم بنا الى هرى المدرسة؛فمدالشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لاتخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهري من الشعير ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد مابارکهرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لايخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا ـ فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام والقى الخصب بجرانه فى الغ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بالغ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافعوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

من الناس ؛ فاقال الله عثرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان الله كان الله له

العثرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين الرائه مسابقة في ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودي حق المدرسة ؛ وربما تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى مراكش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ راى ان يستعين بالاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي فشارطه في مدرسته ليمكن الدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ اليزيدي مما وقى به صاحب الترجمة من العثرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا اثقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولاينبئك مثل خبير

الاستاذ وطلبته في وادي إفران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادي افران ؛ فقصدوا الشيخ سيدي المدني ومعهم الاستاذ اليزيدي ؛ والدراسة سائرة في طريقها ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدي المدني هذا ؛ واظن ذلك في سفرته هذه

ايا ابن القطب احيا الدين جهرا	وجدد ما وهى وازاح جهلا
اتينا كي نزوركم وكنتم	لذلك في اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدي	وسعدي قولكم اهلا وسهلا
ومد للضراعة نحو ربي	ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
وثم عليك من ربي سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتبعوا قراهم بياتا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا في تلك السنة ؛ حتى كاد يكون بلاثمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة ـنحوكيلوـ من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا الى ان حلوا بتيمولاى اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتلبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على المومنين ان يبتغوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يباشر إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١هـ والاستاذ مشغول بارباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فقضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢هـ

الاستاذ مع رؤساء إيليغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقيله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سياتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفتل قبل ان يألفك الرئيس واما الان فلا ثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالغى فى كل الرمضانات حتى لحق بالملا الاعلى .

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البنيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ ـ جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه ـ كما سمعت ـ ان يقيد ذلك فنفذ له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ـ٦ـ فى الملحقات بترجمة الجد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدته الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

ماشينا الاستاذ منذ ولنه الاول ؛ فصاحبناه في كل تقلباته المختلفة ؛ وفي جميع مقاماته التي يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه الهمة الفذة التي هي كلها تطلع الى المرتبة العليا التي لا يعلى عليها ؛ ويبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين اقبل على تشييد المدرسة كل اقبال؛ ما نصنع نحن بمدرسة جديدة ؛ والمدارس المبنية في القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصد ابوابها دوننا ؟ فباى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع أن المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ مابنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون املا ؛ ولكي يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ اوانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هي همة الاستاذ ؛ وهذه مقدرته التي برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التي اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التي تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هي التي شحذت همته ؛ وارته انه لايفوز في الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شبيبته وكهولته هي التي اوحت اليه الفكرة العليا التي ينفذها في شيخوخته ؛ ولكن كم يطول تعجبه ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذي لايلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالي ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا النووى ؛ والفاتح الشهير اسكندر المقدونى ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التي يتاتى لمن كان في وسطه ان يقوم بها مايزاحمهما به في شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن في كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب السملالي في همته وفي علمه وفي قصر عمره .

كنا غادرنا الاستاذ بين تلاميذه في مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢هـ ثم في ـ ١٣ ـ من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والدى في موالاة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمي فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لايبالى بجسده ؛ في قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا　　　تعبت في مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالمثول بين يدى صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع ثلة من اصحابه ؛ وداؤه يلح عليه وربما عالجه بعرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجـل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احواز تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاؤه ؛ فمالـوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعـهـم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولايدرون باى وجه يردون على اهاليهم ؛ وباى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بدره الوضاء بتامصلوحت ؛ وحفروا هم له بايديهم هناك ؛ ثم افردوه في رمس تسفي علـيه الريح والمور .

وهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حواليها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجـه النهار وهم فى صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه عبرة ترهقه قترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق بـه استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يـكـون الاحرار الاباة ؛ فى امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزىء بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير علـيه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر .

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموتا
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل وانـــا	جميعا لفى حزن عظيم كما انـتـا
والسنتنا تتلو العزاء وانــــا	على جزع كنا عليه كما كنتـــا
أسلوى وقد فات الذى كان عـدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفوتا ؟
وكيف التسلى والذى منـه نشاة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى؟
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا؟
فاى لبيب ليس يعـذران راى	صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الـذى	له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليد الاستاذ تنقل إلى الغر

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهمالدانان سنا وهمة وتطلعا الى المعالي ؛ فالتحم مابينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ في المدرسة البومروالية ؛ ثم نـاب عنه في المدرسة الالفية في رحلته هذه التي التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على ابن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فصرا بهرمس الاستاذ فوضعا تجاليده في التابوت فاقبلا يقدان السير ؛ فدفناه عند اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تاسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكان القدر يملي في ذلك موعظتين

اولاهما ان ماأسسه الاستاذ بيده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التي لاتمسها الاعاصير الالفية ؛ والقواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد المؤثل ؛ فكيف يتوقف بعد عـلى ما لابـد ان ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والاخرى مانهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ولايمكن ان ترد باعمال المتاخرين الادنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيها فان الرواح الموتى لتجار الى الله في عليبها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت الاعاصير الالفية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تجعلها هباء منثورا؛وما لااسس لهفلابد ان ينهار ٠ والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا في كل ماتمسه يده ؛ وقد جعل الله البركة في عمره ؛ وانزل اليمن على عمله فبني وانال وولد وعلم ؛ وكل ذلك في اثنتى عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في المحظوظين الذين اخذ الله بايديهم ؛ ووفقهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبدالله خليفته في المدرسة

متبعا شقيقـه محمـدا	من كان لى الهمة فردا اوحدا
من يفعل الخير الذي قد فعله ؟	يعمل في العمر القصير عملـه

قد خلف الذى عليه يجرى	فى حال موته بخير ذخـــر
لانه اكـرم مـن كـريـم	باى عزم مقعد مقيـم
قد فاق بالجد والاجتهـاد	اقرانه من زمن المهاد
ففاتهم وسلمـوا فـى السبق	من مثله فى الغرب اوفى الشرق؟
وهو الذى قد شاد فـى بلدتنا	مدرسة شادت له كل ثنـا
وغرس العلم له تلامذة	عديدة لهـم فـهـوم نـافـذة
وحبس الاحباس ثم خلفا	اولاده ينتجعون الشرفـا
فهذه الثلاثة التى ذكر	لفاعل اجـر بـهـا وان قبـر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان مـمـن ينصف الـرجال ولايبخسهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح ماتفرعوا فيه الى الان ؛ وهم الان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكـل مافى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحـدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افـلا يكون ايضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دوكدير ؛ فادلى بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل مافى امكانه ان يقبله الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلـك يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لايتأثـر بأى شىء ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية .

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملالى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين كل الاشتهار ؛ فاظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لاتتمشى عليه الحيل؛ وذلك انه داين سملاليا فى بعض المساغب بحبوب بثمن اكثر مما فى السوق ثم أجله وللاجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملالى ؛ فقال انما ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيهاانه باع بالغلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتـى هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عـليها ؛ فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملاليون وهم يعرفون للاستاذمكانته فالزموا ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين فارسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهـى صحيحة ام لا ؛ فارسلها اليه الاستاذ ؛ فاعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السمـلالى من الرسوم فاحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرته القبائل

اواخر ١٣٠٢ هـ او اواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامقار محمد الجباطي ؛ فكان اول ما اشترطه عليه امقار محمد بين شروطان ينصف الاستاذ ابن عبدالله في قضيته ؛ فارسل اليه في الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطني رسومي اولا ؛ فقال له سيدي الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكني سالقف معك بقيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفني فانني ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هي نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول من الرسوم فهاهي ذي عندي • فعلت ذلك احتياطا فجعل سيدي الحسين دعوا هما في يد الاستاذ سيدي احمد بن ابراهيم السملالي العلامة الشهير ؛ قال سيدي الحاج احمد اليزيدي قريبي الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بالاخصاص ؛ فتصاحبنا فيتنا عند الاستاذ السملالي ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملالي بالغرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدي الحاج احمد اليزيدي الذي كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالي كم اجرته في القضية فقال له الاخر ؛ مثل لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هو التعاون على النوازل ؛ والتناصر ء في احقاق الحق فيها وابطال الباطل •

هذه الحكاية تريناً نواحي شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايغلب ولايحابي خاصمه ولو لرئيس ايليغ الذي كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطه في الرسوم فادركنا انه ممن لايخدع ولايقعقع له بالشنان وهناك انواع اخرى نعرفها زيادة على ماتقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راى من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ماحمله على ان قال ان ابنى هذا لجرى• ؛ فكان كذلك ؛ فكانما كشف له ستر الغيب ومن اوتي العقل فقداوتي الفراسة التامة ؛ والتوسم في كل مايعن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله في الدروس جهوري الصوت فصيحا ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك تضرب بها الامثال •

آثـــاره

لاادري اي آثار اخرى ينتظرها القاري• عن الاستاذ ؛ بعد ان راى في كل ماتقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ لمثل الاستاذ الذي افرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبغي ان تتطلب آثاره في صدور اصحابه ؛ فيما يمدهم له من اثر ؛ واما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثل ماطوق به ؛ فقد اخبرني ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتح

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على انه مع ذلك ابياتا كثيرة فى القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبثة فى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ماتوصلت اليه ايدينا فى كتابنا الذى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الخ وغيرهم من المتاخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها ولكننا نسوق هنا ماحلا فى الذوق وحلى فى العين ؛ فمن ذلك ماكتبه الى تلاميذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عن الدراسة ذلك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها :

بدت لى احبتنا عبرة وخير الخلائق من يعتبر
رايت السماء بتلك السنيـ ـن من الارض ضاحكة تكتشر

الى ان قال :

فكل الحوادث اوعية لدر الفوائد ان تختبر
ولكن قليل من الناس من بآيات خالقه معتبر

الى آخرها .

ثم كتب بعدها : حفظ الله الاخوان الذاكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمه من الشاكرين ؛ ووقى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى ؛ بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليهم

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامر الله لابنوء المشترى ولا زحل ؛ وحبسنا بالغيوث فى البيوت ؛ وانشانا والحالة تلك ماتقراون من البيوت ؛ فتاملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضطرين واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده فى الحب والله بمكان مكين ؛ وقد قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلامنكم خير خدين بالصدق زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعده وهنده وصلى الله وسلم على الآتى بها وصحبه ؛ وعلى آله وكل من قضى على ملته البيضاء محمود نحبه ؛ ومتعنا بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر فى ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك فى سفرته الاخيرة :

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان الذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطنا وعلى

وبعد ؛ فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف وجعل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع وتوعد على الانحلال فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدده الله فيما كان له وليا ؛ فاتخذوه ابا ؛ وتوقروه دينا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جاهلهم ويشكر سعي راقيهم ؛ وينصح جهده ويوطئ لجميعهم مهده ؛ وان لايميز بينهم الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم مايحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصي الجميع الاخ والامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى في جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم الصدقة في عصرنا هو الصبر والكظم ؛ وأحق به الاقارب بالدم والعظم ؛ ثم بالمجاورين والمحاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى في ذلك كله؛ واعلموا قطعا ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مذموم ملوم وانا استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه ؛ وابضع تعليمكم في سفر الارتجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر والعاقر ؛ اتسات لكم مودعا في بحر الوافر

اودع جمعكم وتقام امر

(الى اخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ سيدي الطاهر الافرانى نصها :

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛ سيدى الطاهر ؛ وامدنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامة الظاهر ؛ وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب والسنة من اجل المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون بكمال الفضل من جملة المشاهر .

وبعد ؛ فاعلم ياولدى ارشدك الله وسددك ؛ واعانك على الاستقامة والصفاء ابدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامتثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر أمته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشفاء من هذا الاب الدينى صلى الله الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان الذاكرين الذين ينتفع المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم آكد وآكد ؛ وقد كنت احببت القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك في كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتي لوالدك الذي ادرجه الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لي اني قصرت في حقك ؛ ويستقل لي ما ادخرت من طيب العلوم في حقك ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرايت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعي ؛ مايمد اليه يده ويدعي ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك؛ واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق سائر المسلمين بالصدق الذى وقر في صدره ؛ من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضله العميم الظواهر والسرائر وهو حسبي ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف تربيته ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرته الى جميع المسلمين ؛ وكيف يحب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى مابينهم والى سواهم ؛ واموراً كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجاني الشرب على يد الشيخ سيدى الحاج الحسين الافراني ؛ لايعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت في ورقات الشيخ فيها والذى كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن همو؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تاليفه ؛ وسماه (المبدىء المعيد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لاخيه فضله ولايعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى الطاهر الافراني فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقيه سيدى الحسن التاسيفتي يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران (وفيها بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

اذا ما هب من افران ريح	هفا بالقلب من صدرى جنوح
يشم بها اريجا من حماهم	فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيق فيرتمى بى	تفكرهم فازفر او اصيح
ابيت على التململ في فراشي	كان الجسم عمته جروح
وذلك كله من اجل شوقى	الى من وجهه الاسنى صبيح
ابى الثاني وشيخى من حباني	فاغدو في جداه كما اروح
محمد نجل ابراهيم مجد	عظيم من ابى بكر صريح

تأزر بالسيادة وارتداهـــــا   كما يغدو الربى والنصيـــح
فينا بالعلوم وليس يغدو   برسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزى عليهما   له عمل بمعلمه صحيـــح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ عل بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛ بعد ماكتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق عل بربع رطل من السكر فحبذا فانه جاءنى سيدى محمد البزيدى ؛ ولم يجده عندى

عل بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصل الله وسلم عل سيدنا محمد وآله وصحبه؛سلام الله عل كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد ؛ فماهذا الجفاء مع الواسطة العظمى صل الله عليه وسلم وعل آلــــه بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظاظة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم ذلك الصلح من عدم المداهنة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛ والنبى صل الله عليه وسلم اعظم العالم الآدمى وامامه ؛ (لقد كان لك فى رسول الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبــــــــــة

فتارة ذو سرقــة   وتارة ذو درقـــــة
وحيث ضيف طرقـه   بعث نحوى ورقـــــة
وقصده بكــل ذ   اك ان يصون ورقـــــه

وكتب اليه ايضا :

سلام عليك ياهل الشقيق والنـ   ـبنى وزهرالروض منمفرق الغصن
فديتك ان العلم حصن وساوس   وانت بتحت الحصن فاصعدالى الحصن
ومفتاح هذا الحصن فيما علمتــه   وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا :

اذا الله اودع الانامل حكمـــــة   بوضع السطور فالعطية جلـــت
بعد حروف من قصور جزاؤهـــا   بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة عـل النبى صل الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره :

ياسبعة من سعد سبعة جمعهـــم   ظفروا بامر نعم ما الامـــر
فنحو الندى بذكر من لو جال فى   صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة عل النبى فيالها   من لذة لم تحكها الخمـــر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم ؛ ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر :

اذا رمتم نظما مقفى محبرا ... فزوروا مقامات الحريرى على الوسع
فان الذى قد فاز من فهم ما بها ... سينتزع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب :

انشئوا يا خير قوم ... ملحا اذ ما حضرتم
أدب المجلس شعر ... طبق معنى ما نشرتم
عجبا كيف حصرتم ... ولشرب الكاس صرتم
ان كاسا دون شعر ... حنظل لو قد سبرتم
ولكم ارجو من اللـ ... ـه مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها :

اتعبت فى تملك التصريح ... نفسى وما اجمعه وروحى
بالله فاحفظه أمن تملكه ... من بعد ربه ولازم مسلكه
واجعل الاهى من الاولاد ... مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا :

تكلف الاسفار للاوطار ... فى شدة الحر وفى الامطار
من عادة الاكياس فى الرجال ... بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛ فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه :

سلام كما المسك والعنبر ... على من بادران وصم بر
على من له فى ابتدا سيره ... مهابة عال على المنبر
أبى حسن من بغربته انـ ... ـكسار بقلبى لم يجبر
اراني الزمان بشاشته ... بوصلكم الابرك الاكبر
وألبسني حلة طرزها ... سلاما سلاما على المخبر

الى آخرها

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ على فى بدايته

الآخذون عنه

١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

٢) سيدي ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
٣) الاستاذ العربي السامو كني
٤) الاستاذ ابو القاسم التاجار موتني
٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافراني
٦) صنوه الحسن ابن الحاج
٧) الاستاذ الحسين التاطاروستي
٨) الاستاذ المكي اليزيدي
٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدي الكبير
١٠) سيدي الطيب الركيبي
١١) الفقيه سيدي احمد الصمامي
١٢) سيدي الحسن بن عبد الله السملالي
١٣) سيدي محمد بن ابراهيم الاخصاصي خديمه
١٤) سيدي محمد بن الحسين البعمراني
١٥) سيدي علي الامرخسيني
١٦) سيدي الحسن بن ابي بكر الاغوديدي
١٧) الفقيه سيدي الحسن التياسنتي
١٨) سيدي مبارك التاكشتي
١٩) سيدي الحاج بلقاسم الزاوي
٢٠) سيدي محمد بن اليزيد السملالي
٢١) سيدي محمد بن الحسن الكسالي
٢٢) اخوه الاستاذ سيدي علي بن عبد الله
٢٣) سيدي سعيد الاغشباني
٢٤) العم ابراهيم بن احمد
٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المومن
٢٦) سيدي ابوبكر الاكيوازي
٢٧) الاستاذ المدني الماسي
٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

هؤلاء من استحضرهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هؤلاء اخذوا عنه في متقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالغية التي تولاها بعد هذا الاستاذ اخوه علي فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم في ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثني الا اللذين منهم هما اللذان لم ياخذا عنه الا في المدرسة البومروانية سيدي محمد بن اليزيد السملالي ؛ وسيدي محمد بن الحسن الكسالي ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين في درجات التحصيل ؛ وسترى ان شاء الله في ترجمة كل مقدار

غوره ! وفي اثاره ان وجدناها كيف نزعه ! والله ييسر ولايعسر

ثم اننا لم نسرد هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا لـه والنقابة المختارة ؛ الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدى عبدالله باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقابة ؛ وانما ذكرناهم لانهم القيون واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذى لاتخلو منه اية مدرسة؛فلانتعرض لهم بذكر ؛ ولانشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لانمن فتح له باب المجـد على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او اتيحت له اجنحة يحلق بها فى مناط النجوم ثم قصر بنفسه فاحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق يوم العرض الاكبر ؟

اذا مـا اهـان امـرء نفسـه فلااكـرم الله من يكرمه

ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله •

مراثيه

ثم القف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذى القلها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد • فهذا رثاء لعلامة زمانه • ورافع راية الدراية في اوانه • الفقيه النبيه • الاغر النزيه الابر ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح بزاوية (تحت الحصن) بالغ • قد قلته حين اصبنا برزية فقده وذهب ربنا بعبده

فمن للعلا وللمحاسن والوفـا ... وللحسن والاحسان والسر والصفا
وللرفد والارشاد والقصد والندى ... وللحلم والسخاء والصبر للجفـا
وللخوض فى بحر العلوم بفلكـها ... وتجرى ويجنى من فرائد ماصطفا
وللسقي فى النادى الندامى بديهة ... كؤوس نظام الشعر تنسيك قرقفا
يمل الندامى ما هداه وانـه ... بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
فنفس عصام سودته وعلمـت ... له الكر والاقدام ليس الذى قفا (٢)
لتبك عيوننا الفقيـه محمـدا ... بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمحياه للورى ... شريعة احـمـد وراثـة مصطـفـى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة ... تراكمت الامواج منها على شفـا
فلولا على صنوه وشقيقـه ... تسلت به الاحلام حين له اقتفـى

---

(١) مأخوذ من قول الشاعر •

تمل الندامى ماعدانى فاننى ... بكل الذى يهوى نديمى مولع

(٢) نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والاقدامـا

ألمت بنا الاحزان من كل وجهة	ايارب نوره ضياء بلا خفــــا
وابرزه للانــام شمسا وقدوة	وسرا وترياقا عليلا لهم شفى (١)
فيشفى صدور المومنين بنوره	لما فيه من اسرار ربه والشفا
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر	فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى امام عارف معترف له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصامية وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادبا ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك فى فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع به خلق كثير فى وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعمرهـا بانواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى فى المشكلات لمصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومـن يساجل ضروب العارض الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب • لغة فى الانام ؛ كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ٢٨-١٢-١٣٢٨ هـ

نسبه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله على -كوالد- واجبات تحتم على ان اؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابيه كل مايعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حبب اليهم انتقاد كل شىء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون - بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك من يسلك هذه الطريقة عقبة كأداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى افتضحت فيه طرق التصوف بكثرة الكذابين الافاكين ؛ الذين اطالوا الاكمام وأرسلوا العذبات ؛ وأدعوا مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثلى ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقية من التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم ويتانى حتى يدرك معى ما ادركته ؛ قبل ان يخزنى بحمة عذله ؛ او يصل الى والى من ارسل فى ترجمته يراعى بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لايتهمون أنفسهم فى أحكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك بالف دليل وبرهان .

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير ؛ فاتمشى رويدا رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان ووري فى اللحد وساؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقائه من اصفى موارده ؛ وساجعل نفسي حرا فيما اقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضي من رضي وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمجة ولاتورية •

انني الآن كمؤرخ يجب عل ان اصدع بالذي اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ واجعل في ذلك رائدي ضميرا ابيا حرا لايغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولايقبل كل مايعثره من يعرف بما لايعرف الا بتثبت وتبصر وتأن ؛ ووزن بميزان العقل الذي فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقل ؛ واعترفت فيما بيني وبين نفسي ان يدي تقصر دونه ؛ فاني اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين يدي القارئ فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لاتدرك •

ثم انه يجب عل كل مؤرخ ان لايحتفل بآراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيئين اثنين ثم لايزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لاينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم •

هاانذا اقدم اقدام من يقول مايعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التي هي ابلغ ايصالا من الواحي ؛ لانها توصل ما اودعته في كل زمان وان تطاول عل حين ان الواحي لايتجاوز آنه ؛ وانا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومتوكل عليهما في توفيقي فيما انا قائله ؛ ومتحرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع والالاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال ماعلم فما عليه من ملام •

ثم اعلن بكل صراحة انني ممن يومنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ وأومن بان الكرامات والكشف المشهورات امس عند صوفيتنا اخوات ما يثبته العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتاتي باشياء من بعيد في لمحة الطرف ومن لايومن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبته العلم الحديث اليوم ؛ فليول عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس في مسلاخنا ولسنا في مسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي كي استريح من ناس ضيقي الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا متحجرا سامحهم الله •

•وضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم في هذه الحياة

فلتة من الفلتات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب وأن حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاولى بادىء ذي بدء كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فانصاحبها لايلبـــثان يجيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل مايتصل به قبل ؛ حتى تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ بآثـار صاحبها فينالها حظها من العجب ٠

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه علي وكلاهما يقوم بعمل عظيم لايقوم به الاخر؛فاحدهما الاستاذ علي بن عبدالله الذى ستقرأ في ترجمتهما تقرأ ؛ فتوقن انه من اعاظم الرجال ؛ قلما تسمح البوادى بمثله وثانيهما صاحب هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ماستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه فيمهمه قفر في جنوبي الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمخضن ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ علي بن عبد الله نفست به والدته فـي محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخـر يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واحدة من (رقية) والـــدة الاستاذ ؛ وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قــد يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهاد ؛ ومن ذايعرف الا اللــه اذ ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بـحور العلم والادب ماتزخر به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عـن عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ مابين وادى نون الى درعة الىالحمراء الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛فيجتمع عليها الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفياها في الهواجر اللوافح كل من احرقته (صكة عمي)

في الكتـاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم علىحفيده فكان اذا رجعمن المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذي تخرج به قبل ذلـــك الاستاذ محمد بن عبد لله في دارهم يكرر له سوره وقلما يذره كما يذكر العم ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روىعن صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس في الممـر

الصغير الذي هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضاحك عليهم ونقول لهم اعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدي علي بن احمد يوما ادعوا لي انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ وما كنا ندرك مدلولا لما اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كبير الغداة ومر العشي ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا واحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار •

في مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي يمت الى آلنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرءان رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحية بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين -كما يطلقه عوامنا على العلم- في المدرسة ؛ فلترسل هذه كذلك ابنها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذي يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس أهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون •

في مدرسة المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٣٨٢هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حبيت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدي الحاج يعزى الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه؛ فغلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفني؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدي؟ فقال له تعرفني بان الظل لا يتراءى لجسدي ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

في مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذا باعوان الرئيس الايليغي سيدي الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاءه الى المشارطة في مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذاشوكة وهيبة لايمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيبي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فانام أنا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث سيدى عمر الاكضيبي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك في المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك في ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبة (اى الدروس) لسيدى علي ابن احمد ؛ يعني صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك في تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه الحلقة الاولى في التعلم .

في مدرسة تانكرت

لامر ما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيبي بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راى أهله ان يلتحق بابني عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التاياسينتي في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة في بيت مع شرفاء من أولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهير ؛ وسيذكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فثوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما ياخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل في نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاادرى من هو وانما ذكر ذلك في بعض رسالله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

في يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؟ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطي وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرءان فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر لهم مايدل على مقام عال في معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التي تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن امغار محمد الجاهلي فقال اني اطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق في القدر ان لقد السهم فاستجيبت الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم مافي ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان •

ملاقاته بالشيخ سيدي سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاى العربي الدرقاوي الشهير المتوفى عام ١٢٣٩هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائرة كالحراق والبوزيدى والمدني والدباغ والبدوى ؛ وممن لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الشهيرة بازبزض بمراكش؛ وقد توفي في نحو عام ١٢٧٠ هـ فيهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفي مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدري الامي الذي تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته؛ كسيدى الحاج الحسن التاموديزتي ؛ وسيدى الحسن التيملي دفين قرية ارازان براس الوادي وسيدى خالد من الفلاوكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى الحاج صالح الاكمارى وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفي ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفي والعلامة ابي فارس الايغلي والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزماصي وسيدى محمد بن ابراهيم الافراني مدرس مدرسة تانكرت التي فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سنذكرهم انشاء الله في تراجمهم او نستطردهم في تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وينبه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التي يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان غالبها الافراني من اجل اصحابه المتنقلين لطريقته •

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لي بالشيخ سيدى سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نعرج اليه ؛ وهو جالس في مكان متنبذ من الطريق فرايناه يحد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشي ساقنا اليه سائق السعد فاخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لي بعد ذلك ان تلك النظرة الاول هي التي فيهامافيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات لبرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفي بعض رسائل المترجم مانصه ؛

(ولقد كنت حين لقنني شيخي مستغرقا فيه سائر الذكر من ذلك الوقت الى القيام من بين يديه وبعده ؛ وليس لي شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبي حتى اني لاالقدر ان اقطعه حتى في حال الاكل الى ان صار خادما من غيرارادتي

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه) انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه فى بعض قرى تانكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية فى اصطلاحهم بالـجـذب ؛ قـالوا يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تيارة فيغان على عقله فلازمه ذلك اياما وقد فقدشعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من معه شيئا من الحليب ؛ لايلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة عـلى بدنه حتى انهم يغطسونه فى نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثـم بعد لاى افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله ـكما قالـ امام عينيه هباء فى هباء وقد ألم بهذا كله فى بعض رسائله ؛ كما الم به ايضافى رحلته الحجازية اذ قال فيها :

قد كنت فـى غياهـب الغباوة … على شفا يورثنى الشقاوة
وكنت صديان الى دليـل … يهدى الى معرفة الجليل
يجلو لى القلب لكى انالا … فى نيل معرفتـه الكمالا
فيستوى الجلال والجمال … لـدى والنقصان والكـمال
وتصبح الاقوال والافـعـال … بالله والاوصاف والاحـوال
بينا فؤادى نحوه صديان … والقلب منى والـه حيران
اذ قيض الله لنا سعيدا … هذا وكان المبدىء المعيدا
فكان آخـذا بنا للـه … يرقى بنا لحضرة الالـه
فكان لى القبلة فـى الامور … وردنى عن سائر النفور
بنظرة اولى لديه شهدا … بـذر لكل ما لديه قصدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ … عنها فقال : ليس غير هـذى
فهكذا نسمع : نظرة الولـى … ترقى الى حضرة ربنا العلـى
تركت ماسوى الاله جهـرا … فلهجت نفسى بربى ذكـرا
وقبحت عندى ملاح الدنيـا … فيما يرى برؤية والرؤيـا
وليس لى فى غير ذات الله … مأوى ولا عن حسنه ملاهـى
فصلت عنى سائـر العلائق … لكونها عن مقصدى عوائقـى

الى ان قال :

ولم يزل بنا على الارشاد … الـى وصول خالـق العباد
فزال ما بنا مـن الآلام … ومن غيون النفس والاسقام
ورجعت ارواحـنـا للاصل … من التأنس برب الكـل
ولذة الحضرة ليست تـحـكى … بشبه ولا بفهم منكـا

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

ولما من الله علينا بملاقاة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين وتاج الواصلين ؛ سيدي سعيد بن محمد الجلال طينا ؛ والمدري وطنا بازاء ... قدس الله روحه في اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية ... قلوبنا فلم نر مايملأ اعيننا في الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لي مقام الفناء والجذب ؛ وسرى سر الله في ذاتي وروحي قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ دهشت دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركني الله بالشيخ كان في قربنا ؛ فوصلته ... على الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد علي ما بي حتى اني لااطيق ان اسمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتي تتمزق ؛ فلم اشعر بشيء يلهيني عن ذكر ... واجتمع عندي في ثلاثة ايام والحمد لله ما لايجتمع بعبادة اعوام عديدة ببركة العارف بالله الذي التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا بملاقاته في اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقي والكيمياء من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن يضرب في الحديد البارد ؛ يعيي ولايقضي حاجته ؛ ولايصل اليهم الا من اراد الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

في صاحبنا شيخنا المدري

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط بينهم جميعا في ذلك ولايفرق بين الصادق والكاذب؛ ولكن من خالطهم واستطاع ان يميز العمال الصادقين من الكاذبين منهم؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة الاقيمة ... فيه على احوالهم او جهلوه ؛ مايتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من رجالات هذه الامة فلارجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبي الاستاذ محمد الغازي المكناسي كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ لم تجيل اعيننا في بعض ابناء اليوم الذين يخبطون خبط عشواء في الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا مايردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاستغلال بلااله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا لانتجاوز ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاداه ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب مانراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا في منصات الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لايغتسل من الجنابة؛ وانه **** وانه **** مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذي اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولايوجد الا في ايديهم ثم لايكاد منصف من ذوي المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قدامرض

عن كل شيء وتفض يده من تخفخفة منصبه ؛ ثم لايطيب له العيش الا بالانطاع اليهم ؟

ماهذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثـــم يتهافت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لاتبالى ان كانت فى بطن الخابية من المغرقين ؟

ماهذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خـوض الفهمين اللبقين ثم لايلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلــن انـه ماذاق قط حلاوة يثلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ماهذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمـنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لايكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمـال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلالأ نورا ويتشعشع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لاأكذبك ايها القارىء ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدى غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين الحنيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لايجد قلبى عندهم مايجده عند الاخرين فهذا كل ماأدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدى شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه ـ كما قال فى رسالته المتقدمة ـ من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلقت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فاتى مانسخ حبه الجديد ماكان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبها حب الالى كن قبلها   وحلت محالم يكن حل من قبل

وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئــك الذين لايلبسون الا المرقعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لايكون شانهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو   ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئك
المجانين البله — كما يحسبهم الناس اذ ذاك — ولابد ان خبر ذلك الجذب الذى
يحصل له يحصلهم فلا يكادون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى
مثل هذه الاحوال ؛ لابد ان يقدر ذلك الموقف قدره ؛ (ان المحب بسوء ظن مولع)

اتى والده حتى عرف ابن مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب
بغلته ولحق بالشيخ المدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يأمر
ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد
يابنى ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لااريده الا للعلم
وان كانت وجهة افضل من العلم فليطلبها ؛ فقضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد
مترادفين على البغلة .

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه
والولد لايصدر امامه الا اطراق الراس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك مايسمى فى اصطلاح
الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله)
من اول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقلال من
الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدا فى ذكر اسم الله وهو لايزال بين يدى شيخه
فى المجلس الاول — كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له — لهذا
لم يجد منه والده ماكان يالفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مستمران فى
طريقه المسير فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد : بالله عليك
ياولدى ماذا رايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثة
العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدها فى بلادنا هذه ؛ وماكنا نعهد الا الطريقة
الناصرية فهى التى نالفها ويالفها آباؤنا واجدادنا ؛ اوليس يستحسن ان يخرج
الانسان عن المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع
الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهر لك انت ياوالدى فى البيع والشراء فى
القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتسافر به الى قبيلة آيت صواب حتى
تبيعه ؟ وهل كان المعتاد فى اهالينا الاتجار بالقطران ؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا
يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ماليس معتادا عند اهله
وعاداته ؟ فقال له الوالد : انى ياولدى اخترت هذه التجارة لقلة راس مالها
ولكثرة ربحها ؛ فانى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزبيبا مما استبدله
به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا ياولدى ماحملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة
عادة اهلنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا
القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل ومايجده القلب من ورائها كثير ؛
ولايمنك مثل خبير .

هكذا استدارت المحاورة ؛ ورأى الوالد ان لايحرج ولده ؛ فهو الى ايناسه احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم الناس •

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتمام معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربي الادوزى ؛ اما في اواخر ١٢٨٩هـ واما في اوائل سنة ١٢٩٠هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول الى تسنم القمم العليا في الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزانة الحضيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طرره بفوائد نفيسة وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة الادوزية لاستاذه ابن العربي ؛ واضاءة الادموس للهلالى وكراسة فيها ابيات متفرقة فى النحوممايحفظه عادةمن يقرأون الالفيةوغيرذلك مماتشتت بين الاوراق لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فضاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ماكان حصله فى السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتقانا للفنون واكبابا على التضلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ الادوزي فاتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذذاك ـ كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود ـ ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد ـ كماسترى ذلك ـ وبلغ ايضا فى الفقه شاوابعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحي الذى ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذه هذه المكانة السامية التى ترقى اليهابملازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة اقبل اليهم الاستاذ فقال : ان سيدى على اكرام ـ وبذلك يدعى هناك اذ ذاك ـ يتولى التدريس في مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام ـ نجيا بينهم فقالوا

والله لاتقبل ان يقوم هذا المرابط في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس واراد ان يتصدر ؛ لنرين منا ما لاينساه ابد الابدين ؛ قال فاسترقت سمعي ذلك فمضيت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى انني مع الناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه في غير المجلس العام دالية اليوسي وذلك غالب ظنى الآن *

فلت وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله في هذا السجن نصها ؛ (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة *

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمآل ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراكش وجعلني خليفة في الطلبة لنتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرا لم نمكث ؛ فلاتتشوشوا بالكم لان هذا المكان من ارادالقراءة يقرا ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شيء من درهم ولادقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان أمكن ؛ فان للتاخير آفات؛واقرا منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نحبه)

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدفة من بين رسوم انسان من اسرتنا وهي تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص في زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان له الانصبة ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه ليأخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا في البيت لسيدى عمر الاكضيضي ؛ كما انني سمعت ان صاحب الترجمة كان مشاركا لسيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند مداورتهما للانصبة ؛ قال ويجلسان معا في براح ؛ وربما يكون الجو باردا فينالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتاسف بعد ذلك حين صار ممن تلمذوا لصاحب الترجمة ويقول واحياءاه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لايستفيق الا اذا صلى له على النبي صلى الله عليه وسلم مرات في اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينا تغير صحته ؛ وفارق انزواءه المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة اكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفي يوم جاء السلطان من دار نائبه عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما منعني الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم يخص ذلك النهار بنت شفة ؛ وانه راجع ايضا صحته وانزواءه ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة *

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يترقى في المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالا دائما لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها .

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت في حين ونحن بالمدرسة الادوزية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما القاه بغتة ؛ فاجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليه وأنا اقول في نفسي انه بلاشك راى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتي عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجي منا ياخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجيبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته مني ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو في أدوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيبي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى .

* * *

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربي ال الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكنه والده دارهم يشترى بها مايريده من الكتب ؛ ولكنه لم يشتر الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازه باجازة كانت محفوظة عندى بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفار على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشباب سادرون ؛ ثم ندرك بعد قيمة المخطوطات؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحولقة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلابد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عما وراء اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف امامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها احباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاساتذة سيدى الحاج ياسين وسيدى علي المجاطي وسيدى محمد بن عبد الله الالغي وسيدى الحاج محمد اليزيدي تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاى واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل عقدتها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اباه فيالتم القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرهـــا وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لايابهون بالتاريخ ؛ ولكن المعهود انهم لايفرطون فيه في رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقادر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجبا من فقيه جديد من الغ لايزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرني من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فاراهم فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه فقهاء عصره في هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجيراهم ويتسابقون اليه ثم لم تعرف له انه جال في مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى الى قطع على اليه ؛ كما سنرى ذلك ان شاء الله فيما ياتي

في التجارة

اطلت سنة ١٢٩٥هـ فاتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا مدخر ولارخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس في هذه البلاد الامن مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرع الا ما كان من مصر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فالتفت اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن علي الكوسالي ممن عاصر صاحب الترجمة في المدرسة التانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس فاتصل به صاحبه هذا ؛ فقارضه ستين ريالا او مائة ـ الشك من العم المخبر ـ فتوجه بها الى تخوم مصر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالي حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛ فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة في غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اماليننا افضل مايتحلى به الرجل ؛ ويتيه به شانه ؛ ولايستحيي رجل اياكان في النزول الى مزاولته ؛ فبذلك اتيح للفقيه الغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شيء عزله ثم يكلل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فوكرض مشارطا ومعلما

كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجع من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشان لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مادرس في مسجد قريته فعلا له بذلك ماتغبط به اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آلنا قد رجع ؛ وهاهو ذاقد جرب في تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقايض في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لاينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيهها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايضوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاول به في نظر الاسرة أن يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذي تصدر في المدرسة البومروانية ؛ فأحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليلتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيهها شأن كشأن الاسرة الصالحية من فقيهها وليس هذا الذى اقوله من بنات يراعي ؛ بل هو من صدى احاديث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة ـ تمليها على في نحو سنة ١٣٣٥ ﻫ وانا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيهها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبىء له هذا الخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذي جاءه بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التي كنت لااريد ان يتخطاها ؛ تعني بذلك كونه شيخا مربيا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماساقه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الغ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادىء ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايفشاني ؛ وسيدى مولود الصوابي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وآخرون ؛ والخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥ﻫ لان الاستاذ الطاهر بن علي اخبرني انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهوهناك مورخا بسنة ١٢٩٥ ﻫ والعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتتح سنة ١٢٩٦ هوالامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدي بلعيد الصوابي ـ وكان يحضره اذ ذاك ـ ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

الم سيئة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمكث فيها بضعة شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يطلب منه ماياتي .

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدي محمد بن عبد الله ماحمله على ان استناب صاحب الترجمة في البومروانية ليتمم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت بين يدي الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة فكان من بين من ياخذعنه من تلاميذ الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله ؛ الاستاذ علي بن عبدالله الذي رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمت همته الى التجارة . والاستاذ احمد الزرامي وسيدي سعيد بن علي الاعضيالي وسيدي الحسن التاطاروستي وسيدي العربي الساموكني وسيدي الطيب الركيبي وسيدي الحسن بن عبد الله بن محمد السملالي ؛ فكان يدرس مع هؤلاء القادمين زيادة على متون المبتدئين : الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل والمقامات الحريرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك في كل مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق التلاميذ بالمدرسة الالغية عند استاذهم الذي بنى لهم هذه المدرسة الجديدة وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشارطة في المدرسة الوفقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبدالله صاحبه هذا على ماقام به هنالك ؛ ثم صار يفاوض الوفقاويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم (وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمي

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفض يده من الدرقاوية ؛ وانه نسي شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذهو بالمدرسة الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى من الاخذ بادوز ثم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذي تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدرية ؛ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول العراقي ؛

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئا فشيء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حين تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقطع بين يدى شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالى يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ ياخذون عنه فقال له وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ وبيده عكازة ياامام اليس تدريس العلم ببغداد خيرامن هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لماطلع بدرالسعادة فى فلك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بى الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رفيقا فلم اجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر :

قد تيممت بالصعيد زمانا وأنا الآن قد وجدت الماء
من سرى مطبق الجفون واضحى فاتحا لايردهن العماء

وقفة قصيرة بالقارىء

احب منك أيها القارىء ؛ وقد ماشيتني منذ اول هذه الترجمة الى ان طوينا صفحات غيرقليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها -قليلا- فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ أفليس أنه محظوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيحا واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لماجال فى مجالات التدريس فى المدارس كان نزعه فيها لايقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لايرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولايتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده الا فى يد من يراه كنفسه فى الالقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهو صاحب الترجمة ؛ ولااستمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملا مابين جوانحه ؛ غير تلك

الزوايا التي تجول في كثير من فقهاء عصره الذين لايكاد احدهم يتسم وظيفة من حفظ او يجد وظيفة علمية مربحة من مدرسة والبالة صغيرة من بضعة تلاميذ حتى يقول الذي اسمعه الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريف من العلم الشريف؟

حقيقة ان مايقضي فيه الفقهاء اعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيف والانتصاب في المدارس وهي من المساجد التي لايعمرها الامن آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففي مثله يتنافس المتنافسون وفي السابق اليه يحمد المتسابقون ؛ ولكن أمثال صاحب الترجمة الذي طرق أكثر هذه المجالات ورأينا همته تحفزه الى مقامات اخرى غير هذه لابد ان يكون هنالك شيء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظي به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء ولالمحه في مجالس المدارس

فليت شعري ما الذي وجده هناك ؛ ولم يجده في المدرسة ولافي علومها المختلفة ؟ أخال ان هذا الذي وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين القوا بأنفسهم وراءهم ؛ فاقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا في هذه الحكاية الآتية :

دخل سيدي سعيد بن همو الشيخ المعدري الى داره يوما فقال لمريدته الفقيرة عائشة الهشتوكية ؛ اخرجي واستديري بالحائط فانك ستجدين عالمين [illegible] في طريقنا هذا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ؛ فجلست اليهما بعد ماسلمت ؛ - وهي من وراء [illegible] - ففاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما : انما اردت بهذا العلو في المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر الطلبة الجامدين الذين لايحسبون ان لله علما الا مافي تلك النقطة الضئيلة التي تقطعون اعماركم تجولون حولها في مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنقطتكم هذه ؛ واردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون عندنا لاتخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التي يخوضونها ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها انما هي وسيلة للمقصود من معرفة الله ماأتتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لايدركون منهم ما ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ وانشراح الصدور ؛ فقال لها سيدي الحاج الحسن : وكيف معرفة الله ايتها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانتم احق من يسال عن مثل هذا لا انا العامية الامية التي قل حياؤها فثرثرت بهذيانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدي الحاج الحسن لابد ان تتكلمي ؛ فقالت لاادري مااقول ؟ الا ان ولدا عندي يوما ايقظته

من نومه فقال لي ياماما : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا! فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي ياامي هنا مثلي لتذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذى تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي باصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) .

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معي النظر ايها المؤرخ منذ تاسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مباديه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ويظلون ويبيتون في تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك انما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتاثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل ما في ايديهم وعن كل ماهم فيه؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتقضي دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكسار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من من كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة؛ ان يطلق كل ذلك المروءة عن مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المتلوبين فيقول المحدثون لم نرقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع من يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين *

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لمما تجب المحافظة عليه كما تجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وباى نص يستدل من يامر المروءة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك تهيهات ان يعود ؟ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقع للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرح به المحدثون والفقهاء ويسهبون بعض حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه *

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامره شيخه ان يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لاتستدير دورة الزمان حتى يتراءى في عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تغشى انوارها اللامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المنصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يعمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر ؛

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني	او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني	وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجادلكم ادلة وحججا انتم ادرى الناس

كيف تلقيوانما لسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكمهذا لايسلم من مرضه المزمن الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقئت عينـــه فعينئذ يبرا ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجوزون له ان يداويه بما ذكر وبماتبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ امتقولون له ان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول لهفقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمـثـل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هوموقفكم معنا فاننااتما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبرالذى هو اخــــو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منهابالاخلاص التام فـي اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناهالعلمنا بان الغاية تبرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال ببتر اليد ولابفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على انالمروءة التى يأمر الديـــن بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عـوائـد فـي اللباس وامثاله نغير لعل ماوراءها يتغير؛كما شرع تقليب اللباس يوم تصلى صلاةالاستسقاء على انه لم يتخذ اشياخناذلك ضربة لازب لكل مريدمريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لايداويه الاذلك ؛ وطرق التربية شتى لاتنحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهمفى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ماجربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كلشيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لناانتكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كتربية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنهمانريده وراءه عرفتم متجهنـــا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حـتـى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا ٠

والسؤال الثانى : اننا رايناكم تكثرونعلينا فى اتخاذنا هيأة مخصوصة للمريدين مادامو يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبى صلى اللـه عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولابشارة يتميزون بها عــــن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائن ؛ لايـفـضـل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فـــي الجواب ؛ اوليسان لكم ايضا أيها الفقهاء هيأة أخرى خاصة بين المسلمين؟ فمايكاد احدكم يتاهل للتصدر وينساق ال صفوف العلماء حتى نراه انتحى ناحيةفيخرج الينا بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فماكان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فىذلك : ابويوسف ؛ ونعم القدوة ابويوسف ؛ ولـكـن

الذين لاتطلون مثل ماتلبسه الا ان فيه انكم ان فقرتنا الجليد والفرال وامثالهما ؛ فيقولون لنا بصورتكم نعم الفدوتان الجليد والفرال ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقى نحن وانتم فى الوسط لتدركوا ماعندنا ؛ مثل ماادركنا ماعندكم ؛ فنتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لاتمام مانريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتمييز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندى ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف .

هكذا يتحاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لايخفى على ذى عينين

* * *

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحية الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ماادركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد باذخ ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كأنها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقى فيه كل مامدت به اليه الايدى ولكنه سرعان مايسقط وراءه ؛ فيتتبعه الصبيان زرافات ؛ والهمج الرعاع الذين من دأبهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فثار ثائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كأنها فى غيابات الجب؛ وقد علمت ان مايقال محقق ؛ فلا سبيل الى تكذيبه ؛

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر | فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا | شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

واهلنا السعديون ابعد الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن ذلك همما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ؛

واستف ترب الارض كى لايرى له | على من الطول امرء متطول

ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذى يعلمون منه مايعلمون يسف الى

ذلك او تتدل به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبـق الى اذهانهم ان ابنهم بلاشك ممن اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او المتبه مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولــه مسكة من عقل اولمحة من تمييز

اذن الشيخ سيدي سعيد المعدري لتلميذه هذا ان يجول فـي الاسواق وان يطرق فيها العادة ؛ فجال اولا في بعض اسواق (ازغار) ثم في سوق (اساكا) ثم في موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفي وكان ممن له المام ببعض اعماله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التي تجاور الغ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال في سوق الجمعة بسملالة وهي اذ ذاك كما ابتدات ثم في قبيلة ايت وفقا ؛ وهو في كل ذلك ملازم للصمت لايسمع منه الاعبارات التكفف لاغير وقد قصده في أيت وفقا سيدي محمد المدونة الايغشاني تلميذه الذي كان اخذعنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومروانيــة فطلب منه الدعاء والح عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحمق اوطلب دنيا اوجاه وان ذلك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فأجابه هذا حين الح عليه فـي الدعاء : لاأو يعطك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبي　　　يقول يـارب لا لا

لقد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛لايحير الجواب لابيه ولا لامه ؛ ولايتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتي عليه .

حكت لي والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كـبـدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادي ان السغب يقطع احشاءه؛قالت فلاادع كل ماتصله يدي ؛وأمكن لي من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ماعندنا ؛ ثم لايعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه في بيت ينفتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفثأ جوعتي الملتهبة الهائجة ولو بقطعة مـن الخبز المكرج (٢) فانني ياعباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ايوانه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذي صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهـب

---

(١) الطبي بضم فسكون : الحلمة الزائدة في آخر الضرع ؛ وذلك مثـل مشهور في اشتداد الشيء

(٢) كرج الخبز : اذا يبس وفسد

بأجمعه الى ضريح الزاوية هدية فوكرض لما سمعه من ان ماأصابه ربما جاءه من تلك الضريحة ! هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد

في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابنائها ! ليزددن بهم قرة عين ! وبهجة نفس الا تلك الام المرزوءة في ولدها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ! قالت لى فما دخلت حتى ناداني — وهو اول كلام سمعته منه — ياأماه ماهذا الذي في رجلي ؟ فقلت انه كبل ياولدي ! فقال اوهكذا فلماذا وضعتم على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدي انك ياولدي جننت فلم نجد بدا من ان نكبلك ! فقال عجبا اوكنت كذلك ؟ ولكنني الآن استرددت شعوري قالت فثاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسأله حتى تحققت مآله فاقبلت مسرعة الى مطبخ الدار وفيه نساؤنا مشتغلات بالغداء فاعلنت بشراي فارتجت الدار كلها فرحا فاقبلنا جميعا مستديرين بولدي على وقد حضر فتى من القرية فاماط الكبل فازال كذلك ولدي ماعليه من اللباس الخلق فاتيته بكسوته البيضاء من صندوق فلبسها وارتدى بردائه ووضع العمامة على راسه فارسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدي محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاقيمت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فاقبل المهنئون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده [illegible] ! لم يزل ملازما للفراش من مرض كان الم به ثم ازداد بماوقع [illegible] ففي صباح يوم لعله اليوم الثاني ذهب ليزور الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امراة من القرية فصارت تناديني وصوتها [illegible] الى الآن رأيت ولدك قد استدار بثنية (تالات نيت عيس) ويذكر [illegible] جهرا ! وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتي ولم اتحمل الصبر فاسرعت بطفلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدي من ذلك الرجل المعدري الذي افسده على قالت فراح على الليل في (تيغمي) فبت هناك عند اسرة من معارفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادي قد خرجت روحه اثر خروجي من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولدي العالم الذي هو كل منيتي وآمالي في حياتي قد عاثه العائثون وتسنم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتنكب اهله فصار يجول في البلدان والها حيران ابله كانه هداوي من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي واب مهجتي قد مات عني فوقفت في حيرتي لا ادري أأتقدم الى الامام لافتش عن ولدي ! ام انكص على عقبي لاشهد مأتم زوجي ؟

هذا ماحكته لى رحمة الله عليها فاها لاذني ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ! وكنت اذذاك قد بدأت افتش عن اخبار والدي هذه ! فيسر الله لى من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ماوقع اذ ذاك في رحلته الحجازية عند ذكره شيخه المعدري ! فقال بعد ان ذكر ماحصل عليه بملاقاته معه ؛

تركت ماسوى الاله هجـرا فلهجت نفس بربي ذكـرا
ولبحت عندي ملاح الدنيـا مما يرى برؤية والرؤيـا
وليس لي في غير ذات اللـه ماوى ولا عن حسنه ملاهـي
فصلت عني سائر العلائـق لكونها عن مقصدي عوائق
بدلت احوالي بخرق العادة لطلب الاخلاص فـي العبادة
وكان في تخـريقي العوائـد افضل ما يجني من الفوائد
ولست تعرف الذي ثم سوى بفعله ان كنت تارك السوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا ماأقرب الاخلاص ممن نبذا
فاختلف الناس فـذا يقول جن فاين القيد والحبول ؟
والبعض قال انـه مسحور اين رقى المسحور والبخور؟
وعند جل الناس كنت احمقا فلم يكن فعلي لـديهم منتقى
فكل من جهل شيئا عـاداه وكل من عرف شيئا نـاداه
من بين فرث ودم يسقينـا لبن معرفته يقينـــــا
ذاك بفضل اللـه لابغيره يوتيه من اراده لخيره

قضى صاحب الترجمة ماندبه اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط في سلك المتجردين بين يديه ؛ لايتنفس الا باذنه ؛ ولايلتفت يمنة ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلي لاستاذه مولاي عبد السلام : انني اغتسلت من علمي وعملي الا ماياتيني على يديك ؛ وقال الجيلاني البغدادي في عينيتـــه المشهورة ؛ يوصي المريد بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشي في رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم لم لايفلح أبدا ؛ ومن اجال نظره يعلم انهذا الشرط يتخذ اساسا في كثير من الجمعيات والتنظيمات كالجندية وشبهها ؛ فلايختص به الصوفية المربون لاصحابهم ؛ فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يـديـه ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلـك لتلاميذه حين رجع شيخا مربيا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيـــخ يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امي ثم وفقنا اللـــه فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما في هاجرة تذيب دماغ الضب ؛ وتعشي اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعا للزاوية فـي بسيط المعدر ؛وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايالفون مزاولة المهن دمـــا

كصاحب الترجمة والتامودزتي وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عبرته فقال والله لولا ان الذي تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابيننا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان في صدري قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حمارة قيظ ؛ فراى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداء من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومما وقع له في هذا الصدد انه كان سائحا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) براس الوادي ؛ فاقترح عليهم اهل القرية ان يطلبوا من الله الاغاثة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب الياس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك في هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقضي هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولابد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله مايكون ثمن جميعه ست ريالات حسنية ؛ وهي اذذاك خصوصا في هذه البلاد المقلقة مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هنالك ؛ فوقف ينادي

الامن يهب لي لله ست ريالات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه بعضها فيردها فيقول انما اريد الست ريالات دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب في السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه نادر [illegible] ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت [illegible] من احسنها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء مناهم [illegible] عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسر من زيه [illegible] حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل مافعل كعب بن مالك يوم [illegible] الله بالتوبة مايستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين في بسيط العدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة؛ فقال المترجم مقترحي انا ان لاافقد طوال عمري من يعينني على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة راى مرة اذ ذاك نفسه كانه راع يرعى سائمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت انه سيدي الحاج الحسن التامودزتي - ان رؤياكم يابني عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعي والمراعي الذي اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك امر مابينه للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالري الذي لايغادر عطشا؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكي التالكرتي الافراني حضر مرة في موسم من مواسم صاحب الترجمة الاول بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الغ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الغ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ في كل طائفة عشرات او مات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له : الا تذكر الرؤيا التي كنت رايتها في زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافراني بهدية عظيمة .

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراياها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها في رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة في قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المومنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا الحديث وذلك اليق بسياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المومنين ينبغى ان لايفرط فيه المومنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرءاة يتراءى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولامقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحي في مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا في تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرخ الشباب .

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة في طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس علي ندبوهوش سنذكرها في محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملي نزيل (ايرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقده فدله على صاحب الترجمة في حكاية سنتعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتي ان شاء الله ؛ وقد بقي صاحب الترجمة يتعهده دائما قبل ان يتصدر في دست التربية وبعده الى ان

توفي هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اظهر احد الذاكرين انه مارأى من شغلته لعينه وافرهن عن كل العوالم جمعاء ؛ وانارت فيه محبة الله فانسته اهله واولاده ولغفه حتى لايبالى بمطعم ولامشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقني وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتني نوبة السقي بين الجماعة ؛ فبينما نحن فيه فاذا بي اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انحدر على من ثنية تصاقب قريتنا فما ان سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعري ؛ فوقفت مشدوها ؛ فلبستني الذي يصدقني من الصهريج فوقفت في مكاني حتى مربي الرجل وهو في مرقعته والمهدورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لايلتفت وعلى محياه انوار تتلالا كانها انوار الشمس في الجو الصاحي ؛ فتبعته لعلى اساله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصوده وراء ذلك الا ان اشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل شجرة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسائله ؛ وهو لايجيبني بكلمة واحدة ؛ ثم اجترات فمددت يدى فزحزحت غطاء وجهه فنهرني بهذه الجملة ، ماكان ينبغي لك ان تسال الا عن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت بين يدي الله . هذا كل ماقال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فالبست ثم رجعت فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت في قلبي نكتة منه ثم لم تمض الاسنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه فكنت اول من التحق به في القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت صاحب الترجمة في هذا الحال ورايت كيف كان حاله في طور التجريد وقد كان اذا ساح وحده فقد رايناه كانه احد رجال كتاب (روض الرياحين) او احد المذكورين في (الرسالة القشيرية)

في جبالة

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بثال زاوية جبالة الدرقاويين ايام شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاى الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٧ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدآل جبالة فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فارسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اخبرني الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسي انهم مروا به في اداوتانان ذهابا وايابا كما حدثني سيدى بلعيد التيزكيني ان هؤلاء مروا اذ ذاك بمكالة فباتوا في مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا في الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جبالة وهم يسيرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرني الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين ياخذ بعض المختصر عمن نزل بزاويتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظى ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج علي السوسي ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج علي فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ ﻫ وقد لقيته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ ﻫ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا .

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدراى صاحب الترجمة اهل الزاوية ياتون بالماء من بعيد ؛ وتنالهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لايجيبهم — وقد دخل ايضا في الشروط التي من بينها الصمت كما بيناها فيما تقدم — وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ماكان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاى العربي اومولاى الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب مافعله وسمعت ايضا ان مولاى العربي او مولاى الطيب على اختلاف الروايات التى نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحي الدائم ؛ وسنجرى في قلبك كذلك ماء حيادائما؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذى صح عندى من جهة السند فهو ماخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدرى ابن شيخ صاحب الترجمة قال : بينما والدى ووالدتي في تلك الايام التي كان فيها سيدى الحاج علي في جبالة جالسان في مشرفة دارنا يوما وبين يدى والدتي شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا بأبي تبدلت سحنته ووقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امي لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذاك ؟ وما الذى اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى علي اكرام — وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء — ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى علي الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى علي الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا ياعليان» او كما يقول له

هذا ماكنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جبالة
وأما فقراء جبالة انفسهم فيوردون حكاية اخرى ؛ يقولون ان اهل سوس هؤلاء
اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جبالة ؛ بل يقول
بعضهم فيسخن الحاج على حمله فوق راسه من سوس الى جبالة ؛ حتى حص
شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلع وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء
الشرفاء ويمكن ان يشتري هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان اخر
قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون
صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحص شعره بذلك فعاد اصلع ؛ فخرافة من
الخرافات التي يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن
يخدمون في الخدمة سرا ظاهرا وربحا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم
خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحص
شعر راسه الا ذاك ولم يكن اصلع ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض
الناس زمن شيخوخته (نعم؛ انه ثبت عندي انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير
من سوس الى جبالة)

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخه

هذا كل ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا
اذا اردنا الثبت فلنصغ لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكي لنا
قصته بنفسه كما قال بعض الالفيين :

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه   فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
اذا زمن تسقى الرحيق بكاسها   فمدت صريع الكاس والاعين النجل

الرسالة

من علي بن احمد الملقب بالدرقاوي ومن معه من الفقراء سيدي الحاج
محمد وسيدي ابراهيم وسيدي محمد بن الحسن وسيدي مبارك وسيدي ابن
محمد الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاي العربي ومولاي الطيب واولادهم ؛ الى
شيخنا وقدوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقرة عيننا وانسنا وعزنا
وكنزنا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد
شروق شمسه ؛ وتبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء
الكمال والمعالي في يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع
ويسجد في رمسه وكيف لا وقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل
في معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذي يتبعه الوبال وكل من
يشكو علته يعالجه بشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاضمحلال
فهذا السيد الجليل هو الذي انقذنا من الظلام الذي اسبل علينا البراقع وداوى

بترياقه فينا السم الناقع ؛ وقلنا السمع الخرق على الراقع ومذانا في شبكتهوواقع
وأنا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااتى عليها باللامع
فجازاه الله الجزاء الذى هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ماخلقناله من
الاخلاص الساطع ؛ من أشارت اليه الايدى بالبنان بانه حامل راية العرفان على
رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاى سعيد بن محمد احمد الله
عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من
المسك والريحان ؛ تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
مادام وجود واجب الوجود ؛ الذى هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا
الى دار أولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء
الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من
لقينامنهم بعدالدخول ؛ الذى تقول لناهو وارث سر مولاى الطيب وهو ذو الحاجة
منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكى التقى السخى النقى الوفى الخفى
الذكى الوذعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاى عبد
الرحمان ابن مولاى الطيب؛ فرحب بنا اى ترحيب وسالناعن احوالكم واستقصى
الاخبار استقصاء الطبيب فأخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما في رؤوسنا
حتى شفي الغليل وبرىء العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد ؛ وحتى فرحت بنا الاشجار
والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد
الاعيان ؛ وزرنا مولاى الطيب في بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته
به في حياته لما دخلنا بيته كاد لحمي وعظمي يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة
وكيف لاوحال مماته كحال حياته (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما
وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم
الزيارة التى اتينا بها ؛ وهي ثلاثون ربعا ؛ عشرون بوجهها وعشرة في ريالتين
والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عناووقاهم
ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع في بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة
بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على
نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولابمن
اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
من الفقراء جاءوا على وجه الله مااتوا بشيء بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا
عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه في عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

---

١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

احوال الكمال فمن الى شيء فالنفسه واماهم فمستظلون في القلوب من ذلك والحمد لله على الخير في مكانه كما قلت لنا ؛ في الوقت الذى مات (١) مولاى الطيب ؛ رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاى عبد الرحمان مقامه ؛ وقد صح ذلك الفال يقظة ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخواتنا فان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى البلد ونصبح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذى اراد الله ولو في مارس ؛ وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابداورايتموها في السفر كما رايتمونا في الحضر ؛ جزاك الله بكل اسم ظاهر او باطن حسي او معنوي ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلبنا فيه الوراثة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين في السفر كالحضر والحمد لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرتنا به وارسلتنا اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والقارىء لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من [illegible] فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء الفقراء الى مولاى عبد الرحمان الذى نعلم عنهفي آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامر الذى [illegible] النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف [illegible] ، وكما يفهم ايضا منها نظريات اخرى لاتخفى عمن يالف ان يستنتج [illegible] هذه البواطن من الظواهر ؛ مما لافراغ معنا الآ نحتى نتعرض له فاله [illegible] ان نفهم هذه الثمرة الروحية التى ماجت على المترجم فانسته كل شيء [illegible] قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء الطلبة [illegible] الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدرى الناس اين توجهنا

في فاس

في الالسنة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه حين حلوا بفاس مرجعهم من جبالة ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن لم اقف في ذلك الآن حتى على ظن؛ الا ماكان من خلوة اختلوها هناك في محل مقصود في خلفه مدرسة الوادى -انامكن انيجد فيها غريب ماوى- فخرج احد الفقراء فاوصاه صاحب الترجمة انيتطلب في السوق بالجهر وهو والف عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك في فاس ؛ والا ما اخبرني به

١) توفي مولاى الطيب ١٢٨٨ هـ

٢) ايام ثورة الريف

بعضهم واظنه صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم فى مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب ـ كما تسمى فى اصطلاح الصوفية هـؤلاء ـ فاعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من فى الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا اليها ؟ فاقترح عليهم ان يكونوا اضيافه فاضافهم مرات فى داره وهـذا الفاسى احد الرؤساء فى الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدى الخضر السجعى .

ثم وقفت فى نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلى

وراهم شيخ بزاوية وقد	وجدوه فى ركن من الاركان
فرأى من أهبة جدهم ماراقه	فاتوه للتسليم واللـقيان
سالوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انااعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت مـن	احوالكم صحبالرضا الصمدانى
اعنى الامام الدرقوى العربى كـ	ـنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	ـحب العارف المذكور قطبالآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الىهذه القضية التى وقعت لهم بفاس

واخبرنى الشيخ سيدى محمد العطار الحراق حين نزولى بفاس مفتتح عام ١٣٤٣ هـ بماعلمت به انلصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك وذكر انتحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحلمعاصحابه عنهم الى سوس ؛ كان وعدنى بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعانى مـن ان اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذى اضافهم من هؤلاء الحراقييـن بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذيـن بزاوية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقى خليفـة سيدى الخضر ؛ ونصها

اخواننا فى الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطيبى ومن معه مـن حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلاباس ولله الحمد عندنا وعند الفقراء جميعا فى كل جهة فى سوس والمتجردون سائحون الىجهة فم تاتلت عند سيدى احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان شاء الله فى يناير ؛ وسيدى سعيد التنانى معه مفى السياحة ونحن فى البلـد بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهاانا ارسلـت هؤلاء السادة ياتونا باخباركم وياتوكم باخبارنا لاغير ؛ واما الأمور فكل شىء فى رؤوسكم ولانحتاج انذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل فـى الخير مالاتوصيه عليه ؛ وغير العاقل لايفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير الزاوية بالذكر فى كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولى بذلك ؛ فقد وصيـت سادتنا اهل مراكش فى براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولى بذلك ؛ وكذلك انتعرضوا

النفس من ذكر الله والورد والمذاكرة لعباد الله ؛ فانتم اولى ان تفتشوا من الناس وتجذبوهم الى الورد بكل ماامكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛ وسيدى الحسن الركانى يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت فقد عرفتم اساسها وبناءها ومايضرها وماينفعها ومايصلحها ومايهدمها واياكم والجدال في الطريقة ؛ فانكم احتجتم للمقال وللحال ولاتتركوا واحدا منهما وكونوا ترابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون فى الحين والزموا الصدق فى القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما فى ايديهم فلايرون فيكم الطمع الذى يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندكم من الفلوس فلابد ان يروا الشيء الذى صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لابد ان تطمئن القلوب ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالفقير اذا ذكر الله تعالى عرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدينة موضعها في اللباس ولا فى الفراش ولافى الماكول؛ فالطريقة ابتداؤها الجلال وانتهاؤها الجمال ويظنوا كل منصب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدى مولاى العربي الدرقاوى رضى الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولاتغيروها [illegible] فالفقير العاقل لايتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من كثرة الذكر وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم [illegible] فى الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته فى مقاله وحاله ؛ فكل من رآه او جالسه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كان اوصانا شيخنا سيدى سعيد بن محمد المعدرى السملالى حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربى فى جبالة كل من رءانا اوسمع بنا واحرى انجلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشتاقون الينا من بعيد لافى الذكر ولا فى المذاكرة وقلوبنا فى الملكوت كما قال سيدى على الجمل ؛ على فى الحانوت وعلى فى الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدى الخضر فى فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثةعشر يوما اذ قلنا له لمشى « والله مااتى بكم ربى الالى لاغير وكنا نغيب فى كل ليلة ونهار فى الذكر والمذاكرة ووقعت لنا فى فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لاينشاالامن خرق العادة ؛ كما قال فى الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلى ؛ فهو قريب من ربه غاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية بالاقامة مايثبت له فى كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هوكونها موضعا لله تعالى لان الزاوية فى الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذاكر ان يجلس فى ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب عل الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سمي بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولاتهملوها ؛ فالله يقويكم وايانا جميعا عل الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠-١٣٢٧ هـ

في محاورة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استاذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد عل ماكان يلابسه من احوال الصوفية وجراءة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقي ولاتذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما عل كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقته التي تفوق بها عل اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتمي رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقرر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويحلق بها في سماوات مجلسه بين سواري القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزي يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع مانقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكأن الاستاذ ألقى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التي لايتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم عل قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ مابين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزي فهو زي المساكين الذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا ؛ واما حكمك

بانه لايتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن لـه الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه انه له هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيد واتباعه ؛ فقد اثنى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين ماهيه الجنيد بعد مابين السماء والارض ؛ فان ذلك لايضيرهم لان عليهم ان يسيروا في الطريق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبذلوا جهودهم وأما أن ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلاشك ان رأيه فائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بأن فضل الله قد انقطع وان أمثال الجنيد والتسترى ومالك بن دينار وابى على الدقاق وعبد الرحمان السلمى والقشيرى ومولاى عبد السلام بن مشيش والشاذلى قد انقطعوا ؛ وان ماكانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فى هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التى تخوضون فيها ان بينكم وبين المكانة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد مابين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل ـ صاحب الترجمة ـ فى هذه المحاورة كما حكى ذلك احد رفقائه المتثبتين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحسن الفصل والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب فى المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلايقال له كلام الا أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المتثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التى بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهرى بحديث الافك الذى مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر الحق محاورة عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبه كلاما طويلا ابى الاان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسيه طويلا ـ وقد جلسا حين المحاورة ـ فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم فى امثال هذه المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولـعـل الله رأف بذلـك الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج فى القرويين ؛ فلو ان الشيخ كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة •

تلك هى زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى انلحق بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذى يصدر عن فاس الا ولسانهيتدفق على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتـمـعر ان ذكر المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابا جمة ولطفا يأسر العواطف واخلاقا تؤهلهم الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عـنـد ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكرا طيبا خالدا •

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا فى الزاوية هناك مرجعـهـم فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم ـ كمااخبرنى به مخبرون ـ عجبا من فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذاكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرنى آخرمن السوسيين انه بات فى زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء فى احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لوكانت تلك الناحية من القبة تتكلم لانباتك عن احواله واذكاره ومذاكراته فى تلـك الايام التى قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهـرا واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا

ذلك هو اثره فى سلا ؛ وذلك الثناء هو الذى يتبعه السلويون الابرار كل من الم بهم وكل اناء بالذى فيه ينضح ؛ ولاينبئك مثل خبير •

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه

استاثر الله بالشيخ سيدى سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك فى هذه السفرة فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تـحـت رئاسة سيـدى الـحـاج الحسن التاموديزتى ؛ فوصلت هذه الرفقة المعدر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فارسلوا الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم أيضا ذلـــك النــهـار الى تاموديزت فالتقوا هناك ـ كما حكى لى كمن اخبره من حضر ـ بفرح عظيم وبشر آخر صوفى لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم بينهم فظهر لهم انينقلوا الشيخ سيدى سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعدر حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه فى مقبره اليوم وسط ساحة زاويته •

نادى سيدى سعيد اصحابه من قبل ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجمهور الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين راوا ان يعينوا فيما بينهم من يقتدون به ؛ ويجتمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتول رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعله فى القرى ؛ اجالوا القداح فى ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدى الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لا والله ما انا لها باهل ؛ فكما انه لايحق لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله فكذلك لايحق لى ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم التفت الى الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدى الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولايعدو لهذا الامر ؛ ولامعنى فى كثر القال والقيل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح الناموس الى رئيسا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا فى سياحات فى انواع مختلفة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرنى من رءاه فى تلك السياحة والطائفة فى طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متحادثين فى العاديات ؛ وهو منتبذ يمشى مطرق الراس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج عن الطور ايضا عما كان عليه فى زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات ...

... اهله

القطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذى خرج فيه صباحا الى المسجد ... جنازة والده العشية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد ... عرفوا انه توجه الى الغرب ــ وذلك مايطلق على ماوراء مراكش فى تلك البلاد ... ايسوا منه ؛ ففى يوم كان احد اخوته يحرث عند (تيزرا ايفولوسن) فابصر ... سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فانطلق اخوه ... الحرث واقبل ركضا يثب وثبات المستعجل النشيط المرح الذى ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الدار البشارة البشارة اخى قد جاء ؛ فطارت امه ؛ فاول ماقالت لابنها اجر الى الغنم ائتنا بكبش تعلق الوالدة من ولدها على تقبيلا وعناقا وضما وطالما امعنت النظر فى وجهه واو كان لايزال صغيرا ضمته الى حجرها ؛ ولكن شب عمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح *

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعدها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ والذين بعده الى ان كان ماسنذكره

لطمة تردة إلى أهله بالكلية

قرأت معي ايها القارئ حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقي فيه بين الفقراء بعدموت شيخه ؛ كمارايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل مارايته انه ممن يوثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية : الخمول كله نعمة والظهوركله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لايبتغون به بديلا ؛ ولكنه نفض اليد من ذلك وقنع با نيكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انه يحكي عن نفسه انه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشادالعباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذي لايومن مكره وقدحكى عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ ه وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له : (زد هان اردن ران ادتزايادن) (اى زد املمك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رءاه كمافال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ ه ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويابى الظهور كل الاباء ؛ وقال انذلك كان على اذاك كثقل الجبل ؛ فيقنع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عبادالله تحت يدى سيدى الحاج الحسن فكانفي تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ماكان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كايتلينغ افولوسن افياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعني فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التي تضم في صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لايلبث رأيه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينهماوقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعةمنيشذ عنهاوعن مبادئها وان تزيا بزيها

جلس اصحاب سيدى الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في اخرى فتجاذبوا المسالة بادب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعداني المجاطي حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يفده تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ماكان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث في ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له : في كل مرة يامدعي

نبلغ في المذاكرة ونأبى ان نطاطئ الراس لمعاندك ؛ ويأبى الله ادعاؤك الا ان رجالا بهم الجبال كذلك لانعرف مقامك ولاننتهي قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس الاعظم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا؛ ومااثاه الفقير ابراهيم ابن الحسن الابعدانى من ان صاحبه لايسلم في المذاكرات اخذ معقول بامنا براه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدى الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدى الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الابعدانى فكان هذا وامثاله يريدون ان لايروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كان ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذى وقع على الخلاسيدى الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ وحول الطول امثال الابعدانى موجودون في كل طائفة

الى هذه العلمة ثم للمترجم مالم لما ستراه امامك فقد طارت الطبيعة كالمناجيد الذى يتفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط ما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى، فقد امتعض الفقراء مما جرى من الابعدانى الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يكون لذلك تاثير جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباج اديب الرباط اذ قال

فيم الرجال من الرجا ل اذا تنافرت القلوب

فان كان هذا في مطلق الجماعات التى تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التى لايضمها غير العاطفة والشعور

... مركزا ببلدته

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدى الحاج الحسن التاموديزتي وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على نزلوا بقرية ايت سليمان ؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى ؛ وفي اليوم الثانى اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ غير ان اخينا على فانه تخلف؛ ففي وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج في المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه ؛ وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على مالابد منه من الاشغال فثارت الوالدة في وجهه ؛ وقالت له والله ماانت بمغادرنا ؛ ولاتترك القرية اهلك وموطن ابائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزوج ابنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فاستعانت به في محاولة استئصال تلك البذور من صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت اكون امه ارى منه قرة عينى وفلذة كبدى وابنى على مستقبله من الامانى ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجنيت منه الثمار ينقلب عنى ملتفتا الى مجتمع لااراه ولايرانى ؛ لا والله لايكون الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا على فالح عليه ان لايفارق الغ ؛ وقال له فيما قال : فاذا ذهبت انت عني فمع من اسكن هنا ؟ اابقى هنا فى غربة وحدى ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا مالم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا على بانه خاوى الوفاض ليس عنده مايعتمد عليه فى هذه البلدة الشديدة الوطأة فى الحياة؛ قال واما فى المعدر فهناك من سأتزوج من عنده ؛ فاجعله بادئ بدء معتمدى ثم هى بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لايحتاج فيها الى مايحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ماتتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتاخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لاخينا بد من ان يسلس لما طلب منه وقد راى الامور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية

فى بعض الرسائل للمترجم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولابد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزالت تلك الصعوبة عن قلبى ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحى وكان ذلك فى وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقته الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفى نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الان فى اخر العام ١٣٠١هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى انجاء فى رمضان ١٣٠٢هـ كما ترى

قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لاتكون الا فى الغ ؛ فلنبدا منذ الآن فى تاسيس الزاوية ؛ ففى اول شوال اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لايليق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامراة تسمى تابوريشت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ثم ابتدأ البناء فى اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول مابنى اذاك بناء ساذجا على الكيفية التى تمشى عليها المترجم فى جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذ ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالغى :

بيت اتيح الخير من وجهاته	فاتيح ما ينكا الحسود القالى
مثوى السعادة والسيادة والتقى	ومزار كل مهذب مفضال
سلم اله العرش اركانا لـــه	بنيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به ربنا بثوب الحال

وللمترجم في اول رسالة له المام بما وقع له في هذا الطور ؛ مما اثرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ ونصه

الحمد لله الذي يتكرم على عباده ويتفضل ويولى من يشاء من عباده بفضله ولا يسأل عما يفعل ؛ الذي معرفته هو القرب لعباده من حبل وريدهم فلذلك نجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك وانما المقصود انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا في غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلى وجدناه كماقال جاء الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما في الهيمنة غريبا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبيل فجر اليوم الثاني لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا في ذكر الله فقال لي اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتي لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد في نفس ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسي ؛ ولاأقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اربيه ؛ وقدكان شيخنا سيدي سعيد المعدري ارسلني الى [illegible] السورة مع فقير ؛ فقال لي اعطيناك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩هـ فقلت له [illegible] نفسي لاتريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لي بهم فقال لي هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسي ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لي بالعجمية (زدهان اردن ران ادتزايادن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لأني مستغرق في حضرته ولكن قلبي لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوي ؛ فاجتمعت همتي لذلك من غير ارادة مني لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون المأذون فيه رقيبا على [illegible] المأذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاي العربي ببركة الاذن جاءنا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذي كان عند السادة الاولين يرشدون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالي والشاذلي ومولاي عبد القادر الجيلاني انتهى المقصود من الرسالة

هذا ماذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء ادرى بنفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

---

(١) اي زد امامك فان الجميع سيزداد

قرات الاسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك مانقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من راى من نفسه اهلية للقضاء اوالامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولابد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو بدارهم ؛ هذا مانعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ومكارم الاخلاق للناس حين يتتبع القرى يستقريها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه امضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ هـ الى ١٣٢٨ هـ وهو لايعرف مللا ولا سئامة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لابد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعاين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لابد عارفوه مما سياتي من باقي مانتتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها مايبرر تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم ندر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لايمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ماوجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للعامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذاك نفسه هو غالب مايشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كان اول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافي والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك في بابه الصوفي الكبير سيدي الحسين بن مبارك المجاطي من

(بالاستغفار) كان ما بدا كهم المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عنتا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصري فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم فشكوت ذلك لسيدي المدني فقال انني لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما القن للناس مابايدينا تبركا ؛ ثم قال فلازمت في مسجد من مساجد دوكالة اذا بالشيخ فلقنني ؛ فلي الحين وجدتني منقطعا ال الله ؛ وقلبي قد جليته الطمانينة لاستجاب الله دعائي في الحين ؛ هكذا يلتقي الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماصار يتعاظم بتوالي الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه •

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢هـ ثم اتمها بتاسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقيرته بالمناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تزيل به ماكانوا الفوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشي وئيدا في مرقعته لايشتغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهو ذا اليهم بوجه آخر واول مافعله تاسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد للزائر ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه من قبل وهو الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذي يجهل العلوم ومدارسها عند المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة في الغ وقد كانت انباؤها احدثت ماحدثت حين اعتنقها وحده ولده ؛ ثم القى عنه هيأته الجميلة • فجال في مرقعة غليظة وسبحة طويلة وقلنسوة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين ازال ما قبلهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؟ ويعلن انه شيخ يتصدى لتربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالتربية ؟ كل ذلك عجب عند اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينتفض من خموله المتراكم فجاة ؛ ومن اطراقه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الراس ومعلن اولاء لتنازل فتشارك هذا البعض من القراء في عجبهم وتظهر بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق في دعواه هذه فيما سيأتي من سيرته التي سنتتبعها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم في هذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم في بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا ما ابصرنا من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ماقاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ماقاموا الا لنفع العباد ؛ ولتهذيب النفوس ولكنهم لايلبثون بعد ان يتبجحوا الشهرة والاقبال ان يلبسوا العباد ويغرقوا في شهواتهم الى الآذان ؛ فلسان كل انسان لاعظم فيه يديره كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال العظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من العنفاء ؛ وعند المصيات تظهر التركات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل والعود اعوج ؛ ولبعض الالفيين :

خيل السباق تتساوى فيابتدا ولايرى السابق الا فـي المدى
كذلك الرجال كـل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر ايضا انتنظرله سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انهلايعقل الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولا بنت للحاج ابراهيم الايغشانـي فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد ثم ذكرت بنت(حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتـها ممن عادته انيتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقـعـة ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداوييـن يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذى يعرف به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف انيطلق حتى نفسه وامه واهله ؛فالاقرب منه ان يجر ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذاتقول حوكا وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفـقير مسـعـود بيليوش التيبيوتي بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تفلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل بالمراة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بناحمد من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ماجهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (مناقواه الرجال) وكان الزفاف الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث منشوال ليس فيهالا بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوافي هذه السنة عندالمترجم وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتذاكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العمان الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له اوكنتمفي ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذى يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج بهمن الزيت لقنديل فارسل في الحين الى الفقراء اناء منزيت يسرجون به

أمر الحياة الجديدة

سايرنا حياة المترجم من مهده في الكتاب فالمدارس فمنقطعه الى المصادر فسياحته ؛ فجلنا معه وهو في مرقعته متجردا عن كل شاغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه في هذه السنة قد ظهر بمظهر اخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذى كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا نراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدر لتزعيم الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لابد له من حالة تعلن بلسان حالها : انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولامتشوف الى مافي جيوبهم والا كان ذلك كحبالة من حبالات القناص ينفر الناس بادىء بدء اكثر مما تهديهم وتقود ازمتهم ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هيئة مستحسنة في قومه ؛ لاتقتحمه عيونهم ؛ ولاتشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؟ واية هيئة سيبرزبها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وماكانت بلاريب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له في حادثة قبل ان يلتبس بحالته الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب في غلوائه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزي والد امغار بلقاسم الازربيسي اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدي علي بن احمد وهو في مرقعته وسبحته وعكازته يملأ الجو بهيللته لايفتر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه حياة ان كانت تلائم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذي يقتضي تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لاتنفيرهم بمجرد الرؤية ولاسيما قلوب وعقول كثير من الناس الا مماتتاثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذي يعرض عن كل احد لايبالي الا عن خويصة نفسه ؛ فانه لايبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ فلاتلزمه مرقعته التي تخف بها مئونة الاهتمام باللباس في كل وقت ؛ من تجديد وغسل وماالى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكون مثله مثل الناس في العادات المالوفة التي لاباس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليمكن التاثير المطلوب *

هنا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع المعهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلايترك مجتمعا في القرية ولافي

جيرانها الا الم به مؤانسا اولا لمواعظا مرشدا ثانيا ؛ وكان مع ذلك فلمايفارق الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده لكل من آنس منه قبولا ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء في جماعته ليمكن ان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخا ؛ حتى تسرب ذلك الى العوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية متى اطلق فلايسمى الابه عنداصحابه وعند غيرهم؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زجه فيها الا انضواؤه تحت لواء شيخه المربي ؛ والصوفية لايشترطون تلك الحالة الا لبعض من لايزالون تحت نظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلاباس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرائية الشريشية وامثالها من الكتب التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية ؛ فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لايحصل الا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديدا وسموه به فلاينادى ولايذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننعته منذ الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريبا في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسيح إلى آقا

كان الشيخ سيدي سعيد المعدري قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فآقا من مسارحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيرا للعهود واستنهاضا للهمم ؛ فلهذا ذهب راجلا في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة اقا ؛ فبقي هناك الى ان امضى عندهم عيد المولد ؛ وكاني باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوي من يكونون حديثي عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجالات لاتطمئن نفوسهم كثيرا لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا مما يستهوي كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراشقة والمغازلة في مخادع الغواني ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء فهيهات ان تبقى منه لفتة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يؤدي من الحقوق ماينال به الخيرية التي اومأ اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ؛ ولاباس ا ن نلقي في اذن بعض

المغربين الشرقيين ان التعييد هكذا الى عرس حديث في منأى عن الاهل ؛
ليس مما يستنكره في عادات اهالينا ؛ والبر بالاهل انما يطلب من الرجل في
حسب بيئته التي يعيش فيها ؛ وما كان مقبولا متسامحا فيه فلا تبعة على من
اعتاد فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعييد الشيخ اول عيد نائيا عن امرأته الجديدة
لا بأس به عندنا في البيئة الالفية التي لم تعهد شهور العسل

براجم التدريس

كثيرا ما نرى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المغبنين المتبرين ما لم
يذوقوه ما بين الطلبة المماريح المفاريح المفاكيه ؛ ووجدوا ما بين ايديهم والالاء
مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون في
فنون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مما عبر عنه بعضهم
اذ قال : «لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لا يجدون بعد ذلك
من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التي يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية
الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كما يقتحم الرغم الخائف اوضا
شائكة ؛ والحق يقول من يقول : «ان التصوف اذا سبق تمكنه في فكر الانسان
يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة
«كل من رأيته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لا يجيء منه شيء» ويرحم
الله ابا اسحاق البلفيقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء - ذكر الله الحمراء
بكل خير - اذ قال : «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها
ثم بعد ذلك يذيقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا ما يقال في
الصوفية والعلماء ؛ لا يزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف
لم يتصب بعد بكل هذه الشوائب التي اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى
ضده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لما يسف اربابها هذا الاسفاف المخزي
حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والعنجهية
والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادي
فطم على القرى واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصال حتى القرعى (١) فذهب
روح التصوف والعلم معا ؛ فاختلفت النيات فضرب بين الطائفتين بسور حتى
صار لا اتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟
اولا تكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ما هم فيه ؟ فيكفر
بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا في صوفية المتأخرين وفقهائهم فقد يشذ بعض
افراد من الفريقين فيعلم كل واحد ما للآخر من مكانة لا تنكر ؛ والشيخ من هذه
الثلة القليلة من الصوفية التي وان تبحبحت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة
لم تنفض يدها كل النفض من العلم واهله فقد رأيته تصدر في مدرستي
فم كورض وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذه شعارا وجعل مبدأه دثارا

١) اطم على الشيء : غمره والقرى كغنى : جدول الماء واستنت : جرت والفصال جمع فصيل : صغار الابل والقرعى : التي اصابها القرع والجمل الثلاثة امثال عربية

وستري معنا ايها القارئ اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة في الباقي من حياته التي امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من افارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر في منصة التدريس في العلوم التي تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١)لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربي الساموكني وسيدى الطاهر الافراني الشاعر المفوه والفقيه الحسين التاطاروستي والفقيه احمد التازيماتي والعلامة احمد بن صالح الافراني والجهبذ الشهير بلقاسم التاجارمونتي والفهامة المكي اليزيدي وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالغية والفطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فبين يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم في النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم في اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعي الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثاني فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الخ بعد ذلك الاستاذ المنعي ؛ فعزعليه ان يبقى مجهول القبر في ضواحى تامصلوحت فاتوا به في صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا في قرية سيدى ميمون في قبيلة كسيمة فاودعوا في قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل القرية وفي الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراءى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجبا لكم نبيت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى في قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول انا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فلن استعف عنه احياؤنا قام به امواتنا ثم يحكي الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافذاذ فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨هـ فاذا هو هو لم يزده تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخذم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعة الى ربها وألقى المقاليد الى العلامة أبى الحسن ابن عبد الله (ان الله

١) بضمتين : القوى

يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) فودعه الاستاذ شاكرا عمله فى تلك البلدة
ثم نقل كاجرة المشارطة الى الزاوية خمسا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت
اول مادخل الزاوية من الحبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان

ينهض بهمة علية إلى ما هو بصدده

ان الثانية من السياحات التى قام بها الشيخ بعد تلك التى ذكرناها الى
افا ؛ هى سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدى الحسين
ابن مبارك الجاطى وسيدى بوهوش اللوكاديرى وامثالهما من قدماء مريديه
الذين ارتشفوا منه الرشفة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن
ينتسبون الى سيدى سعيد المعدرى فجال هنالك فى املن بالارشاد الخاص والعام
فوقع كان ببعض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك
القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛
[illegible] فى [illegible] ماشاهده الناس من قلوبهم اولاحين تاثرت بكلامه تاثرا عجيبا
[illegible] ابصروه ناسا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه فى سياحته ماكان
[illegible] من المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضون من
[illegible] الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد
[illegible] ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض
[illegible] به بين الملا كما هى عادة المرابطين السائحين؛ وكل شغله الشاغل
[illegible] الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عن مدها الى اى
[illegible] الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبث ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور
[illegible] الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجاب تلك الهيأة التى
[illegible] بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون
بها فضلا عن ان يروها؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب
من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ
فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى مايلوقونه بعد ان
التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتذوقونه قبل اليوم
مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه
قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا فى مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه
اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيفى والرجل الصالح سيدى الحاج
الحسن من أيت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال
ثم كان ذلك هو السبب الذى حدابى حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته
وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) وقد ذكرت كل
ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)
ثم ان هذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الغ ثم

١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لايبقى فى زاويته الا يومات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب للهومايجوز ومايستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التى افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفته كافته ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس فى المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا مايكون الرجال داخل المسجد والنساء فى فنائه ؛ ثم يطلع -اذاكان الوقت ليلا- الى مافوق السطح انوافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛وكثيرا مايامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ماأراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب فى قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ماكانوا لايسمعونه قط من عالم ؛ ولايقوم به بين الناس قائم ؛ والعلماء فى غفلة عن هذا الواجب كانهم لايحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان فى اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والتى تجاورها فرأى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذى كانوا يسمعونه به ابله ذامرقعة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتبلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ماكان كل الناس جاهليه ثم لايجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامةفينتفعون بمايعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لايحدث الناس الا بما يفهمون عملابماورد : «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم فى حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به فى المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذى يبذله فى نصحهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوانهجه فسرعان ماتكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئافشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لاينشرحون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله فى كل من يتصدى لامركان ماكان ؛ حين لابد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لاتخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

فسحب الناس الأذيال القلوب بنا　　وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى في الحب غيركم　　وصادق ليس يدرى انه صدقا

سياحات اخرى كبيرة

في منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينيفون على الاربعين ؛ مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية ؛ فيقلبه ماشاء وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمه ؟ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ في ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد كان ساح اليهاقيل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه السمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما هياه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راى في منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة فلم يكد يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ في ذهنه ان هذا تعبير رؤياه ؛ ثم لما جال الشيخ في ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فراى الراءون انه من طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه فغرق في الحب الى اذنيه في اكبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هذه الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونوا الزاوية خداما ؛ ينذرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاوية الشيخ سيدى محمد بن يعقوب التاتلتى ؛ فعزف عن ذلك على عادته في مثل ذلك مماظلوهم به فسلب البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على مابين جنبيه •

فلا ترج الود ممن يرى　　انك محتــــاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هي التي كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحن قاعدون في قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر ظهورا ؛ فقام في الناس بالارشاد والتعليم والنهى والامر ؛ والتبشير والانذار وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه؛ اوسمع من مواعظه وانه مادخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟ كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لايمل ولايضجر والاعجب من وراء ذلك كله انه لايقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد باسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لابد منه ؛ كزيارة تقدمها كل قرية الى السيد الناصرى ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ماهم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريبى فمن دونه ؛ والناس اتباع رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبنى نور وجهه وملكت مشاعرى انوار تتالق من اسرته -على حسب تعبيره- فنفضت يدى من تلك الساعة من كل ماعندى فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالى ودارى وكنت بعد عزبا فانسانى ما رايت كل ماكنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى الدار ؛ بل بقيت فى سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد على بعض الناس مالاقدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه انشاء الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالنى الذى كان له شان عظيم بعد هذا الحين فى قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادى حتى حللنا بزاوية سيدى الحسن التيملى بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعدر قال ومما سمعته من الشيخ فى تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه ممن كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم ثم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض ذهبا ؛ ولاقصد عندنا فى كل هذه الجولات الان نصادف من يتعالى الى معرفة ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هى مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا وفيها نمضى حياتنا (وقد ذكرت ماحدثنى به هذا الحاكى فى جزء خاص من كتاب (من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى ايفران فاداى فايمى اوكادير وقد صادف قبولا عظيما فى فايمى اوكادير كان هو السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى الآن ؛ وقد وقعت له فى هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها لانها مكتوبة بتفاصيلها فى كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا فى اول عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فاداوتانان وقد مر على مشهد ابى السحاب فاخذ عنه اذ ذاك سيدى على التنانى المقرىء المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه سيدى سعيد التنانى الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل ذلك فى ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه في القبائل التي كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالغيين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطئهم عقبه وهـم كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذيـــن يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحود بيرته غيرملتفت لما في صرته .

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لاالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السويرية بعد عيد المولـد سنة ١٣٠٥هـ ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الغ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالغيين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقى والتمائم ؛ وانه مـن صنف ءاخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلـك في سياحته السويرية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مرة ليونة ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازى بغير جناح ؟ او يخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غني من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حـــب الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكانه سمـع بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشيء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلااحب انا الا ان تسلفني واوفي عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امـام الشيخ وراى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيء من يومه ؛ وقد نهضت همم ءاخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوفق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت فـي مبيضتها واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحـتها وغيرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة عـلى مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا او بيتين او

اكثر لالمام معنى ماذكر؛ اومبحث لمرضى له فجاءت بذلك كله رحلة الفية حسنة مفيدة؛ وهي تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب ؛ فيصف كل ماراه وصفا تاما ؛ فلنذكر منها بحسب منازله ماتيسر ملاحظين للاختصار ؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول في اوائلها :

الحمد لله الذي سددنا	ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين في الشتا	والصيف رحلة بها المن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان	بخير خلق الله والقرءان
وارسل الرسول بالبشارة	مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة :

في عام «شسه» (١) وبيوم اثنين	يـز (٢) بشعبان لقيت يمني
خرجت من بلدنا وقت الضحى	والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفي القلوب حرقة الفراق	وانما يسلى رجا التلاقي
ان الفراق قطعة العذاب	بل كله عند ذوي الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشييع	كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائـر والولهان	ومسبل الجمان والسكران
لكنني ودعتهم لله	فليس عن ودائعي بساهي
ورجعوا والدمع في المحاجر	كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه	اخو العلا السميدع النبيه

الى آخر الفصل الذي ستجده في ترجمة الاستاذ سيدي علي بن عبدالله الالغي الذي هو المقصود هنا ؛ وبعده الابيات المتقدمة في ترجمة صنوه الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ؛ ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايغشاني ؛ وستراه بحول الله في ترجمته ايضا ؛ ثم ماذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامي ؛ وستراه في ترجمته ايضا ؛ ثم قال وقد نزل في ذلك اليوم الاول في تازروالت عند سيدي ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشييعا	ثم تقبل النفس لـه الرجوعا
ثم حدا الحادي بذاك اليوم	بنا فودعت القرى وقومي
فارتحل الركب بنا سيرا الى	زاوية الشيخ طفاوة العلا

---

١) ١٣٠٥

٢) ١٧

سيد احمد بن موسى قاصدين ... اخص احباب لديه للزاىسين
من اجل اخلاقه ووصفه ... وعلمه وعقله ولطفه
بابه المحفوف بالعناية ... واله الموسوم بالولاية
ذو نسك وورع وزهد ... وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد ... والشبل في المخبر ذاك الاسد
اخوه ابراهيم نجل صالح ... ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل ... نزلته فنيل خير نائل
فكل ما اشتهته نفس النازل ... تناله اليد بلا مناول
وفي الصباح كنت في صباح ... في ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال ... والحب في الله دوام الاتصال
وارسلت امه خالنا الى ... لكي يزار قبر سيد قصي
وبعد ما اوصلته لقبته ... ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا في اساكا عند الابلاغيين

ثم حللنا اسكا فرحبوا ... بنا وفي ثاني المبيت رغبوا
فذكرت السنتنا احسانهم ... بطلب اصغوا له اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا ... نيران فتنة بكم تنطفئ
فهلوا ثم وفوا فغدروا ... فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل في المعدر مسكن شيخه سيدي سعيد

ثم الى منبع عين سرنا ... وجنة تلالات في دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة ... وزهرة الدنيا بهذي الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد ... شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس في احوال شيخه ؛ وسترى ماذكره فيه حين تقرا ترجمة شيخه هذا في (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان فيه ذكر ما وقع له يوم ملاقاة شيخه ثم قال بعد ما اطال

الى المنزل للذى فيه الكلام ... من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا ... فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه في سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد المريدين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ ... حصل بالوداع مثل النفخ

منه لماسة بحصن السالية ... نزل ركبنا بحصن الوالية

ماسة موضع الكمال طـــرا ... منبع اهل الله حقا جهرا

من كان من اهل القلوب يدرى ... ما قاله من كان حلف خبـر

رايت مرة بها اذ سحنـــا ... سرا من الاسرار منه بحنا

وتلك لى الاولى بذاك حنا ... قلبى لها وحبها قد سنـــا

فكم بها من جملة الاحباب ... كلهم ذوو صفا الالبـاب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انثنى الفقيه سيدى عـلى ... كذا ابـو سالم الـحـب العلى

قد حصل الفراق والجمان ... ينتـر اذ توادع الاخوان

فرجعوا مع البزمامـى احـمـد ... خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله فى المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحالنا الى المـزار ... لدى احبة عزيزى الجارى

جيران وادى سوس اهل الخير ... اهل المحبة لنا والغيـر

ثم حللنا دار سيدى الحسيـن ... مقدم لديهم بكل زين

وكلهم لم يدر ماذا يـفـعـل ؟ ... عند نزولنا وما ذا يعمـل ؟

لفرط ما بهم من الحب لنا ... فزال ما بنا لديهم من عنـا

واكرموا ثلاثـة الايـام ... غاية مايكون من اكرام

وعندهم رايت فـى الـمنـام ... بشرى رايت ملك الاسلام

سلطاننا سيدنا المولى العلـى ... ابا على نجل سيدى علـى

فى غاية الفرح فى منزلـه ... مرحبا بنا بوسط اهله

فقال مذ خرجتم فرحـت ... وكل ما اشتهيتم ابحت

وقام فى خدمتنا بنفسـه ... مفضلا بقلبه وحسـه

فـاولت بملك الـملـوك ... لحبه سلوك ذا السلـوك

ومن هنا رجع عنى الشبيقيـق ... الصنو ابراهيـم افضل رفيق

وهو باهل الله ذو اعتناء ... ولطريق القوم ذو اقتـفاء

ومعه بعض من الاخوان ... فرجع الكل الى البلـدان

فرجعوا بمركب البغال ... كانت لنا حاملة الاثـقـال

ثم الى السويرة الـكـراء ... حمارة وناقـة حمـراء

ثم ثلاثا صد وادى سوس ... تبا له من معبر ذى بوس

اياك ان يسل فلا تعبر بـه ... كيلا تكون راسبا فى قلبـه

ولم يكن يهلك فى الوديـان ... الا المجربون بالـطغيان

ثلاثة ما منهم امان ... البحر والسلطان والزمان

ومعنا في قطعه اصحاب ... لولا هم تقطعت اسباب

انا على البغلة وهي تقطف ... وكل من معي اليها يعطف

والصنو عبد الله كان راكبا ... فرس بعضهم فكان ناكبا

لانه وبضعة من فقرا ... قد زعموا ان يقصدوا ام القرى

فتعب الكل بهذا القطع ... وبعضهم اشفى به للنزع

وفعل واد ليس فعل النحو ... ان كنت ذا عقل وحلف صحو

يعمل في معموله بسيله ... الخفض فالنصب برفع رجله

وكل ذي عقل وظن حزم ... فلا يطالب قطعه بعزم

فليقطع البر لراس الوادي ... محاذي الضفاف في البوادي

فهو يرى جميع ماكان يشا ... من فجره الى حنادس العشا

من ملبس ومفرش ومشرب ... وماكل وكل خير يجتبي

لان ما في ذلك من عمارة ... اضفت على السكان حسن الشارة

ومن ردائة الفوق سيرى ... كل الاماني لديه في القرى

الا الامان انه مكفون ... بسبعة لديهم مدفون (١)

ولا يجوز نبشه من قبر ... معروفهم هو عظيم النكر

ولم يخلف وارثا فاشتغلوا ... بنقض عهد الله فيما عملوا

هواهم اهوى بهم في المهوى ... اسرع يهلك من اليهم اهوى

والحكم للغالب لا للنادر ... بلادهم تعمر بالبنادر

اما الصلاة فمن الرجال ... قليلة فكيف بالعيال

واديهم يذهب بالابدان ... وجهلهم يذهب بالاديان

فارتكب الاخف من ضربين ... والويل اهون من الويلين

وبعد قطعنا شكرنا شكرا ... في حصن منكب وصلنا الظهرا

وكلنا زار ضريح سيدي ... ابي القنادل بشوق الزيد

ثم ذكر نزولهم ذلك في اوزير ثم في ايت امر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم خيار الصالحين ؛ ثم في تمنار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول في ذلك ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال ... حاحة وهو من ذوي الافضال

مرامنا البيع لبغلة لنا ... على ينقده ثلم شملنا

ومثلها يحبها العمال ... وعندهم قد توجد الاموال

قبل طلوع الشمس قد ظعنا ... لكن من الدخول قد منعنا

(١) ضمن هذا التعبير العامي الذي يعني بسبعة اكفان المبالغة في مواراة الميت وتغييبه عن الانظار

وشددت حجابه علينا   وسددوا رماحهم الينا
فابوا التقريب والترحيبا   وءاثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا   الى الجدار ثمت احتللنا
نقبل كل ذاك بالافراح   من ربنا الفاعل بانشراح
وكان عنده الكثير الفقها   عرفنى من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف   رجاء شيء من لدنه حيف
نحن ذوو زاد وهذا الصيف   نبيت حيث لايكن سقف
لموضع فى خارج قد ملنا   مع جميع الفقها ؛ وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا   اذ ان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل   من حيلة يجنى بها المؤمل
لكى نبيت احسن البيات   مع جميع الفقها السادات
فقيل لى سلم عليه حينما   يريد ان يدخل كيما يعلما
لانه من خارج بمعزل   عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب   والناس منه فى هوى ومرهب
وليس يجترى عليه احد   كانما يخطر منه اسد
حاجبه يقوم ليس يجلس   يلازم العبوس ليس يتبس
يرعى له بطرفه الخواطر   وكيف ان اشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة   قلبه انتشى بتلك الخمرة
فجل ءادابهم الظواهر   وفى بواطنهم المناكر
فقمت امشى فتلاقيت معه   مسلما فلم يرد ان يسمعه
فدخل الدار بغير رد   سلام من سلم ؛ بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا   تحت الجدار وبه انسنا
الى ورا العشا وقد نعسنا   تحت الجدار ما راينا الكنا
جاء الينا حاجب محجوبه   وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما   ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قم فسيدى يدعوكا   لاكان من ياسيدى يجفوكا
وذاك انه جرى فى النادى   وهم يجولون بكل واد
ان قال بعض الفقهاء ها هنا   فلان من فضله الهنا
بالعلم والصلاح والخيرات   ووعظه يطير بالمهجات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم   ونفخوا وهما بغير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل   فاشتاق ا نينال خير نائل
فقال للحاجب قم فات به   لنستفيد من سنا مطلبه
فقمت فى الحين بقصد الوعظ   له بحالى اولا واللفظ
وجدتهم فى قبة مصنوعة   بزينة وفرش مرفوعة
واذ رءانى زال عن منصته   يشير بالجلوس فى اريكته

مرحبا بقلبه وقالبـــه ... وقال كل مرحبا اذ قال به
فهو كالقلب وهم كالجسد ... هيتدرون ان اشار باليد
فقلت اذ رايته قد اقبلا ... وكان للنصح له مستقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان ... رايت نفسك بنصحنا احسن
فقال لى اهلا بنصح الله ... جاءك عن نصحك لى الهدى
فقلت للحاضر من رعيته ... ومن بناديه من اهل طاعته
هل انتم تأمرون طـــرا ... نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
فقال كلهم أ انحـن نهمل ... منه الاوامر اذا ما نقبل ؟
فقلت ان امر بالخمس لكـم ... اتتركون فى الوقوت شغلكم ؟
فابتدروا بقولهم لوامــرا ... بالعشر اديت بوقت امــرا
فقلت للقائد هل انت ترى ... من الذنوب ما عليك فى الورى
فكل من ترك فى حكومتـك ... اى صلاة فهى فى رقبتــك
فى سائر البلدان اذ حكمتــا ... عليهم جهلت او علمتــا
ضيعت دين الله فى احكامكـا ... وهى عظيم ذاك فى اسلامكـا
ان الفريضة عمود الديــن ... كما رووا عن النبى الاميــن
فقد رايت من بحول داركــا ... تركها بله بنى جواركــا
احسن كونك عـامـلا ولا ... تجعل فى الصلاة ذاك العملا ؟
بالوعظ والضرب وقتل الحد ... وذاك فى الديـن تمام الجهد
انت خليفة الامام الاكبــر ... فانت بالتنكيل فى ذاك حرى
فارسل الرسول للمؤذن ... فجاءه فى الحين فورا لم ين
فقال من لا يــرد الصلاة ... اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما ... يرده لها الى ان ينمـــا
فقلت تبنى مسجدا فى الداخل ... تجمع فيه مع كل داخـــل
فقال قد وعدت بالبنـــاء ... له بدا العام بلا مــراء
فرج المجلس والاسماع ... وفى الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر ؛ ثم الى دار القائد الحسن التكنانى ... له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره فى السياحة السويرية المتقدمة ... يقول فيه :

هنا لآخر اخينــا ... فى صحبة صحت ولن تبينـا
مرحبا غاية ما ترحيــب ... ومفضلا بنعم وطيـــب
... للكــل ... عادة اهل المجد اهل الفضل
... قائد التكنانيـــة ... فالبشر منه الخلق واللطافة
... حسنة وطبـــع ... لانت بــه اصوله والفرع
... قبل ذا بشهر رحنــا ... لديه بالاخوان حين سحنـــا

فكان ان وصيت عن بنـــاء ... مسجده في الدار باعتناء
فالآن قد وجدتـــه مكمـــلا ... فكان ان صليت فيه اولا (١)
في اليوم الاول لنا بـــرمضان ... وهو كما رووه الفضل زمـــان
فكان دائمـــا به يصـــل ... هو ومن معه وكل الاهـــل
وهكذا فلتكن العـمـال ... اولا فهم على الورى وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدي عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعدري وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السويرة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسويرة ... ونحن في الصوم وفي الهجيرة
نزولنا فيها لدى اجلـــة ... احبـــة اعـــزة اهـلـة
رباطهم احسن به مكانا ... تملاه اذكارهم الوانـــا
ينسى بحسنه لك الاوطانـا ... ان كنت ناجيت به الرحمانـا
مع الذين فيه من كرام ... يجنون ما يراد من مرام
وكان قطب جمعهم للـــه ... من فكره دوما على انتباه
خديم اهل الله حيث كانوا ... محب اهل الخير حيث بانوا
سواد عين مقلة الاحباب ... ومنه نور مهج الالبـــاب
اخلاقه علت به ذرى العـــلا ... ووليت منه المكارم ولا
الفى به عند اللقاء الفرح ... حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
يتابع الانعام والمئونـة ... مدتنا هناك والمعونــة
واهل داره عـــلى الدوام ... بـــزادنا اشتغلن مذ ايام
اعني اخا الكمال سيدي عمر ... امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
وهو الموقت على السويـــرة ... الطيب السمعة والسريـــرة

ثم اطال الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيه هناك يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة ... لدى السويرة بطيب عشرة
ولم نزل مدتنا المختارة ... منتظري سفينة التـجارة
تاتي لقصد سعة المبرة ... في الدين والدنيا بـــلا معرة
لان ما يركبها الحجاج ... تضيق حتى يكثر اللجاج
ثم اتت فسار سيد الـــى ... وكيلها مرغبا ان يقبـــلا
فقال لي وكيلها النصرانـي ... تركبها انت بلا اثـمـان
غيرك بالخمسة من ريـــال ... لطنجة وذا بـــلا مقال

---

١) كذلك بني المسجد في دار القائد المحجوب المتقدم في الحيـــن ؛ فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابـــي　　لهـــم مآرك كالاحبـــاب
فرجعت بدءا الى اربعـــــة　　مع سدس لواحد في العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله　　لله بل الهنا قد عملـــه

ثم استطرد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لايصدر الا مــن مـوحـد عرف الله ؛ وجال في ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

ولبني سوس من المغاربـــــة　　جد علوا في الدين منه غاربه
واهل (ولتيت) عليه جبـــلوا　　من ضمهم سهلهم والجبـــل
فاقوا بذلكم اهـــل سوس　　طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
فاقوا برغبة لدى التديـــــن　　والزهد في الاكثار والتزيـــن
وبحياء في النساء لايزول　　ورثه فروعهم عن الاصول
وعفة ورأفة ونيـــــة　　وهمة كهمـة الصوفيـة
وقلة مـــن الحطام الفانـــي　　وكثرة الخوف من الديـــان
فهذه الخصال قد فازت بهـــا　　(ولتيتة) فـــي كـــل ءال شعبها
ثم بهم يمتد ظل الديــــن　　في كل ما يلي من القطين
جميع من بحوزهم قد وصفوا　　بوصفهم وبهم قد شرفـــوا
يقـــر جيـــرانهم بـــذاكـــا　　اذ ادركوا من يمنهم ادراكـــا
وذاك ظاهر وقد تبينـــــا　　والصبح لايحتاج ان يبينـــا
ذاك ومن كانوا جـــوار سوس　　افضل في الاركان والاسوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كـذاك　　جيرانهم ايضا فحقق ما هنـاك
جيران اهل سوس في الحدود　　فاقوا جميع الغرب بالشهـود
فـجـل تر الاسواق والمداشرا　　فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
من كان في مخدع امه جهــل　　كل الذى بدارها لم يتصـــل
وذاك جهل منكـــر خصوصا　　ان كان عن ذى قدوة منصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى ضم　　في الدين بين غيرهم تقدمـــوا
جميع اهل الشرق امـــا فيما　　بهم يقال بيس بيس بيســـا
فبدونا اعرف بالاديـــان　　من بدوهم للحفظ للقرءان
وذاك كله شهير يـــذكر　　في كل مجلس تراه يوثر
وقد رايت ذلكم عيانـــــا　　ثم اختبرت امره الزمانا
وذاك كله بنسبة القـــرى　　في الشرق والمغرب من غيرافترا
اما المدائن فقد كلى الورى　　في المدن امتى وبعض في القرى[1]

---

[1]) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون :

ثمت ودعنا هناك الصحبـــا ... كلهم مستصحبين الربـــا
وكل من نلقاه فى السبيـــل ... يزور منا زائرى الرسول
تبركا بالنية المستصحبــــة ... والكل قد اعلى بشوق منجبه
والدين مهما خالط القلوبـــا ... فجر من شعابها السيوبـــا
وكل قلب لايلين بالوداع ... حتى يهم فى الضلوع بانصداع
فليس بالمكن بعد ان يليـــن ... بل هو كالصفحة فى الطود الرصين
حد التبرك بنا ومثل مـــا ... ذكرته من الغليل والظمـــا
ومن تشوق ومن عويـــل ... عند مرور زائرى الرسول
سيف السويرة فمـن هناكا ... غادرت ذاك الصيد والشباكـا
ثم اتى دور المحاسبات ... وقول هاك فى العطا وهات
وليس بعد لك مـن مصحوب ... الا الذى خبأت فى الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامع ... منك اذا ساهلت او منازع
فانت من يزور بالدراهـــم ... لكى ترى خير فتى مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة فى هذا السبيل خصوصا فى سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم فى الطريق وفى الحجاز متصل لم ينقطع ؛ فلابد من مد اليد بما امكن

وليس فى جميعها انيس ... الا دراهم حواهـا الكيس
لكنما الانفاق بالاجمـــال ... للسفر من محاسن الاحوال
لانه يجعلهم فى الراحـة ... وهكذا الراحة بنت الراحــة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعـــة ... سفينة طويلة موسعـــة
فقلت باسم ربنا مجراهـــا ... فى بحرها وباسمه مرساهـــا

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حـولها ... ولوحهــا وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية ... وحـركـات سيرهـا الخفيــة
وجدتها اكبـر ما بظنـى ... حيث استبنـت سرها بعينـى
ان يبد مـن اوصافها لسانـى ... فليست الاخـبـار كالعيان
فذرعها كانه فـى الطـول ... ذرع الثلاثين على المنقول
وعـرضها حـقـا بخمس عشرة ... مـن اذرع ان لـم نقلها كثرة

فيها ثلاث طبقات تسع | الفين او الزيد بل لا الشبع
سارت بنا في وسط النهار | بلا اهتزاز السفن الجواري
وغير دوخة ولا فتور | كأنما تجلس في السرير
وجدت فيها صحة في البدن | اكثر ما اكون بين المدن
لانني وافقني هواؤها | وجوها واكلها وماؤها
فصرت آكل جميع ما اشا | بشهوة قد وافقت ما في الحشا
وكان هذا الوقت وقت الصيف | والسير في اليم كمسير الطيف
ونجمع الصلاة في الجماعة | مع القيام ان تحل الساعة
مع الوضوء دائما وكل ذا | من فضل ربنا الذي نفى الاذى
لان همي كله في السفر | حفظ الديانات لنيل الظفر
فجاء ذا والحمد لله كما | احب كل سفر متمما

ثم ذكر مرورهم باسفي ؛ ثم حمد السفر في البحر واثنى على السفن التي تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم مايريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال :

ثم بدا الرباط في جنب سلا | كدوتين في جبين يجتلى
بينهما نهر كما التنين | يسع ما يلج من سفين
وكثرة الزوارق العوامة | على اشتغال اهلها علامة
فبعضها يفرغ ما في السفن | وبعضها نزه من في المدن
لكنها ان ولجت في البحر | تعلو وتسفل كمن في السكر
وذاك من شدة ما تمراه | من موجها ان جاشت المياه

ثم ذكر ان الرباط مبتدأ مايطلق عليه الغرب كماانه حد مايطلق عليه الحوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هنالك فوصفهم وصفاتهم واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصبابة الى زيارة المشاعر الدينية وقبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال والاهل وتنسى كل شيء دونها

ايلج المتيم الاخطارا | ثم يخوض في العدا الشفارا
ويعرض الحوباء للمهالك | كيما يواصل الالى هنالك
ويتمتع بلمحة ولد | جالس من حبه في القلب الغد
ثمت يكسل الذي قد زعما | ان كان من حب النبي في ظما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل مايكون ؛ فالبواخر المريحة السريعة الامنة تدرك بها الاغراض؛ واين هذا مما كانمن قديم حين تجاب الفيافي المخوفة ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا ؛ وماذاك الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف برالاندلس ـ اسبانيا ـ وارسل زفرة على فقدان فردوسه العجيب ؛ فذكر القرن الذى سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر أيضا ؛ فاثنى على الذين نافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ؛ ثم ذكر بنى السين الفرنسيين الذين امتدوا اواسط القرن الماضى الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وبتنظيم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال : مادهينا الا من استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذى يلم بان كل امة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذناب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب والمغرب الاقصى في هذه الجهات ؛ ثم قال :

رجع بنا الى الذى تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقى هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هنالك ؛ ثم ذكر سبتة وذرف عليها دمعة ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذى نزلوا به من الباخرة على الزورق ؛ ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى في جبل طارق :

لما نزلنا ودخلنا في الزقاق	دير بنا حتى غدونا في نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا	وطرف كل شاخص الينا
كاننا قردة في الملعب	ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان في الاصيل	قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت في المنزل كيف يوجد	ومن نؤمه ؛ ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى	كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس في الجبل غير الكفر	سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون	من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص	والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل	اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين	فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول	من لم يحز منها فماله دخول
لمت جزنا الباب والاوراق	نعد حتى دخل الرفاق

فظلت اسأل عن القصر الذى ... يأخذ امر الناس خير مأخذ

فهو يسمى عنده كل بسعيد ... خليفة السلطان مولانا السعيد

قد كان وفقا للذى كان هنالك ... قبل فاعتق فزحزح الشبال

فخلف السيد فى المقام ... فكان من الفاضل الاسلام

جئنا اليه غربا معلمين ... بما اردناه من النزل الامين

فقام مسرعا يفتش كما ... يفعله لسيد من خدما

وذاك ما يدل ان كان له ... مع ربه اخلاص ما عمله

كنا «يح» (١) اصاحبا اخوانا ... ونبتغى جميعنا مكانا

ولم نرد تفرقا فوجدنا ... نزل ب «يه» (٢) من ريال عددا

خمس ليال قد عزمنا المكثا ... هناك فى جبلهم واللبثا

ويجب الربع لكل ليلة ... وذا غلاء ما سمعنا مثله

ثم هناك ما يكون اغلى ... من ذا الذى كنا ذكرنا قبلا

وقيل ليس موضع فيه الغلا ... نظير من قد سكنوا ذا الجبلا

وذاك كله من اجل الثروة ... وما لهم من جاههم والقوة

ديارهم جميعها قصور ... كجنة لو كان فيها الحور

كذلك الاسواق جمعا بنيت ... مثل عروس يوم عرس جليت

فيدهش المبصر مما ابصرا ... مما يغر كل من قد غررا

تقول زهرة الدنا باسرها ... واتتهم بسرها وجهرها

ازقة قد فرشت بالعود ... والكنس من طبعهم المعهود

كانما فرشت احسن القصور ... للوافدين يوم انس وحبور

اما نظافة الظواهر فلا ... تسل فشانها لديهم قد علا

لو رزقوا نظافة البواطن ... بالدين كانوا خير كل ساكن

لكنما الدنيا لهم جنات ... لهم بها النعم والمنيات

ولاغترارهم بها اجتبوها ... ثم حبوا فى الحزم ما حبوها

فاقبلت عليهم اقبالا ... ولم يروا من وصلها مطالا

لكن من دخل هاتيك القصور ... وكان من فراشها له السرور

فليس يرتاح الى العشاء ... لما يصمه من الضوضاء

فعربات الخيل والبغال ... ترتج فى الانهر والليالى

ولست تسمع كلام صاحبك ... من كثرة الهز الذى بجانبك

وكل بنت من بنات الكفر ... تركب فوق عربات تجرى

وكل من يريد الانتقالا ... ينقله ذو العربات حالا

كذاك من يريد نقل الامتعة ... فانها تنقله وما معه

وكل زبل بالمدينة وما ... بيده يرى بها نقلهما

---

١) ١٨ ٢) ١٥

فهكذا كفوا مئونة العمل   مذ قربت اليهم كل الامل
لذا تراهم والرؤوس في السما   كان كلا منهم ابن ما السما
حقا لهم مقامة فخيم   لو كانت الدنيا لهم تدوم
لكنهم وما اشد جهلهم   قد اهلكوا انفسهم واهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق   والرشد والخلق معا والصدق
لكنها الاديان بالهداية   من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمكن له المرور بتونس فتتبع ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها مدينة جارية على البحر :

فجملة القول لمن سيدرى   ان هذه مدينة في البحر
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو   فيعلم العلام ان ليس الغلو
فكل ماتسمعه عن السفن   فلاتكذب ما وعت منه الاذن
فليس راء مثل من قد سمعا   ولا الذى يجهل مثل من وعى

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع انني راقبت انا بنفسي الهلال ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن   من قلة اعتنائهم بالسنن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد   روقب صحوا يوم سبت واحد
وما جرى للتونسيين سوى   ان تبعوا الحساب دوما باستوا
صاموا بيوم جمعة في الابتدا   فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنما القارىء يراها ؛ وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجاجة بربعين ترخص   وليس في اسواقهم مرتخص
وعندهم صنف من المعزيباع   بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟   فانها اشرية لاتستطاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابناء اليوم اواخر ١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه ؛ بل في قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والمعز بخمس خمس وعشرين ريالة فى أسبوعة بلد النعاج التى بلغت خمسين فى بعض النواحى فمثل رجبا لن عجبا

ثم وصف بياتهم فيها فقال :

بتنا بها باقبح البيات ... فى قبر عود كلوى الممات
لاننا لم نرد الفلاء ... فهل نمد (ربعا) كراء ؟
وذلك القبر على ضيق به ... امتد كلنا به لجنبيه
وذاك كل ما يحب المعيى ... ان الفضول خلق اهل الغى
وانني فى البدو قد الفت ... صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول فى وصف ضبط المالطيين :

فلهم الحزم على الدوام ... فى كل ما يفعل للتمام
قد نظموا الامور بالتوقيت ... فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن ... بقدر فعله وما ان يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر ... او مات جيفة كجيفة الحمر
مع عسكر مشمر مصفف ... ملفف مزوق مخفف
كانه فى لبسه الدبى (٢) وقد ... يظهر كثرا وهو قل فى العدد
يقف او يمشى على المزامر ... فصوتها الناهى لهم والآمر
ولهم خان فخيم فاخر ... حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتهم تقاد بالخيول ... وانها فى جريها مثل السيول
فتلك مالطة وذى اخبارها ... قد استنارت فى الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال :

ثمت لم نبت بها اكثر من ... ليل طويل ضيق الجحر خشن
كانه موج علينا سدله ... ارخى ليمطر علينا ويله
وفى النهار سار فلك فهقرى ... بنا الى تونس انس من يرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول فى الراكبين وفى اهل المركب :

ترى الجميع فى الصباح قائمين ... بالغسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فرض الصبح ... اداؤه سبب كل نجح
وتلك عادة لهم مستحسنة ... حسنة بالطبع اى حسنة

---

١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره
٢) الدبى بضم الدال : ولد الجراد

كـنـا مـع اليهـود والنصارى | مـجـتـمـعـيـن لـم لافرارا
كل له دين وعادة فلا | عاذل كيف كنت يبدى العذلا
لـكـن خـيـر عـادة للمسلم | فى ملبس ومشرب ومطعـم
اقـبـح بـعـادة النصارى ايا | كانوا عل الاطلاق ليس شيـا
ليس لهم فـى منظر ومسمـع | حـال شريفـة وحسن مطلـع
صورتهم فـى حـالـة اللباس | اقبح مـايكـون عنـد الناس
وحال اكلهم كـاكـل البـقرة | فى كثرة وسرعـة مختـصرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيـا | بينهم فـذاك مـمـا ارتـضيـا
فـعزلـة وخلـطـة سواء | فالقصد ان يمتل الـمـعاء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم مابين يديه وصفا عجيبا تعجب نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفي الوقور قال :

ولقد رايت واحدا فى المركـب | يلتهم الخص التهام الـلـهب
والحفل كلهم اليـه شاخصون | وهم بلحظهم لـديـه غائصون
وفى يديه الخص والخبز معا | يقرض منهما بموسى قطعـا
وورق الخص غليظ وطويـل | مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلطمه والـخـبز قطـعة كـما | يلقم فاه فنفذا ملـمـما
فقلت ان المضغ واف بالمراد | يحصل منه قبل زرد ما يـراد
اذا بـه يـبـلـعـه بـاسره | فى لحظة ثم انثنى لغيره
وهكذا كـانما جـن الـرجـل | او خاف ان تنسد للطعم السبل
وهـو بـنـفخ كاحـتدام الضرم | ان فتح الشدق لاخـذ اللـقـم
هـذا ومـقلتـه ترمى بشرر | متى اجيلت فى وجوه من حضر
كنـت امـامـه فصرت اعجـب | من صنعه والوجه منه اعجـب
فقمت فى الحين فامسكت القلم | بعد صلاة وقراءة «الـــم»
اثبت للسامع هـذى الطرفـة | يسمعها اذ لـم يمتع طـرفـه
فـربمـا حرمت الابصار | وتـمتـع المسامـع الاخـبـار

ثم كتب فى اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

وربما تجد مـن جابهـهم | من مسلم بالزى قد شابههم(١)
ومـن تـشبه بـغـيره نسـب | له وفى الصحيح حقا قد كتـب
«ان الطباع تسرق الـطـباعا» | وذا مشاهـد فـلا نـزاعا
ما الكلب ما القرد وان كل قبح | اقبح من طبع جهول ما صلـح

---

١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهياة المحدثة اقول ياليت جدهم براهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلالات تونس من رحالتنا مالاقيه دائما من الرحالين كالعبدري وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيامذهبا من الذكر الجميل قال :

عند الضحى بعد المبيات ليلا ... فى البحر بانت تونس كليل
تلالات فى البر مثل الدرة ... فى نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب ... وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح ... والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاضل ... سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال ... اوصافها التى لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم ... والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة فى ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون فى فصل طويل ؛ وذكر سواريه وان فى بعضها مايظهر كانه حروف لكلمات محمد وابى بكر وعمر وعلى ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابيحه الكثيرة ؛ فقد كان يتتبعها حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء وان من رءاهم فيها بلغوا الذروة فى الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجناب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس:

وربما يراجع المشكوكا ... اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يساله يجيب ... بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى ... بالفهم فى الدروس كالزهر الندى
هذا ولاترى سوى تواضع ... من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على ... ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع فى ضمنه تسامح ... تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت فى صبيحة مدرسا ... برخصة قدمها من انسا
فى جامع الزيتون يوم الثين ... فكان لى اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما ... وان انال خير من تعلما
والفضل بالاجماع عند العقلاء ... لاهل علم الدين لا للجهلا
فكان يدرس ابا الضياء ... درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون ... قدوتهم فى الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق ... حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم ... فكان فى تقريره فردا علم
اجدر به لذاك ان يكونا ... قطبا لمن سواه مكينا
فكل وصف كان يوصف به ... فقد غدا ارفع من منصبه

وكل ما يمكن ان يزيره ... ذو قلم ان كنت معه ليره
وبعد ما اتم درسه وقام ... جميع من معه دلفت للسلام
فبعد ان تمت توابع السلام ... جالت بنا في الدرس افراس الكلام
فقلت قد كان بصورة كذا ... تقريرها عكسا كما قد اخذا
فجلت معه وانا لا احتذى ... الا الذى اخذت خير ماخذ
فاذ راى الفجر بدا في السدف ... قابلني بطبع كل منصف
فمال لى مستجمع الاطراف ... اذ ادرك الصورة بالانصاف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه ... ينظر ان يعينه لسنه
وهو كبير السن قد يعتمد ... وخير عمدة لشيخ ولد
ووسمه محمد النفرى ... من اسرة حسبها سنى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

بى رحب الشيخ السنى ترحيبا ... وفتح التساؤل الرحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطى ... وعن تعلقى وعن مرتبطى
وانني ممن نحا الحجازا ... كيما ارى بالحج ممن فازا
فقام مع ولده المذكور ... يصحبه ببره المشكور
فقال لى ولده مكانكا ... فسترى الرجوع منى انكا
ومد لى كتابه كى يونسا ... وهل ترى مثل الكتاب مونسا؟
فحين اوصل اباه رجعا ... ثم ذهبنا نحو دارهم معا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا ... ارى من النعيم صنفا صنفا
تطوعا منهم واكرام غريب ... هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

ثم ذكر الجامع الزيتوني ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من خزانات الكتب في نواحيه ثمانيا وعشرين ؛ تستعار منها الكتب ؛ زيادة على دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة في كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض في وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتوني ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون أبي الحسن الشاذلي درس فيه بمحل معهود ؛ ثم استطرد شيئا مما يتعلق بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلي مقاما سنيا في تونس ؛ وان له في تلك المدينة مقاما منسوبا له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا المقام فحادث هناك المقيم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلي ؛ فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ ؛

ودندن ماشاء الله حول هذا الموضوع ! ثم ذكر انه لقى هنالك اناسا اثنى عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثنى عليه كثيرا ! قال :

كذا لقيت جبل المعارف — ومركز العلوم واللطائف
شارب كاس الخمرة اللدنية — فى حضرة شريفة صمدية
من عام فى مقام جمع الجمع — وقام بالوتر حيال الشفع
له من الفهوم والرقائق — رسوخ من كرع فى الحقائق
ولو رايت صفوه لشربه — من بحر وادى عشقه وحبه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر — فازت به تونس خير مصر
السيد المبجل الشيخ السعيد — ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا — وفى المعانى والمذاق اصغرا
ولاخيه ولد على — على منارة العلا على
لله دره لدى الافهام — يعجب بالحدس او الالهام
يجلو بفكره صدى الاوهام — فهو به فى الكر والاقدام
ولم يزل فى حالة ازدياد — للرتب العليا وفى ارتياد
لكونه ملازم القراءة — مرتديا متشح الجراءة
متسما بسمة الصلاح — منتجع الفلاح والنجاح
همته نحو الذرى تعالت — وكل همة لهم نالت
فكان اخذا للاسم الاعظم — عنى مع الاب له المكرم
بوصفه المعلوم والمشهور — ينتج فى الحين بلا شهور
سببه ذا ان اباه قد راى — رؤيا فقصها على لبيبا
قال رايتنى الفن لديك — ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا — فى عالم الارواح فالقلب وعى
فقال لابد من الاشباح — تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فيحصل السر على الكمال — فى الحسن والمعنى على التوالى
فقلت معهم على المدام — وفى المعانى خمرة الكرام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر — فى روضة العشق براح الفكر
قد اصبحت اثمارها للجانى — وزهرها لقاطفيها دانى
والكون كله لنا اشجار — قد غردت من فوقها الاطيار
والدهر كله لنا اسحار — والحب قد حلت له الاوزار
ونحن بين الحور والولدان — فى جنة الاذواق والمعانى
فلا تسل عما جنت اكفنا — من اهل محبب ومن ملى
فتونس عادتها ان تونسا — كل غريب عند اهلها رسا
مراحم الرحمان لم يبا — فكل من يصلهم سيحيى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ؛ ثم اتبع ذلك عبرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت الحماية بيد امرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجالا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس ءاخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما ما كلن من تاوهات وزفرات على ما كان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاقبها ؛ ثم قال :

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت فى الخميس
كريت بـ «العاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم مسيرنا تجوب موج اليم

ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها :

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف يمشون فى مرصوصة الصفوف

ثم مر فى وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ماحسن المحراب فى المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ماشاهد فى المدينة:

صرت اجول فى الازقة وفى وسط المساجد التى للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل

فمر فى وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لدى التلاقى
قد كان فى زاوية الربانى المدنى العالم الصمدانى

فمر فى ذكر الشيخ المدنى ناشر الدرقاوية فى المشرق من اصحاب الشيخ مولاى العربى ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرد ذكر ولده الذى لايزال

---

١) ١٥ ٢) ٨

الى صافى الاستانة ثم فى عشى اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
لقوها فى ثور البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

ولم نقطع عباب البحر ... حتى راينا كيف وقع الدهر
والقسر والهول على الركاب ... تسلطا بالسقم والاوصاب
سواى مع ناس قليلين حمس ... ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسى بهم المركب فى مرسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك البلاد مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر وشعبها ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مضرب مشى برفق ... بنا بقنديل ببذاك الشق
لكون ذا المضيق مثل الوادى ... مسيج الاطراف بالاوتاد
لدفع الرمل فلم يزالوا ... توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى فى البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم نزلوا بجدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حوا، ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل بهم مايفعل ثم ذكر نزولهم بجدة موضع الحديبية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان ثم ذكر اغتسالهم بذى طوى ؛ فدخولهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد افاض فى هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

واترح مايكون الشوق يوما ... اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية فى زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون مثل ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفى اثناء الاجتماع قال له احد الحاضرين : انى ارى ماارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح عليه ان ياخذ عنه وان يتخذه شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة اخرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله من الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رافقوه فاقول :

ثم لما وقف الناس فى عرفة وقفتهم حصل شك فى صحتها ؛ فاعادها المترجم مع ثلة ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة وآخرون بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى الحج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدى القبر الشريف فى المسجد

---

١) عثرنا على الرحلة تامة بالآلة الكاتبة عند حفيدى ابنى الشيخ سيدى محمد وسيدى عبد الله فالجميع فى مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى انذلك خير مايدعى بهفى ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف منجهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم فى دارالقائد عدى بنكنافة فقال لهمانا لم ننس اى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانيــة ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كـمـا كـنـا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلـد سالما ـ فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محـور حياته

انحياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان فى البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليـم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالـــم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئـــلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم مـــن الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمـــل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غيران يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زاويته الالغية انينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامتومن لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء ـ كمايقولون ـ

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عادته التي اقتبسها من عادة شيخه سيدي سعيد بن همو المعدري ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذي عليه لكل الناس يحفزه الى عدم التريث في مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح في طائفة المريدين المتجردين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او أزيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله الله لااله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيمكثون سويعة يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ليستم يتوجه الشيخ الى التحديث الذي يراعي فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلوا العشاء وتناولوا ماأتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعلي صوته بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا مايمضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راى النساء اللائي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرنهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسأل كل واحد عن التوحيد • وعما يصلي به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يخرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى مايقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم مايقرؤه ، فكل امي دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

---

١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدي محمد بن يعقوب ان تقول : ياعظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا ؛ وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاولة اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدروس ؛ وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجا ؛ كما انه لابد ان يقضى ماعليه من الصلاة ؛ امر لازم ولابد ان يؤدى التبعات جهده ثم يقيلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لايترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ماعرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر من ينتسبون اليه كمريدين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحى سوس ابثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان اخرون يدورون مثله فى القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائما الشمم والزهد التام ازاءه؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين .

عمله في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولايهلل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذ ذاك يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية يتنفل ويذكر مايذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرا الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولايمكن ان يفارقه الافى الضحى ثم يصلى الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والاانعزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضا اصحابه صلى بهم ويقرا الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرءان او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولايشتغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الغ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول انني ما استفدت الا فى المجالس التى كان خال الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملاها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا وهو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى ورده القرءانى ؛ وهو على مااشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولاسفرا ؛ لم يمض الساعة لسحر يوميا في السحر لم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله في زاويته غالبا .

نبذة من اخلاقه

وقع الاجماع على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان تدرج بين اقرانه في عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستتابتهم وزجهم في العبودية الخالصة ولقد ذاعت اخباره بذلك في الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه اخر رجال الجد في الطريقة ؛ فقد بلغهم ما فيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لايمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانما خلقوا لهمته العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لايضجرون ولايكلون ولايسامون ومن رءاهم بين يديه راى شبابا فولاذيا مخلصا نسي نفسه واهله وكونه في الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمته كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم في الانابة الى الله الى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها في شهور كثيرة في السنة ؛ وكثيرا ماتكون لهم سياحتان في الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به في الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد التنانى وسيدى الحسين بن مبارك المجاطى وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ في الهمة واستثارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ يتركها هياما بالله وجؤارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ومن قائل ما قال الثعلب؛

رام عنقودا فلما ... ان راى العنقود طاله

قال هذا حامض لما ... راى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما في السويرة من عند الباشا عياد المتابهى فاتبعه بخنشة بالى مغزلية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسها في متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا في حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى في الشباهة حين لاينخدع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله : اننا نريد اصحاب الهدايا لنهديهم الى الله ؛ لاهداياهم والشيخ الذى ينفق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التي يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما في الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة في تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة في احدى سياحاته في جبل درن (١) ومتى صلى في زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى في مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه في دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه في الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتي بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا يأتي بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولي بحاحة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفي داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل في دار القائد الحسن النكنافي وقد مر هذان الخبران في طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله في جميع النواحي التيىطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربي اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب في ملازمة الصف ؛ وفي المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اي هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية في الرجال الذين يلتقي بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لمار مثل الشيخ فانه قال لىلماذهبنا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فىلذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ في زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل في القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التي تجعل الحريرة في وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له في بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات في الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

---

١) ومثل هذا التشديد في حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما في كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اونوما اضطجع في اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان ءاية الايات في فطام نفسه عـــن الشهوات التي تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه مـــن الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالة واحدة دائما لانــه قــد يواكل مجالسيه كانــه أحــدهم ايناسا لهم كما هي السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما ءاخذ به نفسه ءاخذ به كذلك اصحابه المتجردين فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم في بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحمــل القصاع وهي لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتي من لايتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ في نفسه وديدنه مــع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مايريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتاثرون بذلك وكثيرا ما يقول لهم الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعني حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى في مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبني ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدي الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه في مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضي فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سياتي بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون ماانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضي اعمارنا ونفائس اوقاتنا في جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء أن يحرثوا ماسيحرث في مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن في ارشاد العباد لافي شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالي الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتني به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائي المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كما انه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة في الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدي الحاج مسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين التيمولائى الافرانى وسيدى بريك بـن عمر المجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبدالله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلكى وسيدى عبد الله الركراكى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات مايرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ماهم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهم ان ماهم فيه هو عين مايطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبدالله بن محمد يقول : اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له؛ كثيرا مايهمون ان يطلقوا ماهم فيه فيلمرهم أن يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال .

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من الوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ماكتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية : «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كماقال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبولية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ماهم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولايرفعونهم من ذلك المقام؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة اوكما قال ؛ الى اخر ما فى كلامه .

هذه قبضة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفي من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولاريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها؛ لاامت فيها ولاعوج؛ ولايجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لايعرف منهاالا اذكار انفراد يذكرها من تلقنها ، ثم لااغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ماعرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقراء أميين ءابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلااستثناء ناصرية ؛ يأتي اولاد الشيخ الناصري فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واحتفال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب الغلف ، حتى الف الناس هذه الطريقة ونشا فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فتلقنوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكني نزيل تزنيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزيل العوينة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدراركي نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من ءال حساين الطاطائسي المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافراني نزيل تزنيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمراني المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطي وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدات الطريقة التيجانية بسوس ولكنها في مبتدأ أمرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعتزون بها ولايعرضونها عرضا ، كماكان الدرقاويون يفعلون

وفي الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشي يد في نشر الاولى ؛ كان لشيخ اخر مراكشي يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاى العربي ، ورد عليه من سوس اولا الحاج مبارك الهوارى الكلوشي ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقي هو الحاج محمد البلفاعي ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدى سعيد بن همو المعدرى الثاني منهما الى ان كان السوسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا اثنان سيدى الحاج مبارك العالم الجليل الذي له مؤلفات رأينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعاريرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى الامي طفحت ساحته بكثيرين ؛ فيهم علماء خناذيذ كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانرتي والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ وكالعلامة الاديب سيدى الحبيب البو سليمانى الجرارى ؛ وجنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التاموديزتي والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يعلون نحو اربعين عالما كلهم تتلمذوا لهذا الشيخ الامي وبالشيخ الامي سيدى سعيد بن همو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التي لم تولف في الناصرية ؛ كملازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة فى الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيللة على نغمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار فى الطرقات وفى الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ؛ وما كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره فى كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوعها ؛ فكان الشيخ يسيح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله فى ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر بمصر ؛ ان ياتى من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التى تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك فى الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه الفتاوى التى اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي لما حج علم ١٢٩٣هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولاننس ماكان قاله سيدى على الجمل لمولاى العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لااله الا الله والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : «ان هذه الاذكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واماذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن ءال ابى المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر فى الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما فى القلوب لاما فى القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لاتقدم ولاتؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبى فى الفرس :

وما الخيل الا كالصديق قليلة ... وان كثرت فى عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لأميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله فى تلك الاحوال التى ينكرها الفقهاء السوسيون ؛ اجلس فى جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد التمكدشتي انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التمل الايرازانى وبتاثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاى المهدى الدرقاوى بمراكش من اصحاب سيدى محمد العربى المضغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين فى ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال «اخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراها الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالغي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتي قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وخضود الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق في كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طرق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذى يكتسي لوناخاصا مع كل هذه الفرق التي يتكون منها الشعب ؛ فتح لهميادين متعددة في نفع العباد فمتى جلس الى مطلق العامة فانه لايحدثهم الا في التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك في مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون «اخر يستمده من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمي ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهلهواجلال مقامهم مادام في حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظهم وعظا يكسرشرة ماهم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتأن وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ماهمفيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم في كل مايرقيهم في مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم في ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع لهصيت يدوىفي كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرد في عصره بما لم يتيسر لغيره فنشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية وازاء الذين يكبرون شانه من غير اتباعه الاحصاء ؛ مالابد ان ينشأ من اقوال تصدر حينا من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبيعي ما دام البشر لايخلو من انيتفس بعضه على بعض، ومن حسدة يتقولون ويصطادون مايدعمون به كل مايقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين في غلوائهم ؛ ولاسيما ان تلقفوا الأذكار يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم انيزنوا بموازينهم كل مايعن لهم فتراهم يقولون مايقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون «عسى ان يجده المطالع في كتب تاريخيةمعاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالغي الذى كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولاعرف منه انه دافع قط ولااجاب

ولاالظر ولااستشار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياتـه ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم :

لنا عند ربع العامرية مقصد — اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شانه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامـة سيدى محمد بن العربى الادوزى يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالابد ان يكون من شفوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقته ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهماء الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فانهذه‌المواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم‌به هو الباقى الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض)

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسين‌الافرانى رحمه الله‌فى الشيخ الالغى شيء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فثار فى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا : «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا ءاخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمى وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام ءاخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى : «ماكنت ارى من سيدى على بـن احمد الا انه سيكون ذا شان فها هو ذا ابتدأ فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك‌سنة ١٣٠٦ هـ والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقدكان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كان‌وهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبـى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوالى عام ١٣٠٦ هـ فقيل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك اثر مازاره الشيخ فى تزنيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فى‌بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده الفقى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرنى هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن يحيى التملى المتوكى : «اشهدوا يامن حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم ياخلفاءه وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه مادى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبدالملك فى بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم الشيخ بمواعظه المؤثرة حتى تاثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاى العربى الدرقاوى بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ ﻫ فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التى كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو آخر الشيوخ الكمل فى هذا الشان قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعينى مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم فى وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنى غيرهم اوراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ ﻫ

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه آخر اصحاب الجد فى هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح : «ماوضعت يدى فى يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيدشتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ماتعول عليه وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطفرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالغى عام ١٣٠٨ ﻫ : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لايتصف بها الا العارفون

الافذاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك
الجهة»

وقال الشيخ سيدى "محمد النظيفى : «هكذا يكون الفحول لايخافون من
احد ؛ فانى اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تغيض عيني ببحلرهم
واما العفريت سيدى الحاج على فانه لايهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقانى فهربت
منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله فى هذا العصر؟»

تلك اثارة مما امكن لى جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه
واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب انى كلما
جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه ماراه من الشيخ اسمع منه عجائب
وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لايلتفت الى غيره الا
بمقدار المامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق
وروحانيات ؛ وهذا شىء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرأ
هذا بعد الغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه فى
اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لايصل الى حد الغلو الا فى قليلين جدا
ولاجلالهم لمقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعاوى قل فيهم البارزون بعده الى
المشيخة حتى ان من برز منهم لايرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شىء رايته وخبرته
وكنت به من المومنين وما راء كمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلمي ان الله
يرانى ويكتب عنى ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدى
على بن الحبيب التيجانى الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر
كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدى محمد
ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم
بما بين الطرق فى ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية
هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب
اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك نرى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا
ظاهرا فى جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربى
الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشهاد بان
الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راى غالب من اخذوا عنه
خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية لم سقط فى يده يوم يرى نفسه
مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته ـ وانا ابن بنت سيدى
محمد بن العربى اكتب هذا ـ ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك
القصيدة التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل ءاخر

وهاك ماقاله الاديب علي بن الحبيب السكراتي :

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لايحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان في اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسي في حال ويصبح في حال ءاخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات وياخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذ وقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتي مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي يتحادثان في ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيبه وقالا له : «ياشيخ هذا الذي انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتي سبق المترجم الى هذه الطريقة ولابد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدي محمد بن العربي الادوزي) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتقرع له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلى الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعدري وسيدي سعيد التناني ؛ فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لي يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدي قال لي اعندك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لي هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجلماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدي موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره في زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمت على الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا ببحيرة قرب داري ؛ فقال لي اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لي : «لاترحل من بلدك وقال لي كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قال رحمه الله فطابت نفسي من يومئذ بالسكنى في بلدي فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنيا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لايستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره فى الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق : درعة وحوز مراكش وحاحة واداوتانان ؛ حدثنى بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لايكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاى عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقيه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم فى الفاضل قول الحسدة ؛ وهوفى الحقيقة كمال للمحسود :

واذا اتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

فقد كتب له العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى بعد مصاهرته لهفى شانها قوله :

بعثت اليك بعض كلى فان راعيته كنت كلى راعيا ياأخى حكما الخ

(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذى مطلعه : (جزاك اله العرش خير جزائه) (ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يفبعهد الشيخ قال فيه ثانيا : (لاتصاهر فى سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التى قالها ابنالعربى لماودع بنته ومطلعها : (فراق بنتى صعب الخ)

(ثمقال) : اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدى محمد بن العربى الادوزى واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدى سعيد المعدرى وبيتهمبيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدى عبد الله بن صالح – بل هو عبد الله بنسعيد فىغاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المولف حكاية استطرادية ثمانشد بعدها:

وما مات من ابقى ثناء مخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله؛ حكى ابن الجوزى فى بعض مجالسه قال : «والله ماجتمع لاحد امله الاوسعى فى تفريقه اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلطفى طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الىولده الكبير سيدى محمد بالخلافة بعده واوصاه؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهى شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله اكبرهم سنا سيدى محمد وباقى الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشاوا فى حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ابيهم منالتيقظ والتشمير عن ساق الجد فى الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالى فى الذين يخالفون «اباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم»

انتهى ماكتبه المؤرخ الذى حاول ان يخالف القول الاتى للمؤرخالاكرارى فى بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقى الابيات المتقدمة توجد فى ترجمة الوالدة (رقية) فى القسم الثانى ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المريبن ومحراب المتجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قامع الشهوات والمجلي عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابـو الحسن سيدي الحاج علي الدرقاوي طريقة العبلاوي نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنشا ـ يعني السعيد الحصيني ـ قرا العلم على العلامة الادوزي واخذ الطريقة على الفقير سيدي سعيد المعدري وعلى منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره في الجد والاجتهاد وجال بطوائفه في البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويقطع بعضهم بالدرة ؛ يسوس كلا بالائق به ويكون لداء قلبه متنبه ـ كذا ـ فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده مستمعوه ؛ اخذ في نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلات افواضه بالاناس واطمانت محافله بالايناس ؛ قلب لهم ظهر المجن ومد شبابك الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرا (القها ياموسى فالقاها فاذا هي حـيـة تسعى قال خذها ولاتخف) فاتته الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح وساد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزي ؛ فحباه ولم يقل مكنـوزي وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر الابيات التي اولها : «بعثت اليك بعض كل الخ» فاجابه الصهر سيدي الحاج علي فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الاانه ليس التكحل كالكحال ـ هكذا الكلمة بخطه قائلا ان الالف للسجع ـ (ثم ذكر الابيات التي اولها :«جزاك اله الخلق خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ماانتقده في الابيات) ثم قال : «هذاشعر الفقراء فليته قال في الجواب ؛ لياتي بالصواب ويترك لفظه الظهر الذي فيه ارتياب (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها : فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ ـ يعني ابن العربي ـ متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا ـ (ثم ذكر ابياتا اولها: فراق بنتي صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهر وعصى للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة وزاد في القحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر ابياتا فيها النهي عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها : لاتصاهر بسوس درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا مـــن الله المنان ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ويقيل عثرات اللسان ؛ وما زبره في ذلك البنان وحواه الجنان ؛ ويرزقنا معهم المجاورة في الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه في كل حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال وهام وعزر والام وخاصم في الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه الحمام فادى الامانة ورضي باختتام وذلك في ١٠٠٤ ـ طلـوع الشمس يـــوم

السبت عام ١٣٢٨هـ فقال سيدى الحاج ابراهيم ابريغى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى عنه «امين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فـــى مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما راى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانـــه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجي النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ريحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى) على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من استى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى :

مالى سواك وسيلة لله ثــــ	ـــم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غــدا	نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلى نحر عاطل	ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالـة شاذلى زمانـه	فـرد الاوان وسيد الاقـران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا	فى العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المنـار واحييت	ءاثـاره بـعـهاده الـهـتـان
ذوهمة فعـالـة وعزيـمـة	صوالة كالسيف يـوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى	والعلم ليس الخبر مـثـل عيـان
اما الفراسة والكلام عـلى خـوا	طر حاضريه فـشـايـة الرحـمـان
وله من التصريف امر واضح	لمداخليه بـدا عـلى الاعـلان
هذا على ادب يحيل به الامو	ر عـلى مشيئته ربـه الـمنـان

يانجل احمد ياعلي علت بكم ... رتب سمت قدرا على كيوان
انت الهمام الشهم ياذا الهمة الـ ... ـقعساء ياغوث الكسير العاني
انت الجواد متى يعد الجود ما ... كعب وما هرم وما البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجان والـ ... ـدر النضيد فذا نفيس فان
فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـ ... ـه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمة ... صمدية من سرك الصمداني
وغسلت من ادرانها وحبوتها ... علقا نفيسا غالي الاثمان
فسقيتها من خمرة نبوية ... ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يباري البدر في مجلاه او ... يرتاب في شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا ... مداد في الاسرار والاعلان
احييت رسم الدين بعد دروسه ... وخبو نور الحق بالطغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى ... خفضوه بالدعوى مدى ازمان
وبسرك انصلحت عصائب صقعنا الـ ... ـسوسي من قاصيهم والداني
وبك المعارف والحقائق تجتلى ... صرفا على رغم الحسود الشاني
قلدت اعناق الرجال اولي النهى ... منها عقود الدر والعقيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا ... بجلالة التخصيص للاعيان
هذا الامام العارف الفاسي ابو ... زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من ... اهل الولاية واضح البرهان
بصميم ما منحوا من السر الذي ... خص الاله به ذوي العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكم ... العارف الاسنى ابي عثمان
قد قال انك في مقام الشيخ غو ... ث زمانه الجمل الرضى العمراني
هذا الى ما جاء عن اهل البصا ... ئر غيره فيما لكم من شان
يامن عليه الباب مسدود انخ ... واحطط رحالك في هنا وامان
خيم بباب الفضل والكرم الذي ... من حل فيه ثوى اعز مكان
في حضرة قدسية نبوية ... هذا على بابها الرحماني
فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الا ... عادي واشمتك انقلاب زمان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو ... د وملكته سائر الاكوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا ... ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذي ما امه ذوعسرة ... الا وباء يحفه اليسران
هذا الذي تعنو وجوه العارفيـ ... ـن لنور طلعته كما السلطان
فاذا افاد العلم فهو الشاذلي ... او فاض بالاحوال فالجيلاني
اخاذ افئدة الرجال بهمة ... من هم فيه غدا مقود عنان
يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ ... ـمحبوب مغنى الروح والريحان
شرفا وفخرا ياذا للقرب من ... شمس المعارف والهدى الرباني
بزغت به في «الغ» ما ادراك ما ... (الغ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتك الالى ... ورثوا الى المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ ... ـطيار جعفر اكرم الفتيان (١)
وبى بحرمته النفس المبتغى ... من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة ماذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة ما تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبتهنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلق بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة ؛ انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامة سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه :

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الاانه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم ؛ فكشف الثوب عن وجه المريض بيده وتفل على يده ومسح بها موضع القرحة فعل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان الشيخ رضى الله عنه خرج من عندى فانظروا اين هو وانزلوه فى محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولارءاه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا رءاه احد من الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن ... ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التى ... تعوق من تنافر الثانوية
افاضت عليه الروح ماكان مودعا ... بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا ... على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : مامن فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته (او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها من جملة كلام له مانصه : وقد اشتقنا للملاقاة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المرضع ولكن الحمد لله قد بلغنا مرتبه فى ملاقاة الارواح ، تغنى عن ملاقاة الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه • وكيف يكون ذلك عند من يجد

---

١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد مايتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مريديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام يقظة ؛ وذكر الشيء بترك سواه هو الذي يفني» انتهى الغرض منها

واخبرني بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضي الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه : ولاتهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذي وصيناك عليه (لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعاالى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرني بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضي الله عنه ممن تلقن منه ؛ لقي في بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضي الله عنه ؛ قال فجاءني الشيخ بنفسه رضي الله عنه واخذ بعضدي وقال : مالكم وللدخول فيما لايناسبكم او مايقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة في مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية: قدحضرت الشيخ رضي الله عنه يوما وقدفرق المتجردين رضي الله عنهم لجمع الناس الى موسمه على العادة ؛ وكان في الوقت خوف وفتنة ؛ فقال لهم ما حاصله : لايخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لاينبغي ان يظن توحده عن شيخه لانه معه بسره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضي الله عنه

واخبرني الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له : انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن في الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضي الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقني مرض لزمت منه الفراش ولحقتني منه شدة فظهر لي الشيخ وقد خرج الي من جدار البيت الذي انافيه وبيده المخلاة التي ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعني من ضجعتي ؛ واسندني الى الحائط وجعل بيني وبين الجدار تلك المخلاة وهي مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل في الجدار في الموضع الذي منه خرج ؛ وجاءني بحمد الله الشفاء في الحال

واخبرني بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضي الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شانه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه في بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كأنه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضى سبعة ايام وهوبحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال أخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضي اللهعنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر في جوانب البيت الذيهو فيه كأنه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل لـه الشفاء في الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة

انتهى مانقلته (مع بعضاختصار) منخط الاستاذ،سقته كتتمة لماهوفيالقصيدة النونية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه ونتنكبنحن الاكثار منه • لان ذلك ينافي بعضه سنن الكون التي لايومن الابها عندغالب اهل هذا العصر • وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق مادة تلكالسنن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

بالكر بها لمرابع الزهراء	تلق المنى بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها الفسيح الطرفواه	ـــرح ناعما بتواصل السراء
الغالني كلفا بغزلان النـقـي	او وصل كل خريدة غيـداء
حسبي هوى فئة تظن وجوههم	زهر النجوم تضيء في الظلماء
نور السرائر في الاسرة لائح	متبلجا فيهـم لـفـرط صفاء
جلي مرايا الـقـوم صيقل حكمـة	وهداية مـن عـارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابى الـ	ـــحسن بن احمد فارس الهيجاء
ياكعبة ياوى لساحة برهـا	اهل القلوب وجلة الـعظـماء
ياروضة من جـنـة بـل حضرة	تنسي نعيـم الـخلـد بالالاء
يانجعة المرتاد يانور الـبـلا	د وملجأ الملهوف في الحوباء
طال التقاعد والتكاسل بالفتـى	فسعى لبابك سيد الكرمـاء
قصدى من الكرم العريض اغاثـة	بتخلص مـن كربـة اللاواء
برحيل هذا القلب عن كدر العوا	ئـد والحظوظ وغفلة القرناء
وتعلق بالله في الاحوال والـ	ـــجمع المزيل لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتمـى	في دهره من فادح الاسواء
انت المعز لمن هواه هوى بـه	لهضيمة الارجاس والارجـاء
انت الطبيب لكل من جنحت بـه	نفس تبوء به الى الـرمضاء
انت الممد بنظرة يرقي بها	قلب الحضيض لهـمة قعساء
انت المنفس كربة المكروب يلـ	ـــهب قلبه بشماتة الاعداء
انت المسود والمتوج تاج اهـ	ـــل الله باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله مـا تهواه ينـفـذ دون ما ابطاء
انا غرس نعمة سادتى فليدركـوا بالسقى حفظ صنيعة وذمـاء
حاشاكـم ياسادتـي ونـداكم يزرى بفيض البحر والانـواء
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ ـمضطر من منن لكم بيضاء
والجاه اعظم والعوارف جمـة والعبد عبدك رافع الحـوجاء
لولاكم ما كان يـطـمع فـي الندا عـود تمـوه فـواضل الآلاء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ما الحق العرجاء بالوجـنـاء
حييت بنورك شرعة التوحيد وانـ ـتسخ الظلام بغـرة وضياء
واقمت سوق العشق بعد كسادها فغدا بتاجـرها ربـاح زكـاء
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ ـاحسان والعرفان ريح كباء
ويح الجهول اما كفاه تبحر الـ ـسامي يصحبكم كما الحكماء
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
هاذى عجالة راكض ناداه دا عي الحب للتغريـد والانشاء
واليكها شيخ المشايخ ترتدى حلل الحياء تميس كالحسناء
بنت السبيل على كلال قريحة مقروحة تبغى جـزيـل حباء
فان ازدهت مماحوت من نشر طيـ ـب سنائها بصفاتك العلياء
فمن اطباء جمال بركـم فـلا عجبا ولا تكليف بعد فنـاء
لازال جودك وابلا ينهل للـ ـعافين بالالطاف والنـعـماء

وحين اطلع عـلى القصيدة شيـخـنا الاديب سيدى مـحـمد بن الطاهـر الافرانى قال فى تقريظها :

لاحت فاعشت اعيـن البصراء شمس الذكا باشعـة وسناء
اخفت نجوم قرائح لما بدت والزهر يمحق نورها بذكـاء
وسرت روائحها معطرة فما نفح الزهور مـطـيرة وكبـاء
وهمت بودق بلاغة وفصاحـة ازرى بما يهـمـي مـن الانـداء
وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ ـل تبلج الانوار فى الظلماء
وزهت بطلعتها على خود ثنت اعطافها بالعـجـب والخيلاء
سرت قلوب العارفيـن لانهـا حاكت مديـح معطر الانبـاء
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابىالـ ـحسن ابن احمد قـدوة العلماء
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله اغنى عـن الانشاد والانشاء
العارف الجم المحاسن من له صيت سرى بشواسع الارجاء
وابانها الشيخ الذى دانت له شمس المكارم دون طول عناء
الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ ـعالى عـن النسرين والجوزاء
ذاك ابن مسعود الامام محمد من معدر قد حـل بدر سماء
ورث المكارم عن جدود كلهم غرر الدهور وكاشفوا الحوبـاء
بشراك انك نلت ماتبغيه من فيض ومن سر ومـن نعماء

وحبيت بالانوار والاسرار والـــ ـــاجلال والاعظام والالاء
ايه ابا عبد الاله فقد منحـــ ـــت عوارفا من حضرة غراء
لما نزلت بها ازدهت وترحبت بـك ياحليف سيادة وعلاء
فاهنأ بما أوليت من مولاك من فضل عظيم جل عن احصاء

وله فيه ايضا :

قفا بالمطي في اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
وأما بها صوب الحبيب مرابعا سقتها غوادي المزن من سح هتان
بها نشر النسيم من كل نفحة يغار لها نضر زهر وريحان
منازل من اهوى منازل للصفا نسيت بها فردوس حور وولدان
اذا ماصبا نجد سرت نسماتها تمل بها لبي وروحي وجثماني
وان غرد القمري في غصن ايكة اثار بلابلي بتغريد الحان
اكاتم شان الوجد ثم يبثه من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
وتروى احاديث الهوى ورعيله فتهتاج لوعتي بجيران غسان
واني لاستحلي اذكارهم وما ازيد به الاصبابة هيمان
ولو ان ما الاضلاع مني تكنه برضوى لذاب من حرارة اشجان
وما شاقني وصل الغواني ولاهمت دموع محاجري لفرقة خلان
تجمعت الاهواء في حب من غدت محاسنه في العصر زينة اكوان
وذاك امام الدين من شهدت له معالي الهوى ان ماله فيه من ثان
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد ت فضائله كالشمس في سطع برهان
ابان دقائق الحقائق فاهتدت اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
وجل بما حلى به كل مسمع من الدر ما انسى جواهر تيجان
افاد وهذب القلوب فاصبحت كزهر النجوم زانها حسن ايقان
مجالسه رياض جنة ازلفت تدار بها مدام حب وعرفان
وينقع من انهارها كل غلة بها سلسبيل لاحميم ولا ءان
وفيها شفاء كل قلب مكدر ضليل عن الخيرات في الارض حيران
نتيجة خلوة مع الله جليت طرائفها لكل غرثان صديان
فما شئت من معنى لطيف وحكمة منضدة تزهو على عقد مرجان
ومن مدد يسري بنور محبة كما سرت الصهباء في عقل نشوان
ويرقى به من سفل فرق مشتت لاوج فناء الجمع منزل احسان
ومن كلمات يفلق الصم وعظها ينيب بها لله كم من فتى جان
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ ـزهادة موسوما ببهجة ايمان
على قدم التجريد للحق سالكا بعزم وصدق في تبتل رهبان
وعلم وايثار بمال ومهجة وحزم وجد عن بصيرة يقظان
على سنن العلم القويم لحجة بها سلك الهداة من كل رباني

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم ... فزرهم تر التوحيد في شخص انسان
هم الانجم الزهر السواطع للعلا ... اما في انبلاج الصبح احسن عنوان؟
هم القادة الاخيار شم جحاجح ... هم السادة الابرار من غير اعيان
لهم في السهول والنجود مواطن ... عطرن بذكر الله من بعد انتان
هم القوم لايشقى جليسهم ومن ... فيوضهم يحظى بما فوق حسبان
هنـاك الهلال مـوذن بتمامه ... وللشبل شبه من غضنفر خفان
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ ... ـساماجد يافرد الندى طود القران
خلفت الامام الشاذلي بهديـه ... كما خلف الصديق مفخر عدنان
واحييت من رسم الطريقة ما عفـا ... وشيدتها صرحا باوثق اركان
وشرفت من تلك البقاع معاقلا ... غدت كعبة للفضل من بين اوطان
طلعـت بها سعد السعود وزهره ... وهل شرف الاوطان الا بقطان ؟
ليهنأ بلاد الغرب انك ناشيء ... بها فلها فخار فضل ورجحان
تطفلت بالقريض ابغي امتداحكـم ... وهل برمال عالج طوق حسبان
ولو مدلي في الباع سرت نحوكم ... على نفس النسيم امداح حسان
ولكنها الاقدار تعـدل بالفتى ... عن القصد والمجدود من ليس بالواني
«اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والغرض الداني»
بقيت لاهل الدين روحا تمدهم ... بنور من السر المويد صمداني
وازكى سلام طيب النشر فائـــح ... عليك به ينهل وابل رضوان

وله فيه ايضا :

ياسيدا مـن نـوره الوضاح ... بسمت مطلعـه مـن الافراح
زانت بك الايام غرة اهـتدت ... بجبينهـا الاعـلام كالاصبـاح
الف التحايا من الهك يغتدي ... ويروح تحمـلـه صبا الارواح
تسقي نديم الروح في نادي الندى ... صرفا بلا مزج رحيق الراح
تزداد منه مـعـارفا ولطائفـا ... ومـواهبا مـن ربـك الفتاح
ماذا يعد الشعر من شرف ومن ... مجد خصصت به من المداح
هبني بسطت القول اوصغت النـ ... ـجوم قلائدا لنـفـائس الامداح
من لي بعشر العشر من اوصافك الـ ... ـغر التي استغنت عن الايضاح
فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به ... فيما يـروم بضاعـة الافصاح
ضاقت به سبل الكلام وضاق وقـ ... ـت الكتب من عجل عن استفتاح
لازلت شمس الدين صيب رحـمة ... تحيي بـه الارواح كالاشباح

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب ... ابي الحسن الالفي ياسلوة القلب
سلام عليكم من محبين ان نات ... بهم دارهم فالجمع في وحدة الحب

ويهوون اليهم لـفـرط تشوق اليكم كما الظمآن للبارد العذب
فمنوا لفضلا عليهم بـزورة تزيد بها صبابة الهائم الصب
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم تزاح غشاوة الخطوب عـن اللب

وله فيه ايضا :

ليهنكم يا «ال الغ مفاخـــر فخرتم بها من بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسابنوركم تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى اله حباكم فى العلا قصب السبق

وله فيه ايضا :

نسمات الرضا وروح سـلام تهتدى دائـمـا لمفخر الـغ
شيخنا الاوحد الهمام امام الـــ ـــعصر قماع كل غى وزيغ
شاذلى الزمان روح الـكـمالا ت ومحيى الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب وركن فى النوائب اى ركن
هنالك احـبـة يسلو فـؤادى بذكرهم فـيـجلى الكرب عنـى
وهم روحى وريحانــى وانسى وجنة بهجتى وجـــلاء حزنــى
فلا برحت مرابـعـهـم رياضا بساحتها ثمار الوصل نجنى

وله فيه ايضا :

تلك شمس القلوب بانت فتاهو ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
عللانى فالاسم عين المسمى بحديث من طـاح عـنــه سواه
وتلاشى بـنـوره كــل شيء صار عينى اذا انــا ايــاه
ياعربيا هـم الكرام اصيخوا لعبيد يـهـدى اليـكم ثنـاه
بلسان عن حضرة القدس ينشى منـكـم والـيـكم منـتـهاه
ارحموا العبد منة واقـبلـوه فهو ضيف لكم وفكوا عناه
ياعلى بن احمد من به قـد طاب سوس وذكـــره وسناه
ولـعـطر غربـنــا بشــذاه وبـانــواره استـنار دجـاه
ياماما قوت القلوب واحيــــ ـــاء المعارف من مفاض نداه
لله در السعيد شيخكم قـــد طب فرعا وطاب اصل جناه
عارف الـر عـارف وشموس نـخبة الشاذلى طـاب لـراه
ان فى القول لاتساعا ولكـن لات حين استنقصائنـا ادناه
فـعليـكم تـحـيـة وسلام يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا :

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى من الروح والعرفان ويحكفى الغ
انخها بئال احـمـد فعليهـم بانواره غين الضلالة في دمـغ
فلذ بحماه واحتفظ بجنابـه لتحفظ من كيد الشياطين والنزغ
محلى مهذب الخلائق بالتقـى تروق كماالنضار بالسبك والصوغ
وتصبح في روض المعارف نائـرا فؤادك مصبوغ من الحـب بالصبغ

فاجابه الشيخ بقوله :

ايا طالبا سر المعارف في الغ ففين السوى عن عين قلبكم الـغ
وداوم على ذكر الاله تـر الـذى تقر به العينان من كل ما تبغى
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله يلوح على الاشياء طرا بلا زيـغ

وله فيه ايضا :

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتـه فاهتز من طرب بـل ازدهى تيها
حيتك عنى صبا نسيمها ارج تحيى به نفس هم كاد يفنيها
يستوهب العبد ان يرعاه خاطركم كيما ينال لدى مولاه تنويها

ولـه ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين :

ياسادتي الغر العظام الشان السالكين محجة الـعـرفان
اصحاب عارف عصرناالالغى ابى الـ ـحسن ابن احمد نخبة الاعيان
هبت على اشباحـكـم وقلوبـكـم ارواح نفح تحية الـرضوان
منوا بدعوة صادق متوجـه متطارح فـى عتبة الحـنـان
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا ز من المهالك وامتطا الاحسان
فالـعـبـد محسوب عـلى ابوابكـم عار عليكم ضيعـة الـجيـران

وله فيه ايضا :

حى ربع الرباب من تحت حصن منجدا زائـرا لا وثـق حصن
وبوادى العقيق فـيـه فعرج بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقرا عنى تحية مـن مشوق قاده لهواهـم كـل حسن
وتمل مـن الجمال ونـب عـن نازح في استلامك المازمين
عاقه ان يزورهم سوء حظ وعسى ان يعود وصل لبين

وله فيه ايضا :

ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ بذا خليفته الالغى ابى الحسن
ففز من الله بالرضوان واقتعدن لذروة العز نائيا من المحن

وله فيه ايضا :

ذق مسن كؤوس ودادهم فتصافى ‏ ‏ ‏ ‏ وترى الهوى وسط المنى متلافا
كيف الحياة بلا شعور القلب من ‏ ‏ ‏ ‏ روح الهداية للذى قد سافا ؟
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان ‏ ‏ ‏ ‏ يحيا فؤادك تنتعش وتلافى
ان الطريقة قد تبلغ بدرها ‏ ‏ ‏ ‏ فى الخ تكشف فى القلوب سجافا
من لم يرد من عند منبعها فلا ‏ ‏ ‏ ‏ يزلن طول حياته مهيافا
مذ ذقت من رشفاتهم انسيت من ‏ ‏ ‏ ‏ بين الآوان قراحها وسلافا
قد تيمونى من جمالهم فلا ‏ ‏ ‏ ‏ كف تعير لغيرهم اطرافا
فهم فؤادى واللسان وكل ما ‏ ‏ ‏ ‏ عندى وما اعتده اطرافا
فهم جمال الكون اجمع لايرى ‏ ‏ ‏ ‏ من لايراهم غير ما قد عافا
ليس النجاة بكف غيرهم وان ‏ ‏ ‏ ‏ نال العلوم وعاشر الاشرافا
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا ‏ ‏ ‏ ‏ الصاد ثم الدال ثم القافا
لاسيما مثل الامام القطب سيـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـدنا ابى الحسن الذى قد صافى
فاليه كل محامدى جمعاء فيـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـها منية القلب الذى قد زافا
وببابه القى الرحال لعلنى ‏ ‏ ‏ ‏ القى القبول لديه والالطافا
وانا على لسن القريض اريغ ان ‏ ‏ ‏ ‏ لايغتدى قولى لديه غرافا
فانا له حسان مدح دائم ‏ ‏ ‏ ‏ متطلب من فضله اتحافا
فليعلم الثقلان انى عبد اهـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـل الله من قد مولوا من سافا
اصحاب قطب الكون من فى الخ قد ‏ ‏ ‏ ‏ رفع اللواء وارشد الاطرافا
فيه القريض اذا اقول يلذ لى ‏ ‏ ‏ ‏ فاشى اذا ما حكته افوافا
لايحسب الشعراء انى مثلهم ‏ ‏ ‏ ‏ القى كلامى فى المديح جزافا
فالله يعلم والملائكة الكرا ‏ ‏ ‏ ‏ م ومن هم قد البسوا الانصافا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى ‏ ‏ ‏ ‏ الخ الهدى وعلى سناه اشافا
انى كمن يثنى على الدأماء فى ‏ ‏ ‏ ‏ امواجها ان تغمر الاسيافا
وكمن يطيل المدح فى غيم همى ‏ ‏ ‏ ‏ بالغيث حتى العم الاكنافا
وكمن يشيد بنور شمس الحفت ‏ ‏ ‏ ‏ بضيائها من كونها الاعطافا
هل فى البحار وفى الغيوث وفى الشمو ‏ ‏ ‏ ‏ س سوى القصور لمن غدا وصافا؟
انى يحيط بمائها الثجاج والـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـوهاج من انوارها اوصافا ؟
فاذا يكون المدح حقا صادقا ‏ ‏ ‏ ‏ فيمن شأى الاخلاف والاسلافا
مثل الامام امام هذا الجيل من ‏ ‏ ‏ ‏ فتح القلوب وزحزح الاصدافا
وابان هذا الدين صحوا مشرقا ‏ ‏ ‏ ‏ متلالاً ببريقه خطافا
وازاح عن الباب من يلقى ولو ‏ ‏ ‏ ‏ عرضا ولو فى ساعة أسدافا
وارى العيون من الخ نورا ساطعا ‏ ‏ ‏ ‏ نحى الظلام عن النهى فتجافى
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما ‏ ‏ ‏ ‏ فيه قصير مجحف اجحافا
وان استعار المادحون من الريا ‏ ‏ ‏ ‏ ض شمائلا ومناظرا ولطافا

او من عزيمة باسل متدرع يعلو الوغى ويعانق الاسيافا
ماذاك اجمع ما يؤدى ما هنا ك سوى مخايل تكتسى اليافا
تحكى كما يحكى الصدا من شعبة صوتا لما يجـتابها مخطافـا
لكن مـا قـد كـان حقا يجتلى بفؤاد من ورد الحمى مستافا
مازال مكتتما وليس يراه من لم يغد عند بنى اللوا عرافا
سر من الاسرار يلقيه الالـــ ـــه لمن يشاء فيكتسى الالطافا
واذا يمس كلام صاحبه القلو ب يفتح الاسماع والانـافـا
فينيرها نور الهدى فيكون حـــا ملها لكل اللغو ممن عـافا
لاسعـد الا ان تكون نظيرهم ان تبغ من خلاقك الاتحافـا

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منــه من بعد ان ذاق الجسو وعافا
لك مايفوق حقوق من نجلا وقد نحيت عن قلب العبيد غلافا
انقذت من سنة تمدى سجفها زمنا طويلا سمت فيه تلافا
واملت من رسنى الى جهة الهدى واريتنى كيـف الهدى اشرافا
فباى شكر يلتقى من كان من جرف الغوايـة والضلال تـلافـى
من لم يفق لم يدر ما غفلاته وان ارتقى العلـماء والاشرافا
مـا اغفل المستدمنين هواهم وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
لكنه هيهات ان يستيـقـظوا مـا لـم يلاقوا واعظا لطافا
يضع الهناء مواضع النقب التى كانت لـكـل مغرة اهـدافا
مثل الامام اما هنا من دابه وعظ الورى فيعلق الاشنافا
خواض كل تنوفة ركاب كـــ ـــل هواجر فى عمره الالافا
مااقصده الا انتشال الغافليـــ ـــن وهزه بعظاته الاكتـافا
كم من جهول غافل فى اهله جعل الهوى فى جانبيه سلافا
لم يدر كيف الرشد اوكيف الهدى ضخم الكرادس لايميد ؛ معافى
سبقت سعادته فقيد لـداره شيخ المشايخ حـامـلا الطافا
فيسيمه رغـمـا دواء شافـيا والطب يغدو تـارة عـنـافا
من ياب تطبيب العياء بجنبه يبصر طبيب عـيـائـه كتافا
فاذا بذاك الغفل عاد كانـه ما قط عاشر همـدا اجـلافـا
ادر العيون تر الالوف وكلهم من هـؤلاء تحـولـوا اشرافا
عادوا رؤوس الدين بين هداته من بعد ان كانوا هم الاطلافا
هذى يد الغيـة تسدى الى الاقوام تهدى مـنهـم اصنافا
كل ينزل فى منازله ينـــا ول من ثمار نظيره اقطافا
هذا يرى الفردوس منـزلـه وذا ك يرى له من دونه الاعرافا
والكل راض والمقاصد واحـــد ما ان ترى فى الممرعات عجافا
فتراهم زمرا اذا ما يرضعو ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هيما لم يصد ... در كلهم من جانبيه سلافا
الله اكبر هكذا كنا سمعـ ... ـنا عن مشايخ هذبوا الاسلافا
كالشاذلى ونجله المرسى ان ... صقلا الفؤاد وساوماه ثقافا
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـ ... ـب الوقت في اقصاده الاهدافا
بعزيمة فعالة قوالة ... نهاضة مثل البروق الافا
يلج البيوت على بنى الغفلات رغـ ... ـما ثم يكشف عنهم الاسجافا
فيريهم نهجا الى خلاقهم ... لقما قويما لايرى اخلافا
هذى المفاخر لا مفاخر قصعة ... قد كللت بسديفها اطرافا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به ... سفن السعادة لاتنى اجدافا
دم للطريقة قائدا فى رتبة ... عليا تربى الفرش والصفصافا
وعليك منى يا امام تحية ... ممن حباك الفضل والاتحافا
وارع العبيد القدم من بعد لكى ... يسقى بكاس محبة فيصافى

لابن مسعود في هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب في ذلك سهل من امثاله الذين يلقون مايلقون على سواهنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة الاخيرة ؛ اعطاها له في المعدر ثم بقيت في مبيضتها الى ان ظفرنا بها؛ وكذلك هذه التى يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بانه أبل من مرضته ؛ وهى :

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد ... فقد عاد منه للعلا البخت والجد
ولاح لها من نور وجهك نورها ... وزال بها من برثك البؤس والجهد
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى ... مكارمها ما لايظن له هد
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت ... حلوم قروم دونها الشامخ الطود
مرضت فامرضت القلوب وحل في ... سويدائها ماانشق من حمله الصلد
وخلنا قوام الدين قد حان حينه ... غداة راينا قطبه هزة الميد
فحمدا لمن بالبرء رد حياته ... فتنبلج البشرى وينكشف النكد
وراض الى افراحه كل مشهد ... من الخير واحلولى لراشفه الشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت ... مكارم قد اشفت وساومها الفقد
وعاد ابتسام مستطاب مؤشر ... الى فئة الايمان فالشكر والحمد
ففي اليوم عاد الجو ابيض مشرقا ... وزال ظلام النحس وانبلج السعد
وعاد القرار بعد طول تسهد ... الى نظرات طالما مضها السهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى ... وقد امنت وارتاح بالراقد المهد
واصبح فى تلك المعالم نافح ... من الانس طال عن نوافحه العهد
فماشئت من قوت القلوب تجيش من ... ينابيعه الامداد ما ان لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا | نهاالحب والتوفيق والشكروالزهد
وما شئت من حب النبي وصحبه | وشرعته حبا يضوع بـه النّد
وما شئت من روح يروح عن فؤا | د صب به اشفى على لحده الوجد
وما شئت من ريحان نور يرف في | ملابس بهجات تغار لها هند
وماشئت من‌معنى شهود يريك في | مجال الكمال الحق ما دونه بعد
كذا فلتطب اعمار زهر تأرجـت | بطيب شذاهم التهائم والنجد
بهم يحتمي من سامه الدهر خسفه | فبورك عزا دونه الابلق الفرد
حمى الله لاجوار جار ابى دؤا | د لايستبيح جاره الدهر من‌يعدو
بهم في دجنات النوائب يلـتـجي | ضعيف على الخذلان اعوزه الايـد
بهم تنجلي الحوباء والخزي‌والردى | بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفى الرشد
لهم همم تفري الطباق وترتقى | الى‌العرش تحت‌بطشها الملك والجند
هم اسرتي ونصرتـي وبعزهم | اصول على دهر به تهضم الاسد
وهم مقنبي وفيلقي ومقاولـي | وفخري اذا الناس المفاخر قدعدوا
وهم كرشي وعيبـتي وبحبهم | غنيت ؛ وكنز النطف يفنى له‌العد
فياعاذلي كن عاذري في تولهي | بسر جمال من اشعتهم يبدو
اخالك مختل المزاج وكـيـف لا | يهيجك نور الحق ما دونه صد
فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من‌الـ | ـزمان ففوت العمر ليس له رد
ولاتغترر بالدهر يـوسعك الجدى | هنيئا فان السم يودعه الشهد
فما قر قارون على كنزه ولا ابـ | ـن جدعان بل اودى بجفنته الاد
وغال نديم الفرقدين من اغترا | ره الرأى لم تلبس له‌الادرع السرد
فقبحا وشقحا للمفتن تطيبـ | ـه زهرة فان وجد رقراقه فـقد
وراقب على مدى الزمان الاله واحـ | ـتفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه‌مجد
تهاونت بالانفاس وهي نفيسة | وفي غفلة عما يراد له العبد
فلا تحقرن في الشر نزرا فداحس | بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد
وحاذر وان اركبت عزا ممنعا | مصارع بغي هزلها في الورى جد
فكم كان من جرا تهور ناطق | هلاك امرىء ينماع من بطشه الفهد
فذا عروة الرحال عارضه البرا | ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
اراد اجـازة اللطيـمة ذمـة | على‌الشيح والقيصوم فاغتاله الكيد
وماخاله بالخفر يجسر ضلة | عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
الم باقـذاع فـاوغـر صدره | عليه وقد يستهون الفاتـك الجلد
ومن يعتصم بلبه لايخاف من | مزلة اقوال يضيق بها القصد
وكن نابذا من لم يعنك على‌الهدى | فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
وسر في محجات الصواب منكـبا | عن الغي لاتحفل وان عذلـت دعد
فهذا امام لاتكدر بحره الـ | ـدلاء ولم يخب لرائده قصد
يجود على الالباب من نوره كما | يذود من الاكدار ما ان له حد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها ... يحل باذن الله ما ابرم الشد
يشمى ابن سعد جوده وابن مامة ... نعم قطرة من سيبه دونها الجود
يشابهه فى الحلم قيس بن عاصم ... والاحنف حيث الغيظ فى جمره وقد
هى الشمس مامن دونها السحب يهتدى ... بها سالك البيداء جد به الجد
هو المورد العذب الذى لايشوبه ... من الرنق التنغيص؛ ياحبذا الورد
هو الجنة التى متى ما اوى لهاالـ ... ـمروع لم يستمه ناب ولآحد
هو الكعبة التى على كل ضامر ... الى غيثها الهطال ينتجع الوفد
يفوت القريض حصر عليا صفاته ... ولكنها كالدر ضمنه العقد
تطيب به اوقاتنا ويمدنا ... بتعدادها من طيب انفاسه المد
ومن نعته من نعت مولاه كيف لى ... بتوصيفه والعقل يعجزه الحد

* * *

فيايها الشيخ الذى بشفائه ... تراجعت الآمال وانتعش المجد
كانك روح الكون بل انت روحه ... فمنك له المحيا يراوح او يغدو
فما نحن هنانا الامام وانما ... نهنى به الاسلام حق له الحمد
على ان بقيت فى حبور بمتعة ... بها بهجة العرفان تم لها العود
فمد الاله عن افاضة نعمة ... لكم عمرا ينمو به للورى الرفد
وتنبع منه كل عين بمشرق ... وغرب بها الوراد يغمرهم ورد
فما انت الا الفرد تقصر دونه ... عبارات من امداحه حولكم تشدو
لئن سوغوا فى المدح قول مبالغ ... يسيح له من فوق ممدوحه مد
فانت سموت المدح من كل قائل ... بليغ فما من جزر تقصيره بد
لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد ... صريع الغوانى واللهى رشحها الحمد
واغرب بل اربى على كل شاعر ... ابو الطيب الجعفى يقتاده الجد
فجاء بنى حمدان من نفثاته ... مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
واسدى لكافور ثناء مخلقا ... تطيب به فى روضة اللسن الملد
فانت احق بالقصائد ينتقى ... لها الماس والياقوت والسلك والنضد
احق لعمرى بالمدائح فوق ما ... يحوك ابن اوس حين فصحه الرفد
لئن كسبوا فى مدحهم كل طائل ... ففى مدحك الطول الذى ما له حد
فما انت الا الروح والروح علمها ... كما هى عند من هو الصمد الفرد
كسوت جميع العصر حلة همة ... منمنمة ارقامها العزم والجد
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم ... مدارك ذوق خالص ما له ند
فكم قرية ماتت فاحييتها بما ... تفجره فيها مواعظك المد
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا ... بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى ... يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
كذاك يكون الفخر بالرشد عندمن ... يربون يعلوهم من العصمة البند
وما عصمة الصوفى الا احتفاظه ... على النفس الغالى فيكنفه السعد

ففي كل قطر كان مشرق سعده ورالخ) لنا في عصرنا اشرق السعد

* * *

بقيت لهذا الـدين تحـمي ذماره بسطوة شهم دونه الاسد الـورد
وازكى سلام يعبق الـكـون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدهـا تظل الندى والعز الفانه الـملـد

ثم كتب ابن مسعود تحتها :

تم تبييضها في ءاخر يوم منذي الحجة الحرام عام ١٣٢٨هـ عرفنااللهخير الدهور؛ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعودالطالبي كان الله له وليا ءامين

اقول : ان القصيدة الذى بيضها قائلها في اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ التى كانت فى ٢٨من ذىالحجة المذكور وفى ءاخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابـع بها همعت للعاشقين مدامـع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى به رونق الهدى لمحياه راجع
ابالحسن ابن احمد الاحمدىالرضا ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلـعـة تضىء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهـب ولـمـحة تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء اللـه رد ودافـع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجأ وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طيـب وتحيـة عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعها الشذى النورانى
فزهت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا مـن الاظعـان
وتعطرت ارجاؤها بعبير مـا نشر النسيم بها كنفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمـران
فكانها وبها حياة الكون هـو لانا الامام العارف الصمدانى

الى ءاخرهاوقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

وللفقيه الاجل سيدى محمد بن علي السويرى المنشا : الاكاديرى الاصل من اصحاب الشيخ قصائد فيه ترجمتهاالترجمة:ففي مطلع قصيدة (فيها٣٣بيتا)

قصدت حمى ذى الحباء المديد كـريـم تسامى بـغـير نديد

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امـولاى ياعـلى ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهـب

ومطلع اخرى نونية قالها في مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها٢٢بيتا)

احبة خير الخلق امته التى توالت لها البشرى وقرت به عينا

ومطلع اخرى

الفوز الجنى بالواحد الاحد الصمد فليس سواه في المهمات يعتمد

ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجا الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر

وللاديب سيدى الحسن بن محمد الركني من اصحاب الشيخ حين وفد عليه اول يوم :

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقـتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مـرتد
حماه من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غـربتـى فقصدته فيانعم مقصودى وياحسن مقصدى

وكتب اليه ايضا :

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهـده
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده

وللعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلالنى نزيل مدرسة سيدى يعقوب وهو من الآخذين عن الشيخ :

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتر زهر على الفنن

نصحت امام الدين نصحا جزاكمن   يخص ذوى النصح المعمم بالمنن
فانى منظوم بعقد صحابكم   لعلى تحت الظل اظفر بالجنن

والفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل افران ممن ينتسبون الى الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ هذه القطعةفي المترجم ؛ مع هذه الرسالة :

«الا خفي الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع للشريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه في هداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح والارشاد ؛ سيدى الحاج علي الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون قدر ماانتصبتم له احتسابا ومقدار ماتلاقونه من الغوغاء كلما طرقتم بلدا بلدا فبصبركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا على الجهلة المبطلين كما هي عادة الله في نصر المحقين ؛ فاعانكم الله ووفقكم على ماانتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز في هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بان ليس لنا فىالجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتا حضرت لىفىجنابكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لماكن اهلا لهذا الشان ولاتريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران   وفريد للنصح فـى الازمـان
كل يوم تظل فيه فتغـدو   ثم تمسى تقتاد مـن عميـان
فجميع القرى درت منك جدا   واجتهادا تهدى بنـى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا   ح اماما والـغيـر كالبعـران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قـا   ل مقالا قد مر فـى الآذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جهـ   ـرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالـ   ـشعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشا   ك من الله سابـغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضي‌الله‌عنه

اقول انني هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وجدهم فليسا محوني فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب .

وللشريف الركانبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراكش ممن اخذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها :

ابدر بكل الافق لاحت شمائله   وعم سناه العالمين ونائلـه

ويوجد ماوقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سياتى ان شاء الله فـى القسم الرابع

وللعلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم وقدورد الىالغ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر على من من ادران وصف برى
وتوجد كلها فى غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه :

ابا حسن منى سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففى دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهريـن كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيانكم والله قصد نظامـى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملامى
وثم عليك حيثما كنت دائما سلام ببـدء امـركم وختـام

وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا :

ابا حسن انهى لحضرتك التى زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه منى الصبابة فائحـا فيزرى بزهر الروض فوق كمـام
وبعد فاعلام المحـب بحبـه اتى مسندا الى شفيـع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرتنى وحشة من فراقكم بعثت نيابـة كتـاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم مـن الايام كان الشيـخ استدعى العلامة المذكور بقوله :

ابا حسن زرنا على عجل ومن تعب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لابحر شوقكم مدى الدهر فىغرق

فاجابه بقوله :

اجيب بجثمانى وقلبى لديكم رهين فما احلى اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضـ ـه يحظ بنيل الدر منه بلاغرق
وانهـى الى عليـاء قدرك اننـى اطير اذاما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنـى وقلبى الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هـذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد :

ابا حسن تمـم مسرة عيدنـا باقدامكم فالعيد وجه وديدنـا
فعيد ولـم تحضره مـازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسى الطبيب الصهر الكريم والاخ المتيع الحريم سيدى عـلى بـن احمد وبعد فسل خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامتثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله :

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاحبة قربته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمثواه جنته

واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى

فاجابه :

عليك سلام ياكريم معنبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلبيك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لايبكر

وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه واحسب انه لم يحضر في هذا الوفد والالكان هو المجيب :

على اننا لانبتغى غير نظرة تكون بها الاذيال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم ياشيخنا من يبكر

وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة في زاوية الشيخ الالغية يوم اسست في شوال عام ١٣٠٢ ﻫ مطلعها :

بيت اتيح الخير من وجهاته فاتيح ما ينكا الحسود القالى

وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية في اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهنئا بولدم سيدى محمد ما مطلعه :

اتى نبأ دال به دولة الانس واضحت به العلياء طيبة النفس

وتوجد كلها في ترجمة سيدى محمد المذكور في (الفصل الثانى) من هذا القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران :

هنيئا لقلبي والهناء على مثل يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذل واشتعال صبابتى فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاولى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا كمن جاءه في داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافراني الى الغ ، وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمدوالاديب سيدى البشير الناصري ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانزاضيفرحب بهم الالغيون علىعادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد الافرانيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر
فقال الشيخ المترجم في الترحيب بالوفد مسايرا وانلميكن في مسلاخ الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار ببيض طوالع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيئت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحى الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفح نسيم الروض والروض ناضح امانشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذي الثلاث كانها (ثلاثة اقمار ببيض طوالع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المتتابع
امام اضاءت من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهي بلاقع
وعطرت الارجاء من نفح طيبه فطابت وفاحت النواحى الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تاثيرا! فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازالت العلياء تزهو بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثويا (١) زاهي السقف ، تلونت فيه الالوان ، مما يعد كالبديع بين القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الغ ، فقد وقف سيدي سعيد التناني على ساج السقوف فيالسويرة حتى تم تلوينه وتزويقه علىيدامهر النجارين المزوقين ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الغ ، حيث وضعه صانعماهر في سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافيالسقف الىما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته ثم فرش الثوى وهو فسيح بفرش حضرية من الزرابي المزركشة والمسائد وبعض الحشيات وراءها حائطي رقيع ، وفي ربع من ارباع المكان صف من الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعةوهذا كله غير معروف في الغ فكان اضياف الشيخ يستاثرون بالجلوس هناك وحدهم فوجد بعض المبتدئين منشباب الغ مسرحا جديدا لقرائحهم ؛ فقد رايت من ذلك قطعا لايستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتي وقد كان الالغيون يسمون ذلك الثوى (الكايزة) وغيرهم القبة ، قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافراني ،

---

(١) الثوى كغنى : البيت المعد للاضياف

ايا تاج هام الفضل ياملجـا العاني ويا واحد العلياء من دون ماثان
بنيت لاهل الله دايا ترفعت بما ضمنت من كل حسن واحسان
تجلت عروسا للعيون فاصبحت وقد سفرت تزهو بحلية اتقان
سماء كما حـل النسيم اذا سرى على روضة اكمام ورد وريحان
فمن ناصع فى ناضر حول احمـر كما لاح نجم الافق في الشفق القاني
محاسن تعشو العين منها كانما تبدت به شهب المطالع للرائي
لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل ترن بما يزرى برنات العان
تذكر وقت الدين في كل ساعة بتنبيه ساه او بايقاظ وسنان
مكان رسا بالدين والعلم والتقى فاربت معاليه على كل بنيان
لك الله من بيت رفيع بما حوى من المفخم الباقى الى الزخرف الفاني
يذكرنا جنات عدن ومـا اعـ ـد رب الورى فيها لابرار عبدان

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة بـزراب منوعـات انيـقـة
فوفت بالالوان حتى تـراهـا كزهور تنوعت فـى حديقـة
تتراءى الوانها فـى خطـوط وتعاريج ضخـمـة ورقيقـة
تلك بيضاء حشو حمراء تبدو باي عين كدرة فـى عقيقة
افقها زهرة وفي ارضها فاعـ ـجب لها زهرة الرياض الفتيقه
واذا مـا نظرت جنبيـك ابصر ت بعينيك باهرا عن حقيقة
(مـاكنات) بطـولها قائـمـات معجبات قامـاتها ممشوقـة
تذكر الله في كل وقت اذا دقـ ـت برناتـهـا لكـل دقيقة
بهجة فلذ تشوق الى الجنـ ـة نفسا بربـهـا صديقـة
كل من زارها يرى نفسه تهـ ـتاج نحو الفردوس اى مشوقة
رضي الله عن امام البرايـا من بناها لعلية دون سوقة
من ابان الدين الحنيف بهفي الـ ـغ نهج الهدى وانفق سوقـه
خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب لكسول محاول ان يـفـوقـه
كـان للـه مخلصا فـحـباه من سناه صبوحه وغبـوقـه
حيهل ايها الـعـلـماء لشـيـخ مصدر عن شريـعـة وحقيقة
فهو غوث في العصر هذا وبدر يدرك الزائرون الـغ شروقه
فاتـه يامريد تـجـن قطـوفا دانيات الجنى بخير طريـقـة

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها :

الا نزه العينين في خير ماقبة لخير امام حائز خير ما رتبة
ففي سقفها او ارضها وجه روضة ازاهيرها شتى واكوابها عذبة
تشوق من يعنو امام الهـه لجنته تـرضى عبادتـه ربـه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حولـه   من الدين للدنيا لقى بهما نحبـه

ومن ذلك قطعة الامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ،ولكن لم استحضر الا ما يأتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما   ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لايبصرون سوى   مايبصرون كأن لم يرزقوا الفكرا
للعارفين شهود فى مقاصدهم   ويستوى عندهم ما سر اوجهرا
للجهر والسر اسرار وعندهم   فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المغتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى وهو اذذاك فى المدرسة الالغية :

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد   أميلوا عنان المدح والشكر والحمد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى   يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت   به الزهر اوكالدر فى وسط العقد
فلله مثوى الشيخ سيدنا اذا   يفوح بعرف العود فى الجو والند
عليك سلام ما تقوم على الهدى   فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا :

فلله بيت شيد للديـــن والتـقى   وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت   عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوفا بالطاف ربنــا   فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثلـه ، فهنالك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى لايرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكادوا يهلكون

وبعد فقد خوطب الشيخ من ءاخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجمهم مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان هنالك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها :

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى   قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هنالك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها :

صدحت مـطوقة بائك البان   ام نفحة وردت بريح البان

فهي التي تسمى «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالفية مـــن اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها في مجلد ضخم وهي التي ذكرنا بعضها قريبا في اول هذه القوافي

وحين رجـع الشيخ من حجته كتب اليـه العلامة سيدى الطاهر بن محمد من تارودانت يهنئه

تارقت لما شمت برقا حجازيا	بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
وذكرني اعـلام طيبة فانثنى	بقلب لنا والوجد مازال صاليا
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتطى	مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
وسار مع الركب الكرام يقوده	زمام الهوى حتى ينال الامانيا(١)
فيقضي لبانات الهوى كيف يشتهي	ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
فيافوز من امسى بطيبة نازلا	بخير رسول كان للضيف حافيا
يروح ويغدو في مسارح جنة	ويجني بها تمر المكارم دانيا
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر	ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويغسل قلبا سودته ذنـوبـه	ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
فيا ليتني قد نلت لثم ترابها	واحدثت لي فيه بعيدا لظماريا
وياليتني اذ فاتني نلت نظرة	بوجه سعيد زار تلك المساعيا
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا	على هامة النسرين بالمجد سامـيـا
ابي حسن بدر الهداية من دعي	الى الفوز في جمع فلم يك وانيـا
ولكنه لبى النـداء مسارعـا	وصار على متن الصبابة ساعيا
ووالى السرى حتى اذا مابدت لـه	اباطح سلع جدد العزم راميا
وعفر في مثوى النبي جبينه	فاصبح في ليل الغواية هاديا
هنيئا له نال المنى واحق من	يهنأ من زار الطبيب المداويـا
فياسيدى ابشر بذخر شفاعة	واجر كبير لم يزل متواليا
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه	سرورا وما ان زال مذغبت شاجيا
يباهي بك الغرب البلاد ومن تكن	اماما له لاريب في ان يباهيا
واني ممن كـان ودك عقده	فباح به دمعي ولفظ لسانيا
وكنت ارجي لثم كفك شاكرا	قدومك لكن حيل دون رجائيـا
فارسلتها تمشي اليك وتستضي	بنورك ان ضلت تبث التهانيا
واغض وان قصرت في الحق فالنوى	رماني بهم وقعه غـال باليا
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى	تملكها مازال يمـلاها عـيـا
عليك سلام كالنسيم اذا سرى	يحدث عن اعلام طيبة راويا

وقال ايضا يخاطبه وقد ذهـب لزيارته يستغيث به في امر عناه

اتيتك حبوا للـزيـارة عندما	غزا صرف هذا الدهر فكري فاحجما
ولم الف احمى منك فانصر فانه	تجمع واستعدى العياء والجما

---

١) الياء في الزى وفي الرى مشددة في الاصل وكذلك الاماني المذكورات في القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره فكم اطلعت رؤياك للسعد انجما

وكان الشيخ بعث الى سيدى الطاهر هذا اللغز فى اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى هو الثانى اولا ونسبة اول
وثان وثالث بجمع من ءاخر ثلاثة ارباع لعشر فحصل
وثانيه خمس ثالث تسع اول وثان وثالث بثلثيه تنجلى
الا فبالغير سر وفتش على الذى ترد اليه المعضلات بمحفل
ولاسيما ان طاهرا اوعرابيا تلقيته فانزل وبت خير منزل

جواب سيدى الطاهر

انتنى فحلت من عقال الردى عقلى واحيت ذماء كان اشفى على الويل
ووافت فؤادا قارب الحتف بعدما عليه امير العى قد كاد يستولى
فصلت على فرط الصبابة والجوى تروى غليل الفكر من مائها الجزل
فهشت بها ارض القريحة مثل ما ربت بعد محل شانها الارض بالوبل
فحق لها اوفى النصيب بقوله ومن كان احياها له اجرة الكل (١)
حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها وخصص جنس الانس بالفصل ملقول
وخصصك منهم بالمعارف والحجا وبالهمة القعساء والعز والفضل
لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها اطير واستعلى على العالم السفلى
ولكنها من بعد ان سر وصلها تكلف سقبانا مقارعة البزل (٢)
فقلت لها ناديت والله ميتا وطالبت صلدا ليس يبتل بالبذل
ولما ابت الا الوفاء وليس لى بحكم الهوى الا امتثال الذى تملى
اجبت ولكن الفهاهة اخرست لسانى ومالى عن مرادك من ميل
اشرت الى اسم لامسمى وراءه نظيف على شخص له ليس بالاهل
فاوله تسع وثانيه واحد وثالثه خمس بذلك يستجلى
فمجموعها عشر وخمس وعزوها الى المائتين ءاخرا جاء بالسؤل
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى ولكن لما امليته ليس بالمثل
فمعذرة منى الى عفو سيدى اذا كنت قد قابلت علمك بالجهل
وما كنت لولا ما كلفت بحبه من العفو ان استن فى تلكم السبل
ودم سيدى للمشكلات تحلها اذ احاد عن ادراكها كل ما فحل
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة بتوفيقهم للرشد فى الجد والهزل
عليك سلام ما تلذذ عارف بذكر وما اشتاق المحب الى الوصل

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى العز ينسب وثانيه خمس اول وهو يضرب
بخمسة اسداس له اول جلا علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

---

١) تلميح الى قوله تعلى : ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا
٢) السقب كفلس : ولد الناقة والبازل : الكبير من الابل

الجواب :

تاملت لغزا اتعب القلب حلـه وعاناه حتى بان لى انه اللوز

ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضممت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ :

قلم البليغ يبين لغزا مثبتا عن غور فهمكم السليم الاثقب
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجىء ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما ولا زلتما مستسهلى كل ماقن

الجواب

تاملت هذا اللغز يايها الخل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه اثناء الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها ارباب الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ماصدر عنه وذلك قليل ، وهاك الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايغمض فيه اديب :

سعد الفقير وساعدت اوقاته ما دام من اذكاره الـواته
بالله يفرح كل قلب ما لـه غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فـى ربـه فبه تتـم لقلبه شهواته
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرءاته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها :

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ولازم بخلف ما اشتهته عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ ـمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نوروجهها وتجنى على الوصل الشهي رضابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكرسيفي :

اموسى اجمعن في الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لـن يزال مولها بذكر كثير كي تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ماقاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلكي الشهير :

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفـز الربانـي
وانس السوى حتى يكون مشعشعا منك الفؤاد بساطع نورانـي
فالسر كل السر في ان تغتدى في حضرة قد كنت فيها فاني
ان العبودية التي يابى الهوى في النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا قد مهدته شريعة الرحـمـان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدري :

ولي مذهب في العشق منفردا بـه فلست ملونا بوجد ولافـقـد
قد امتزجت روحي بروح احبتي فلا وصل في قرب ولا فصل في بعد
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل فحالي لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابياتا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربي الادوزي حين زف اليه بنته التي هي والدتي ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فذي نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك في قضيتنا اثما

كان الشيخ قال في الشطر الاول من البيت الاخير هكذا : زففت لنا البنتين في عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كماورد في الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما في بعض الروايات ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يـامـن لهم دول فنظم جوهركم يسرى به المثل
انتم فؤادى وما مول وملتجئى ومن بهم نحو ربى الدهر مرتحل
وبابكم هو باب الله من غلقت ابوابكم دونه ما ان له حيل
ومعشرى كل اهل الله قاطبة والله قصدى ومالى فى السوى امل

ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لايزال الى الآن يطن فى ءاذان من كانوا يعيشون فى سوس سنوات ١٣٢٥ هـ ١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى الجامع وفى الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومـة المحتلين الذين نزلوا اذذاك فى الدارالبيضاء، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحى المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه الغيرة الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ يأثرها عنه اصحابه قبل هذا الحين وكثيرا ماكان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاى الحسن ، فـى مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له فى رحلته الحجازية جذوة متأججة فى هذا الموضوع فاسمع لمايقوله فى هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥هـ اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى فى ءاخـر الايام هـنـاك مـع فـذ من الاعلام
آن كنت من بعد صلاة العصر فى جامع الزيتون عند الحبر
اعنى به ذاك الـذى سطرته وبرقيق القـلـب قد ذكرته
مستنـدا الى عمـود الشاذلى وهو مكـانـه لـدى الاصائل
ذاكرنى فى الـعـقـد للمحبة لله كالعـادة فـى الاحـبـة
فقال بلغـن الى الرسول متى حظيت منـه بالمثول
فقال قولا الـهـب القلـوبـا حتى تكاد منه ان تـذوبـا
وحرك الاشباح والارواحـا وحرك الجبـال والبـطـاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف وكنت اثناء مقامه الـمـنيف
وفازت النفس هناك بالمـنـى واكتحلت عيناك مـنـه بالسنا
فقل لـه يـا ايها الرسول غر بـنـى ملـتـك الذهول
وانها لامـة مستضعـفـة احتـوشتها امـم مستضعـفـة
حتى غدت كاللحم فوق وضم من يفتح الشدق اليها يلهم
رموا وراء كـل مـا خلفـتـا وضيعوا فى الدين ما اسلفتا
ونبذوا الدين سوى اطـلال تبدو لما اسست كالظـلال
والبلسوا كلـهم للشهـوات كانهم قد خلقوا من شهوات

لباسهم بينهم شديد من اجلها كانهم حديد
بيناهم فى غفلة ووسن ليس لهم بين الورى من رسن
اذ دهمت بين الديار الجل فالبعض فى الاسرى والبعض قتل
قد زعزعت بلادهم كفار كان لهم من قبل ذاك ثار
فاستحوذوا على بلاد امتك وقصدهم محو لكل ملتك
حتى غدا كل بنى الايمان اسرى بوسط الدار فى البلدان
ودينهم ممتهن عيانا كما يلاقى اهله الهوانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا وامتهنوا بيد من قد كفروا
فهاهم فى صقعهم لاحولا لاقوة غير دعاء يتلى
وما لهم وجه به يستشفعون الى الهك ومنه يرتجون
سواك يا خير البرايا عنده فانت من ليس يرد وحده
فليس للمستضعفين غير دعا اذا مس البلا والضر
فانت باب للدعا فيستجاب فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
بلغ الى نبينا هذا الكلام من بعد ان تقرا له منى السلام
يقول ذاك والدموع فى العيون كانما ثرت بمائها العيون
والصوت بالنحيب عال وانا كدت اذوب لهفة وحزنا
حتى عرانى الجذب فى الحين كما يقع لى حين اجيش ضرما
لم جرى مابيننا صموت ودأب من تحيروا السكوت
فلم يكن منى ولا منه كلام بعد سوى مد اليدين للسلام
اذ قرب المغرب فافترقنا وانا بما جرى احترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين فذو نفاق مختف مكنون
وكيف يرضى مومن ان يحكما امر بنى الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لايدع مجتمعاالانادى فيه بالبراح (١) : انالزمانقداستدار • وانالكفر قدوغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو فى اثناء ذلك يشترى السلاح ، فقد عدماتركه بعد موته بستعشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثيرفوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كانيعاب عليه ان يلتفت الى التسلح لانه صاحب زاوية وقدرايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لايكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لايجدى فى ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطيين والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقى اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت

هذا فى ذلك المقام بين الاهالى ، واما فى الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام ءاخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات •
ثم ان الشيخ كان يحمل معه فى السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

١) البراح كشداد : المنادى فى الاسواق عادة

فهكذا ورد الى موسم تلزاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيأ الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد • وكذلك كان يوما اخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكتل الناس كلهم أمام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكموا في السلاح • فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فبينما يقول ذلك ، اذا الاشكر ـ الرئيس هناك ـ يتخذ كلامه سخرية اذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «اوقد استنكفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تابى ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعدنحو سمت سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولايزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء ـ ان لم تدافعوهم ـ من لايكتفي منكم بمال ولابارض ولابدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لايابهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعدر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لايزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولايصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال : يا عجبا ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلابد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك ياهذا ـ يخاطب ذلك القائل ـ تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

---

١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء • بجوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

فقلبه الاستعمار فانقتل عن القوم ، قال الحاكي : ثم لم يمض الا سنوات قليلة فاذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزنيت واقفا في ذلك المكان بعينه فظهر مصداق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصي تلميذه الحاج الحسن الكلولي رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، وبيده البندقية وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلا كله ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه: ان قلبي ليتمزق على هذا القطر ، فانني اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد اجلت بصيرتي في هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولامن الناس فلامال ولارجال ولاايمان وانما انا وحدي الذي افلض الله على هذا العيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم ـ كما قال الحاكي ـ

حضرت يوما في نزهة من اخلاط الناس في عرصة البياز في باب دكالة وكانت محلا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشي ، فجرى ذكر ايام الاحتلال الاول وصار الحاضرون يخوضون في علم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا معذورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولاكيف يعرك عركاته متى امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعض اهل الحومة الى النزهة ، فقال : اننا في تلك الجهة من حاحة الى سوس لم نوخذ على غرة ، فقد كان الشيخ سيدي الحاج علي الالغي ينادي فينا صباح مساء انذارا واستنهاضا لندافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التي يسيح اليها مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الانادى فيه بالتهيىء التام من جميع الناس للجهاد فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اي انسان قادرا ، ثم قال وقدشهدت الشيخ يوما عند قائدنا في تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاجيين وعلماؤهم في حضرة القائد فقام في الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبث الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له : ان جل هذا الواجب يقع على عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد : اننا ياسيدنا ـ معشر القواد ـ نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكنا اليوم يميل الى مسالمة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ عــلى النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين،وان نراعي خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعي من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهاك ياشيخنا يدى على ان اكون اول من يموت فى سبيل الله متــى كان الجهاد قائما قال الحاكي : فاعرض الشيخ عماجاذبه فيه القائد ، فقال : «اما انا وكل من يتبعني من الفقراء فقد هيأنا انفسنا للموت في سبيل الله ، لوفتح لنا الميدان، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم فى مخالفة السلطان ايضا مصلحة» ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال : انني اوقن ان الشيخ لـو تيسر لهانيحضر فى ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكي : اتعرف احدا من ابناءشيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمني اليهفلماكناعرفه قبل، ولاعرفنى فاحفى فى السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ ه حين كنت لاازال تلمـيذا مغمـورا فـى الجامع اليوسفى •

ارايت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف الذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصابحهم نحــو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذيــن لايتقون الا ولا ذمةفى اهل الخيراتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزءا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد لهمكانة اخرى اعظم منمكانته التى كانتله ، حتىان الشيخ اقبل يوما فى الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شيء ، فقالمنهم قائل : هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادي بالجهادفهل تقدرون ان لاتقوموا له اذامربكم ، لتروه باعراضكم انكملاتبالون بمولابما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكلاجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو منتلك الجماعة لمارايت ذلك تبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله •

كانالشيخ عام١٣٢٧ ه فى السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولاى حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى ادرك الذى يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكي لمثل الفقيه سيدى على بن عبد الله ماراى وقدقال لغيره : ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا فى المقاومة لان عندالعدو منالسلاح ومن «الاتالهجوم والدفاع والمحادثات ماليس عــنـد المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لاناياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذنالله واللهمعالصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال في مجالاته الخاصة والعلمةحول هذه المقاومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند مايخوض فى كل شيء مؤثر ، ولكنه فى هذا الموضوع يغلب على حاله، لعمق الفكرة فى نفسه بقمرة الايمان ، فلايحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكي لى من لااتهمه ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزنيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكى : فوقفت ازاء باب الضريح فاذا بى اسمع نشيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ثانيا ـ وكان ممن لايستحيى كثيرا من الشيخ ـ قال : فسالته عن سبب بكائه الكثير فقال : هجم على ان رايت تزنيت هذه مفعوعمة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسي حتى كان ماكان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها مااستولى ، حتى لا مطمع فيها لطامع منى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له : «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال : اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه فى هذا الوقت ؟ قال : ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد :

ان دام هذا ولم تحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ : لماذا لاتقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فانا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له : ان تصدر امثالى فى ذلك الما يجر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لايتصدرها الا الامام الاعظم، وامامنا اليوم هو مولاى حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاى عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاساف سكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يامر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماءالعينين قدامه ان يترك هو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج ما أمر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فاننا لابد ان نذهب نحن والفقراء وهم ءالاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لايستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه ــ خصوصا ان كان ذاشهرة ــ فانه لابد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لاتؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارىء الشيخ جائشا متلظيا متشوقا الى ان يكون فى صفوف المقاومة الاانه تتراءى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع مايغلب عليه احيانا فيفلت منه ــ على جهة الالمعية والفراسة ــ من ان الاحتلال واقع ولابد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه فى الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ فى هذه الناحية كثيرا واودعتها فى جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة فتافيلالت

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكاتبون الشيخ ويسالونه فى المقاومة فى الحدود التى كانت بينهم وبين الجزائر ، وقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التى يكتبها اليهم :

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع مافيها من المسائل وها نحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرءة عدوالله ورسوله على بلادكم وحريمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم فى بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا فى باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله فى سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم :«الجنة تحت ظلال السيوف» وقال : كلكم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين فى هذه الجهة تنحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادى نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم فى بلادهم ، فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ولاتقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا : «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون فى الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض فى سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له انلايكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلايخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره ، والله لايهدى القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوب الجهاد بل اكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هوموجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشىء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راى عدو الله ورسوله اجترأ على الاسلام ثم لايجاهد فيه باموالِه ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) ولم يكن شيء يؤكد الله عزوجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذي قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتهون الجهاد في قديم الزمان ، فهاهو اليوم في بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم فلاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قمتم بالحق الذي وجب عليكم في الشرع من الغارات عليه والاغزية وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشيئا، وما هو الا ابن ءادم مثلكم ، يضره مايضركم كما قال الله عز وجل (ولاتهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) ولاتقولوا ان تركنا تتركه ، فلايجوز لكم ذلك في الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلابد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولاتقولوا هانحن معه في الهدنة فلو انكم قمتم في هذه السنين التي كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولاتقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل ما كنتم تعاملونه في الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم في الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم في جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة • ولاتجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تشمروا عن ساق الجد • واجمعوا رايكم في اهل الخير • وتجاهدون في سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا في اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولاحرمنا الله من ذلك الاجر بجاه النبي وءاله والبخاري ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله في الجهاد لاغير ، وان احتجتم الينا في شيء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذي صار الى رحمته سيدي الحاج الحسن الذي عرفتموه وحامل الكتاب الذي هو خليفتي في كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذي خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو في قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، في عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى مناما حكاه لي الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح ، فاملى أذني ، فقد قال : «ان الشيخ اخبرني مشافهة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في اورير فقال له : انني اراك كثير الاهتمام بأمر النصارى ، فاجبته : نعم ياسيدي ، فقال «ان هذا الذي وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت في مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمري اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلاحرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، ومالك من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها :

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد أمرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدي النصارى وظلمهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ولايمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلابد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى انقدرتم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلاشك ولاخلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلابد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن»

ومن رسالة أخرى :

«.... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلايصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولي (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولاملجا ولامهرب من الله الا اليه فقد ظهر تعدي النصارى ولم يبق الا قوله تعالى : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رأيتها من الاستنهاض وتنبيه الناس لما يهددهم ، صار يبث في اصحابه -كما رايت- ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه ، فان الجهاد المنظم المجدي لايفيد مادام ملك العصر فاترا ازاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

١) الله اكبر ، اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا الولي الذي على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد .

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فاما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختلى بنفسه على التجهد ليلا بالقرءان ، وهذا مما واظب عليه طوال حياته ، لايتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك ـ كماقال ملازموه كسيدى سعيد التنانى وسيدى احمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وءاخرون ـ خمسة من القرءان بلهالنوافل المعتادة كالضحى وماقبل الظهر والعصر ومابعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه اللهوابه فى كل ذلك واماالصيام فانه اقتدى فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم الا انه فى السياحات لايصوم النوافل غالبا الافى الامكنة التى لايحتاج فيها الى مخالطة الناس لاتبليغهم ماأوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة ممايتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا ، لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت فى الشيخ الم بكثير من من هذه النواحى ، وان لم تستوف ذلك ، وقديمر بنا فى هذه الترجمة وفى تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التى يدعو بها كثيرا فقدحدثنى بها كثير من اصحابه، كهذا الدعاء : «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا تصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لانكون الابك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى تتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المالوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

---

١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره . فادركت ان ذلك هو خرق العادة التى كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفورلهم، ومن المرحومين.

الى غير هذه ، ولم نسقها الالنرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولايلتفت الى غير الله في الازمات فما يستغيث بالاشياخ ولاهويقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمات ، وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل مايمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء ٠ كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رأيت منها ما رايت في الذى تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فما كان منها مرسلا كالتي يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن أصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعته الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذى جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوى» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التناني وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعي ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتي ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلاكلفة ولاتزويق كلام ، ومن اقواله ماضمنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ ـ مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل مايتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقاني والرهوني يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ ـ (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهي جزء صغير .

٣ ـ (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ ـ (المبدئ المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمنه الاخطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ماكتبه في الشيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ ـ (كتاب في الطب) ذكر لي ولم اره .

٦ ـ (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتها فى مبيضتها فخرجتها وحررت قوافيها فجاءت فى نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضهافيما تقدم .

هذه هى «اثار الشيخ فى التاليف ، فرطت منه وانلم يكن متصدرا لمثل ذلك .

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها ـ كمارأيت فيما تقدم ـ فى الجولان بين قرى سوس الى الحوز الى اسفي ، فالسويرة لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمي عن محاولاته من قضت عليه الغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابى السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد الرسموكي فى بوعنفير ، والفقيه سيدى العربى فى الساعدات وسيدى الحنفى فى مزوضة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كمامر بتزكين من قبيلة كدميوة حيث زاويته ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثم فى مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة ـ وكانت له فى ذلك نية حسنة ـ القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت فى هذه القبيلة على يد سيدى ابراهيم البصير الركائبى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ماللعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراكش حتى بنيت زاويته فى الرميلة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يد اصحابه الذين منهم سيدى الحاج محمد البوطيبى الهشتوكي ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميلة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ فى هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ماوقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد فى الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك فى البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

مايخافه الناس من النصارى المحتلين فاظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لوكان فى الناس ايمان قوى ، وامرمنتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لايزالون الى الآن صغارا او لايزالون فى اصلاب اباءهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض مايتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات فى اداكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالى كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك فى قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمربنا ونحن نقرأ القرءان فى قرية ايفريان ، فبتنا معه فى حمى الصوابى بماسة ، ولاازال استحضر ان الحزب فى العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدرحيث اجتمع فقراء كل أزاغار وفى رئاستهم سيدى محمد بن مسعود وذلك فى مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثانى فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال : (هنا ابتدأناها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الغ ، فدخلنا فى اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بماعنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمن السوق معزيادة حفنة حفنة فوق كل صاع، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ،لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لابيعا قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم : «دعوا رجاء اولادكم ليمتد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة فى مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقدكان كتب وصيته فى اول مرضه فارسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفى صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هازداد المرض وعند صلاة العصر فاضت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفى الليل تولى غسله الفقيه سيدى على بن عبدالله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفى الصباح اجتمع كل الجيران فصلى الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار فى مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتسلسك الغيرة الدينية الغريبة العجيبة، ولكل مبتدأمنتهى (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)

مراثي الشيخ والتعزيات فيه

قلت لاخي احمد يوما : لماذا لا ارى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف اقلام الادباء بمايستحقه منعاه منعويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال : لااخال الاانالسبب في ذلك هو كونه لميذر وراءهعقبا يراعي ويفهم عن الادباء مايقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في منتداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبنات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هي تحية لاوجه الاحياء لااثار لمايخلفه الموتى والغائب غائب دائما . وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ماقاله وهي قولة لهاحظ منالنظر والا فاين مايستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التي شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت منزهرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسيها «ان الرداءعلى العملاق عملاق» هذا مع اننا نجدمنبنات السن الادباء السوسيين عشرات في مؤالف هي من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، اوبمزلة الشسع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلى بعض قصائدوالاعلى رسائل مختلفة النسج في التعزية ، وغالبها لايستحق جرةقلم ، وهاانذا ساجتهد لالتقطمنتلك الرسائل ماينبغي ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها اوبعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشي :

اخواننا في الله الفقراء المتجردين والمتسببين في زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكمورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التناني وسيدى احمدالركني وسيدى محمدبنمسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

اما بعدفقدوصل نعي الشيخ رضيالله عنه فبلغفينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهالينا ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ،ولكن نبكي على مثل تلك الهمة التي يربي بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرينمن مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرارا واستنهاضا الى الله ، ولكن لميكن منهم مثلهذا الشيخ الذى رزئتبه الطريقة فلاحول ولاقوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ،فالله يزيده مقاما على مقام في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم في الله الضعيف محمدبن عبد السلامالورزازى لطف الله به، كتبه في ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى محمد التادلى ثم الرباطي ثم الجديدي وهو من اصحاب الشيخ: «حياالله تلك الوجوه النيرة منكم ياإخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج علي بن احمد الالغى السوسي ، وانبت الله نباتا حسنامن خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم ياسيدى سعيد التنانى اننا سمعنا بالخبر الصحيح في وفاة الشيخ رضي الله عنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفي الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لايلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافسح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها في هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصةسواء محياهم ومماتهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا في المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لايتكلم فيه مثلى الا معك ياسيدي سعيد لان صدور الاحرار قبورالاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها   وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدى احمد بن الخياط وللمدرس النفاعة ، سيدى احمد بن الجيلانى ، فتاسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن ياإخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدى سعيد ان تهذبه وان تسلك به الطريقة في مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من محبكم الفقيرمحمد بن علي التادلى عفا الله عنه .

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى الزبير البعمرانى من رسالة :

« . . . ونعزيكم في الفقيد شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجفون دما وماكان الا فريدا في حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدى العامة فياصلاح ذات بينها ، والخاصة في تربيتها على الطريقة التي تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى . . . »

ومن ذلك ماكتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاويةإزاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لاتجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسي ، رضي الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فالله الله الله في الاجتماع على الله ، والعض بالنواجذ على هذه الطريقة التي من يذوق من اسرارها لايجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزى

انفسنا ونعزي كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذي بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لايكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا انني لمازرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ماكان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لايضيع واحد منها في غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايته استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه في همة الصوفي الذي يعرف ماطلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ اخر حتى سلمت له زمامي ، وجعلته في الطريقة امامي ولكن الزوجة لايكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلاتنسونا كما لاننساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرا لبعد المقرين ونوصيكم على الطريقة فالمحافظة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ، ويظهر انها لم تصل الى الغ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدي سعيد التناني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدي علي بن عبدالله الى ابي فارس الادوزي

«الفقيه الدراكة الذي مابيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذي كل مايهمه في جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدي عبد العزيز الادوزي ، وعليكم السلام ورحمة الله، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقضيت في الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا في حزن عظيم ، واسي لايكيف مقعد مقيم ، حتى انني اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد مافقدت ازائي من لااجد له في النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقد صرت غريبا في بلدتي واهله بعدما صار سيدي الحاج علي الى مالابد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرني مفردا لاانيس ولامشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت في جوار كما يقول التهامي في رثاء ولده :

جاورت اعدائي وجاور ربه   شتان بين جواره وجواري

فما امر الحياة التي لااخوان فيها ولامعينين ، ولاجيران فيها مخلصين محتسبين فالله يرحمه ، ويجعل لنافي امثالكم البركة في السكون والحركة ، والسلام

وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته :

«لعمرك ما المصيبة فقد مال   ولاشاة تموت ولابعير

ولكن المصيبة موت حر | يموت لموته خلق كثير»

وأما المراثي فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدي علي بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هبنا ملكنا المال عفوا ما الذي | يجديك غير تحسر وتلهف ؟
او قد جمعت جموع كسرى ماالذي | من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
او قد حييت حياة نوح في غنى | ايوب هل تنجو به او تفتدي ؟
او سالمتك صروف دهرك حقبة | لابد تصبح في مقيم مقعد
تبا لدهر لايراعي برهة | ذمما ولا الا لاهل السؤدد
وتراه يسفل بالكرام ويعتلي | بلئام هذا الجيل فوق الفرقد
ويهم بالتنقيص والتشتيت في | اخوان صدق همة لم تخمد
لايخدعنك اذا استلان فانه | ما زال يقصده بنيل مقصد
ما راعني والدهر حبلي مقرب | لابد من وضع بيومك او غد
والشمل مجتمع بمن احببته | والسعد يسعدني لعيش ارغد
الا النعي بموت شيخ ان تقل | مات الكمال به فغير مفند
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا | في عصره للدين خير مجدد
ماشئت من علم ومن عمل ومن | ادب يزيد وهمة لم تعهد
وديانة تنسى اذا عاينتها | غير الاله ورفعة لم تجحد
ونصيحة قد زانها اخلاصها | وصداقة في غيره لم تشهد
لمناقب يعيي المفوه عدها | وترد كثرتها لسان المقصد
آه على تلك المحاسن انها | طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدي الطاهر بن محمد الافراني :

امن حادث بكر الم فاجزعا | جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من | غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
مربي مريدي الرشد بالسيرة التي | حوت كل آداب السياسة اجمعا
محط رحال القصد مطمح همة الـ | ـمريدين مرعى للفضائل امرعا
زلال صفا ذوقا وبدر تضاءلت | له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ابي الحسن البر ابن احمد من غذا | ه ثدي العلا والعلم طفلا وارضعا
وجد الى ان بذ كل منازع | بهمة طماح العزائم اروعا
فنال منالا دونه النسر وانتهى | الى رتبة تناى منالا ومطمعا
فقام يشيد الدين دهرا مجددا | لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
طمت لجج العرفان من بحر صدره | وفتت مسك العلم ثم تضوعا
الى ان انارت من سناه جوانب الـ | ـبلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا والزهر ناضرا — اصاب به ريب المنون فلجما
فهيض جناح المجد والفضل نجمه — واصبح عرنين المكارم اجدعـــا
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر — السيادة لما ان قضى فتقشعا
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى — سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ومن ذا يرجى سائح متجرد — ليهديه او من يجير المروعا ؟
واى طـبـيـب للقلوب يلـدها — بدهن الرجا والخوف طرا لينجعا؟
مضى يجتنى تمر الرضا متبوءا — من الخلد في اعلى الفراديس مربعا
وخلف وجدا لايريم ووحشة — تكاد لها شم الذرى ان تزعزعـــا
فقل للذى يبغى العلا متطلبا — لشيخ مرب بـعـده متطلعـا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان — تسير مغذا بالمفارق ضلعا ؟
«فليست عشيات الحمى برواجع — اليك ولكن خل عينيك تدمعا»
على قبره سحب التحية والرضا — من الله ماغنى الحمام ورجعا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ — ـامام فقد اسدى وارضى وامتعا
ففى مجده — والحمد لله — غنية — لمن سار يرتاد الكمال فاوضعا
نلوذ من الدهر المخيف بظله — وناوى له ان صال خطب وروعا
فلازالت العلياء تخدم بـابـه — وبارك فيه الله ركنا ممنعا

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر :

قالوا قضى العلم الامام السيد — عين المعارف والعلوم الامجـد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـــ — ــحسن ابن احمد من غذاه السؤدد
فعفت ربوع المكرمات وقد زهـت — بسناه ازمانا تـؤم وتقصد
وتعطلت درج المنابر واكتست — ثوب المذلة بعد عز يشهد
قالوا ارثه باللذ علمت وانه — يفنى الكلام وفضله لاينـفـد
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا — شمس الضحى تعشى الذى قد يجحد؟
ماذا يفيد لمجده قولى وقـد — بلغت به اقصى البلاد الوخد ؟
واذا اختفت عنك الفضائل فاسألن — عنـه الليالى اذ بها يتهجـد
وأسأل مساجـده التى قـد طالمـا — شهدت مـواقفه اذا ما يـعـبـد
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما — ارض يقيم بها الصلاة العبد
لايجحد الفضل المبين سوى الـذى — طمست بصيرته وذاك المبـعـد
واحسرة الـديـن الحنيف لفقـــده — واحسرة الضليل من يسترشد
رحم المهيمن روحه وانا لـه — رضوانه فـى النعـم تـتـجدد
بالمصطفى صلى عليه الله مــا — غنى على ملد الغصون مغرد

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:

قد انقضى الخير وحاد الكمال — واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما ... كان متينا عرضة للزوال
واعلن الدين الشتات بما ... اصابه من ضر داء عضال
قلت احتسب يادين لا احد ... يشكيك من داء الضنى واعتلال
لما قضى الشيخ على بن احـ ... ـمد امام الوقت اكرم خال
اودى فؤاد بعده صبره ... فؤاد من رأى كمال الجمال
قالوا وما اودى به قلت ما ... اودى به غير عيون الكمال
ياليته يبقى ونعطى به ... ماعز من نفس وولد ومال
وقل لو امكن فى حقه ... وانما (ليت) دليل الخيال
لانه الموت فلا يرتشى ... كالحكم العدل الرفيع المثال
ما الموت الا الدين مهما اتى ... ميعاده يقضى بدون مطال
اولا فمثل تاجر يشترى ... نفائس الدر ورطب اللئال
لذا يحوم عن بحور التقى ... ياخذ منها من خيار الرجال
الدهر قدما هكذا دأبه ... تشتيت اخوان الصفا واغتيال
لم يغن عن كسرى ولا قيصر ... معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا الخورنق لنعمانه ... ولا اخو الحضر نجا باحتفال
ولا حمى الابيض اربابه ... ريب المنون بعد طول احتلال
ولا نجا منادما ابرش ... معه بحسن عشرة واحتيال
سعى الى ان نال فى المجد ما ... يناله عن ارث أصل وءال
والبدر ان تمت منازله ... لابد من سراره وانتقال
قلت وقد عاينته علما ... يرفع من فوق رقاب الرجال
وازدحم الناس على نعشه ... حتى تقطعت شسوع النعال
العين لا يرقا لها دمعها ... اما الشهيق فهو باد وعال
لاتعنقوا السير فقالوا اتئد ... فانه يوم تسير الجبال
فيا له مشهود يوم بما ... حوى من الكرب وعظم النكال
يا هائل الترب عليه فان ... تدفنه لم تدفن حسان الخلال
اقام فى القبر وءاثاره ... سيارة تتلى بكل مجال
وكيف لا وهو امام الورى ... وهو المهذب الغياث الثمال
مقصد اهل الله يهديهم ... معالم الذكر الوريف الظلال
واكرم الناس ولكنه ... يبدا عفاة بابه بالنوال
مجدد دين الهدى بعد ما ... يكاد تعفوه عوادى اختلال
قد اوتى المنشور وهو التقى ... وهو الذى حاز سنى الخصال
وعلمه بحر زلال غدا ... يقذف بالدر لاهل السؤال
وحكمه ينسيك هرمس مع ... بقراط فى غابر عصر وخال
اما اصطباره فنحو اول الـ ... ـعزم من الرسل بفرط المثال
ما شئت من حزم وعزم ومن ... رصانة العقل وصدق المقال

وهمة النفس فيما واجهست ينقاد في الحين بكل انفعال
وفي فراسة يفطن كان راى والمعية لا تخال
ومن رئاسة حباه بها في الدين والدنيا اله الجلال
وفي سياسة يقال لمن يأملها املت نيل المحال
ومن شمائل حكى لطفها ورد الرياض اطرتها شمال
ان قام في الناس بوعظ ترى محاجر الناس جرت بانهمال
او باغت المجلس اطرق من به جميعا هيبة واختجال
لغير هذا من صفات لوى عن عدها العي لسان المقال
من ذا يحل بعده مشكلا او يدفع الحادث حتى يزال ؟
او يورد البحث على وجهه يطلب فيه النص دون احتمال
مضى ولا يمضي بنا ذكره حتى توارينا بطون الرمال
صب عليه الله في قبره سحائب الرحمة صب العزال
صبرا جميلا يابني احمد لحادث اذال وخز النبال
فرزؤكم عم جميع الورى بالحزن من وهادها والتلال
وفي ابنه محمد غنية وهمة ترقى به للمعال
هما لأفلاك العلا توأم اطلع ذا ، وذاك خاو يمال
يسعى لادراك العلا سعيه حتى ينال في العلا ما ينال
وبارك اللهم فيه وفي اخوته الشم الذرى والمثال
واغفر لعبد الله من بعده فالحمد لله على كل حال
أرخ وفاته بذي حجة قد انقضى الخير وحاد الكمال

وقال الفقيه سيدي موسى بن الطيب السليماني صهر الشيخ وابن اخته واحد مريديه :

مضى الاخيار وانقضت الدهور وتم الخير واتصل الشرور
مضى الصهر الوفي اخو المعالي وخالي شيخنا الليث الهصور
فوا أسفا على قطب المزايا رحى الخيرات حوليه تدور
ووا أسفا على وجه تقضى يسر به غني والفقير
ووا أسفا على وعظ اذا ما يسجره تذوب به الصخور
ووا أسفا لكل الناس طرا سواء منجد وفتى مغير
ووا أسفا لهذا القطر غابت به شمس على الجوزا تنير
مصاب عم مقطعه وهادا وسهلا والجبال كذا البحور
مضى من كان فينا خير وال اذا ما جاءنا امر عسير
وخير وسيلة في كل خير اتيناه يحق لنا البرور
مضى من هو في الاحداث طود رسوخ في الشدائد والصبور
فان شئت العلوم تراه يبدي مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطي عطاء قدره جم غزير
او العزم اعترف بوضوح عجز عن افعال يقوم بها القدير
وليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جد في نيل المعالي الى ان حل ساحته النذير
رثيتك عن مجامر في فؤادي يذك بها اذا اتقدت سعير
فيا بدر التمام ويا مناطا لكل فتى الى العليا يطير
اتت سكرات موتك لاتفدى بمال لا ولا يغني السمير
يحق لجفننا ابدا دموع تمازجها الكآبة والزفير
فيا تربا حوى اشلاء شيخ اتدري ما حوت منك القبور ؟
رأيناه عيانا ذا وضوح تلالأ منه وجه مستنير
وبعض من مريديه رآه فقام له على قرب يسير
فصبرا يابني شيخي جميلا لوقع لم يكن منه مجير
فبارك فيكم ربي كثيرا وفي الاخوان ما شيد القصور
فيا شيخي نزلت جنان عدن على جنبيك ولدان وحور
فلا يحصي رثاءك ذو قريض وان يرث الفرزدق أو جرير
سقى الرحمان قبرك مزن رحمي تلث عليه ما طابت زهور
ولاقتك الملائك باحتفال وجاورك الافاضل والصدور
عليك سلام ربك كل حين ووقت ما ترنمت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدي احمد بن محمد اليزيدي :

الدين يجزع والصدور توجع والعين تدمع والقلوب تصدع
وتلهب النيران بين جوانحي ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
الدمع قد خد الخدود وفتها مثل الاصابع فت فيها اليرمع
أين الذين مضوا عنوا لملمة نزلت فصاروا كل حي بلقع ؟
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ ـبازي الاشهب والغراب الابقع
لم انس حين وقفت في ربع فما اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الذي ملك الدنية كلها حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ان المصائب جمة لكنه ما مثل رزء على بن احمد مفجع
اودى فاودى العلم وانجاب الندى ان السهام لدى المنية شرع
لم تثنها عنه المعارف والعوا رف والجحافل والبناء الارفع
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر يم ابن الكريم الالمعي الاطوع
ضاقت بموتك الفجاج عن الورى كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا جم غفير خلف نعشك شيعوا
نفديك هل نفس تفدى مثلها ان المنية بالفدا لاتقنع

من للشهامة والصرامة بعدكم ... ما فيهما للغير بعدك مطمع
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ ... ـمجد الاصيل ثلاثة لاتربع
للشمس غور والمنير افولـه ... وبقيت فردا في دهورك تلمع

* * *

ماالبحر عندك في الندا ماالليث بعـ ... ـدك في الشجاعة ماالشجاع الاقرع؟
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ ... ـبحر المحيط وما تغيض الادمع
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد ... ولكل شخص بعد شخص مصرع
ان الذي ملأ القلوب جلالـه ... وهدى الانام لـه مقام ارفع
عجبا لبدر كان منزله الثرى ... ولبحر اعظم في الركية يجمع
قسما بحب الاريحي محمد ... لله على قلب الاحبة موقـع
وله بشم قد مضوا كالجشتـمـي ... والـيـفرنـي اسوة تستـتـبـع
فسقت سحائب رحمة ديماس مـن ... يهدي ويهدي بالمواعظ يقرع
صلى الاله على النبي محمـد ... ما الورق في اغصان ايك تسجع
وعليهـم ابـدا لـدى محبة ... ما الدين يجزع والصدور توجع

يعني الشاعر بمحمد الاريحي كبير اولاد الشيخ الاذاك ، وبالجشتيمي ابـا العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرني الحاج الحسين اليفرني دفين تزنيت مات الجشتيمي عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرني عام ١٣٢٨ هـ

وقال ايضا :

قد استوى الله على عـرشه ... والله غـالـب على أمـره
والملك والبقاء والـجبـرو ... ت والـعـلا لله لا غـيـره
يا ايها الباكي على فقد من ... علا على الشموس في قدره
ابه فقد اودى المنون بمـن ... كان امام الناس فـي عصره
ابك او اعول ذاكـرا وعظه ... وجدد الحـزن لـدى ذكـره
وقل لذي وعظ وذي ادب ... الـوعظ والآداب فـي قبـره
والوعظ والمجد الاصيل كـذا ... الذكـر الجميل غرن في غوره
هدى الجهول واستقاد العمي ... من بعد ما غرق في بحـره
(ليس عـلى الله بمسـتـنـكر ... ان يجمع الاسرار في سره)
الدهر قد نذر ان يغدر الـ ... ـكرام بر الدهر في نذره
فالرزء كـل الرزء موت ابي ... حسن السامي عـلى غيـره
لكنه هـون ذاك بقـا ... ء الشيخ مجد الدين في مصره
مجـدد المـلـة شيـخ الشيو ... خ من غدا كالبدر في دهره
محيي الهدى مهدي الندى والجدى ... مردي العدا الشهير في قطره
لازال ملحوظا بعيـن الرضا ... ممتعا بالسؤل فـي عمـره
والموت فـرض يحتسي كاسه ... نظير ذاك الشيخ في قصره

فالشيخ هون بترحاله مصائب الدهر ان لشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيخ :

اخواننا فى الله وللاخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة آداب وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بالله الشيخ الاكبر سيدى الحاج على الالغى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ،ولا الرزء بهو النائر الذى عندكم ، بل انموت الشيخ موت ركن عظيم من اركان الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بمايجب ان يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فماكان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية ويسددها فكم معوج قوم ، ومتاخر قدم ، وغافل ايقظ من وسن وسادر غض مماله من رسن فعزاؤنا فيه واحد ، والله على مانقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليمانى بعد نثر ونص الجميع :

اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين المرحوم الذى رزىء به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الالغى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق فى الليلة المدلهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة فعليكم يااولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالغية ، من المريدين الزكى سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، وهنيت البحار المحيطة بالغيض وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من مصاب ذلك العزائم ونتف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جل هاضت الاعضاد ، وانست الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمرية وعزيمته الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابياتا تكلفتها فى رثائه وان كنت لاادرك كما اهوى رثاءه :

قضى امام الدين من لايرى   له نظير فى جميع الورى
ما كان فى افاقنا هذه   الا كمثل البدر ان ابدرا

كم مقلة اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرا
وكم سفيه رده سيدا فذا متى هذبه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالفية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان وعائشة وصفية وءامنة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختاروالحبيب واباالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال اولاده في كتاب (الترياق المداوى) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

١ ـ «المأمول المبغى فى مناقب الشيخ سيدى الحاج علي السوسى الالغي» للفقيه سيدى محمد التادلي

٢ ـ «الفتح الموهوب فىمناقبالشيخ المحبوب»للفقيه سيدى الطاهرالسماهرى

٣ ـ «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود

٤ ـ «السر الجلي فى مناقب الشيخ سيدى الحاج علي» لسيدى بريك بن عمر المجاطي

٥ ـ «حياة الشيخ سيدى الحاج علي» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه

٦ ـ «من افواه الرجال»جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت ءاخذه عن اصحاب الشيخ فى كل مايتعلق به • كما اضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبارا الشيخ فيه عشرةاجزاء واتمنى لوامكن لى أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من غيرها على ناحية

٧ ـ «الترياق المداوى فى احوال الشيخ سيدى الحاج علي الدرقاوى» لبيت فيه رغبة من طلبه مني ، وهو فى جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالغى

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤-٦ هـ =

نسبه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه علامة ، كان علامة حقا ، ولا كل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمنة ويسرة ، حتى صار من يريد ان يضع الاشياء فى مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقيها يستحيى ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه القى أيضا ذلك الوصف بغير تبصر وأنه ممن يخبط خبط عشواء كثير من غيره ولكن بالآثار تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم فى التثقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله وءاثاره ، قبل ان تستهويك بنيات الالسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذى خلف صنوه الاستاذ المتقدم محمد بن عبدالله فى تسيير دفة الدراسة فى المدرسة الالغية ، فكان خير خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم فى درسه من كان شدا فى درس اخيه وسار على خطته فى رفع شأن العلم واهله ، وفى تمكين اسسه فى الغ ، وفى ترشيح اهله الى ان يكونوا بهقادة معاصريهم، وفى تلقى كل من وفد للورود فى مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالواردين والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ماقبله ، فكان الغ لم ترزأ بذلك الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاريحى الذى وصل بالادب الالغى الى هذه الغاية التى يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا فى التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التى تدرس بها خير قيام

من حين ان تولى المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اذابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وفتاوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع ، فقامت به فى الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت باحاديثها الاندية :

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق   وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى باخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كماذكرنا ثم التحق بعداخذه للقرءان بالمدرسة التانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ علىصنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو ـفالحقه صنوه باستاذ مسجد تاباحنيفت ـ من قرى تانكرت ، وهو سيدى "محمد بن على الناغنوتى ، وبه وحده تخرج فى القرءان حتى اتقن حفظه ، ثم التحق بمدرسة سيدى حمو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الماسى القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

فى دراسة العلم

تهيأ للاستاذ صنوه ان يؤسس فى اول يوم ، فى مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولا ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن على الاعضيائى الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه باولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال فى المقايضة وكادت تكونقاضية عليه لولا ان لاحظتهعين السعادة ، فاتصل به الشيخالوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرةالاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس فىمثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاه فى المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار فى العلم من النهمين :

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة   من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل فى التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده فى ذلك ، حتى انهفى بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى على بوضاض الاخصاصى ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثملميفته درس من دروس صنوه ، ولامن دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان فى المدرسة الالغية عام ١٣٠١ ﻫ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفى صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالدالى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ماخلفه عليه الاستاذ المرحوم فى المدرسة الالغية ، فغادره الى ماخلق لاجله ، كما رايت ذلك فى ترجمته ٠

فى الاستعداد لقيادة المدرسة

فى المدرسة الالغية حين توفى مؤسسها ، نبغاء اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بلاشك تدربوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فتعين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر فى مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه فى طول حياته ، فلاشك انه راى فى بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدركه قبل ان يبرز فى الميدان ، وينقض عليه،واشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب،فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه فى المدرسة من جديد ، فاكب بمعاونته فى مخض الوطاب ، وسبر القلبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغب فى كل مساء الى منتصف الليل ، فى استفتاح المغلقات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ ﻫ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه فى المدرسة بل يبذهم بذا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة ٠

وقد حكى لى انه كان فى هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فى ايدى العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان رعيتهم فكيف ان جعلتهم بانفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة : اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما

هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمدادفت والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

أستاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولاافسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التى يمكن للمسابق ان يبذ بها صاحبه عند الحضر فى المضمار ٠

راينا الاستاذ على بن عبد الله ، ومااثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن فى المعلومات التى يدرسها ، وفى العلوم المختلفة التى يلقنها فى المدرسة منذ

لصدر ، فرأينا ماطلبنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة •

كثيرا مايوازن طلبة المدرسة الالغية في اسمارهم بين ماينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه في قلوبهم ، كأنه نقش على حجر وبين مايتلقونه عن غيره ممن يستنيبهم الاستاذ في المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم قبل ان ينفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف مايتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه •

قال بعض الفتية الالغيين : لدرس واحد آخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة آخذها عن فلان ، سمعت ذلك باذني ، وهذا الفتى من البق النشء الالغيين •

وقال آخر ممن كان ربض بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ آخر ، في مدرسة اخرى وهو من مشاهر المدرسين في اول نصف هذا القرن انني اللوم عن ذلك الاستاذ وكانني بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اشهد من نفسي انني استحضر كل ما اخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد ستة وكانني اخذته عنه الساعة او كماقال ، وما السبب في ذلك الا ماذكرناه •

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته في الدروس وارخاءه العنان للمباحثين سواء عرف بادئ بدء ان سهام المباحث طائشة حتى يفهم مباحثه غلطه بالتي هي احسن ، أمر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا اوجالسه في محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضي كدرس من مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء في الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، أوفي اى مكان آخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة في المدرسة الالغية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابي القاسم التاجارمونتي ثم صار يلقي بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سياتى

قولة الشيخ الوالد فيه

اسمع ماقال الوالد في هذا الاستاذ في شعبان عام ١٣٠٥ هـ في رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع في لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع:

وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السميدع النبيه
يطوى الطريق معنا في السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فذاع فضله
علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخلم صمصام
لم تلهه الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدى على

يولي القضاء من حضرة السلطان

فى عام ١٣٠٣ ﻫ عاد السلطان مولاى الحسن الى سوس ، فعاد العلماء ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب الترجمة اقتداء باخيه الذى له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صحبه ركابه باذنه الى وادى نول ، ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغنى الاساكى البعقيلي من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه والناس كلهم ينتظرون نكاية بالشريف الحسين الايليغي الذى يتخلف عن حضرة السلطان ، وكان الابلاغنى من اعدائه الالداء فيتقرب بذلك فقال للسلطان حين قدم اليه الاستاذ : ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد على بن عبد الله الالغى السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر فى الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يردد الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا من تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه من القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه فى السر والنجوى الهمه الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، فى ٢٢ شعبان الابرك عام ١٣٠٣ﻫ»

وفوقه الطابع الكبير فى وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه ، وفى دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور

ثم جدد هذا الظهير بظهير اخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلولى

«النواحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني :

«يعلم من هذا الخطاب المحكم العزى السامي الذرى ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته ، اقررنا الفقيه السيد علي بن عبد الله السوسي على تولية خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر في ذلك فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن في ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذي ضرب اليه اكباد الابل من شد لالتقاط درره ازره ، وبأن لايخرج في الحكم عما جرى به العمل ، والراجح والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبأن يسوي بين الخصمين وان يسمع من كليهما سماعا مستوي الطرفين وبان يردد الفصل بين ذوي الارحام ، وان يدعو الى الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر في كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتاخذه في الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم في الظاهر والحشا ، فان للخطة ربا يحميها وللخليقة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من الزلل ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ ه

وفوقه الطابع الكبير في وسطه : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه وفي دائرته : ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا :

«خديمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلول والقائد سعيد المجاطي ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضي مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طي كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ ه وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»

والظهير الثاني الذي ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسني في تحرير المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره في ترجمة الجد

في رياسة إخوانه المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على مالابد له منه من مشارفة امور اسرته في الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لاكبوة معها ، اذا جالت المباحث في ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه احيانا ليراقب اسرته التي يفرط ماشاء الله في شئونها ، فقد يغادرها بين يدي بني حام ، الذين كانوا في زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان يرتكب الحزم الذي هو شنشنة راسخة في اهالينا في كل ما يزاولون — كما

قاله الوالد في احدى مقالاته يوما ـ وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك　　　　فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملأ الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ ه الى عام ١٣١٥ ه ثم فاجا في تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من في جنوب سوس في مقيم مقعد ، فاذذاك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا القاسم التاجارمونتي ، لئلا يقف دولاب المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك في ترجمته ، فندب الاستاذ الى أن يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولي تحريرهم ايضا ، اتباعا لما في الظهائر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطي والقائد مباركا البنيراني اللذين يجاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمغارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولي الاستاذ مع الوالد في تزنيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بهما في القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار :

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدي علي بن عبد الله بن صالح الالغي ، اذناله في قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره،وصرفها في مصالح زاويته،اعانة على البروالتقوى وعليه ان لاينسانا في صالح دعواته في خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذي الحجة عام ١٣١٥ ه» وتحته طابع القائد سعيدالكيلولي

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغطات قائدي مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البنيراني ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولي هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها :

محبنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوي ، وخادم مولانا القائد مبارك البنيراني ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوله ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهي امور المرابطيـن اولاد سيدي عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لاتقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا اكدناكما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضدهالايمن ، وهو القتيل فـي بعقيلة ،

ومنهـا :

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطي ، وبعدفلا تتعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء شيء،واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام، ٦ من جمادى الاولى عام١٣١٦هـ وتحته طابع القائد سعيد الكيلولي

ومنهـا :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البنيراني ، السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرنـاك بالتخلي عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل ذلك فلاتلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي»

ومنهـا :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطي السلاموالرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبـعـد فقد نهيتك عـــن التعرض للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاويته بـمـا يؤذيهم ، فلم تمتثل عياذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذالك عندى عظيم عجيب ، وعليه فلاتعد لمثل ذالك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن) فانهممنخدام الزاوية،ولايبلغنا عنك مايسوءنا ولاتكلفهم بشيء قل اوجل والسلام: كتبه اليك بـ ٢٢ ذى القعدة ١٣١٦ هـ وتحته طابع القائد سعيد

ومنهـا :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطي سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فماامرناه للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالغي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكماتعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لاخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحته طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه، ولسنا من المتكلفين اللابسي ثوبى زور ، الذين يتعالون الى ما لايثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء مايلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البنيراني الضاربين اللذين لاير اقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفزع الى القائد سعيد كلما نلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يأمره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذى يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره :

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنوني الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى اخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولي الحاج المهدى المنابهي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابهي مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هوالحامل للمنابهي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولي لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد انفلوس ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اظلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول مـا لاقاه بسط يده على المرابطين السعيديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلاته عنايـة الله فلينم في آجام الاسود ، ملء عينيه فالمخاوف كلهن أمان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقى في روع القائد محمد انفلوس ما القى : فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ماكان على ماكان ، وان لاينتهك من الحرمات التى كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ،فقال لهم ان هذا يستحق التاديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا، فقال له الوالد، ان استحققت من الله تاديبا لشيء اجرمته ، فهو الذى يتولانى بنفسه ، ولاتتولانى انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفتل من مـوضعه رافع الراس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذى لايبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولاراى وجهه الى ان مات شر ميتة ، مع انه كثيرا ماينتظر رجوعه حيـن لامه الذين يعرفون من الشيخ مالايعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه اخر الدهر تقبل

وينشد ماقاله بعض الالغيين :

اذا انسد باب من امر فان لى من ابواب ربى الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربى وجهتى انل كل ما ابغي واظفر وانجح
أاعرف باب الله ثم يخيب لى رجاء وراجى الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده في بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التى لاينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولاءاباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطي كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لايحوم حوله ، ثم لايحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لايذره وذلك بما امكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ ، ويهدده اشد تهديد من بعيد ، ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التى ادخلها فى ايام الكيلـولى

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاخصائه : لااخاف والله الا سيدى الحاج علي ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي في الفقيه ،وان لايرجع الىداره انجاء الىهذه الدار ، حتى اذا أراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمي وافتر فيما أنويه، وقال مرة أخرى : عجبا من الشيخ فاني لااكاد على رغم انفي اتخطى مقاصده، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزما اكيدا على انينفذ ارادته في الاستاذ ، قال القائد ألعربي الفرضودى الرأسلوادى الاولوزى ، فركبنا معه في مائةفارس ، وهو في حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لايرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا تعجبنا حينصدرنا بخفى حنين صبيحة اليوم الثاني .

جلس الاستاذ في دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل رداءه المذهب في جو الغ الصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة والبهجات في المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا بعاديعدو الى الجالسين فقال لهم : انخيلاكثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفتل الوالد والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاحيين وغيرهم ، فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لايهجس في قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفد خير ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام في دار الاستاذ ، وفي دارالوالد ولكن الاضياف فاجاهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التي صمدوا اليها ، فقد طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك في محاربة مع الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم في (دراووغ) في نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا في تلك الليلة امام باب ثويه والقائد سعيد واصحابه في داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس الاضياف يمد اليهم مايحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذايكون مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلاني —وعبر بعبارة لاتكتب— فلماذا لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ : فقلت له في نفسي : واللهلاتريته ايهاالجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

في منبثق الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن (دراووغ) وهم يطيرون باجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا .

كأن فجاج الارض وهي بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

---

(١) البدراريون : الجهدرون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام ،

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاكر القائد مباركا البنيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له : اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لاتفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك ماارده عما يريده بادىء بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين ءامنوا ، ومن اجترح ذنبا أومس حمى فلابد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيا نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزنيت في ١٤ محرم عام ١٣٣١ ه كما طاف بتازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذي خلف صنوه في مركز تيزنيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقي كل قائد من اخوانه مالاقي فانجحر القائد سعيد المجاطي في تاكجكالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ ه فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رأى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبا معا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاكجكالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ماانقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لاكلام ولاما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق مايفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد مايجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكي لي القضية : فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لاودعه : هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما اردّه عن ان يمس الفقيه ،واذ مسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاكجكالت هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ ه فكان ذلك ءاخر عهده بداره ، وءاخر خيط انقطع بينه وبين ايالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمنتهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطارح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ماكان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذى لايضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «أليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغي

اريد منك ايها القارىء ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرته في حياتك وان تتذكر ان هناك ءالات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ماتلاحظه ان لم تشاهد قط معملا ءالات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التى ربما لاتتجه في دورانها الى وجهةواحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا وءاخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى علي بن عبد الله الذى افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذى افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيون النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين،لانهمالايكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواصلا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تاخى الجيران مشهدا ومغيبا ؟ :

وليس اخي من ودني بلسانه ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له ان اعوزته النوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحدوينظران معانظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذى يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقاة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وادبه العالي ،وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليها كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هوغاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذى له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه لمارأى ان تصوفه هو ، وماطوق بهمن الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذى يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التى

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لمتصوف ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة
كل من انس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويزود
ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الا اعانة فقط ، ثم لا
يتداخل فى ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هو رب المدرسة الذى ورثها عن صنوه
وانه هو العلامة الذى لايجارى فى ذلك الميدان ، وكذلك لايسأل عن مسألة فقهية
خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولاتته قبيلة المرابطين
بشيء من عند جميعهم الا أمرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة فى
ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف
الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لايعودون الى مثلها ، وكان
رحمه الله يرى للاستاذ مكانة علية ومهارة يقتدر بها على الادارة فى مختلف الامور
فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تطلب منه المرابطون
ان يرأسهم فى أيام الحاحيين فقال كلا ثم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من
الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لايزالان كذلك مجتمعين فى الحضر والسفر
مالم يشتغل الوالد بمريديه فى زاويته ، اومالم يسح اليهم فى اسفاره ، وفيما
سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيفهما واحد
ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كانهما
فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالت اوفى طريقهما
الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، اوتعرضت
له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه قرافقه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما
عند كل الناس معروفا مشهورا .

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه آل أمتضى ان يقف لهم على عين حتى
تخرج – وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التيبيوتى
المتقدم – وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولايحب ان يشتهر به
ولاان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لايرد من يتطلبه منه الا بحيلة كما فعل
بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا أمتضى ، فقال لمن
هناك : لابد ان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ماتسقى العين نهارا
لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع مانبنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه
وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بانه ذو
حرص شديد فى ذلك ، فتراءى لآل أمتضى الجشع العظيم من العالمين الالفيين
فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما
يتبسمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر
بها احد ثم لم يعد آل أمتضى الى الغ بعد ذلك اليوم ولاذكرا بعد قضيتهما .

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره
الوالد فقال : ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

آل والى الحاج ابراهيم الايغشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفصل له عن ذلك شيء اخر اقول : ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايغشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايغشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيبات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ، ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشئونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائم الى ذات بينهم منفذا ، فقام بهم من العلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو أمور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى :

هذا جزاء امرىء اقرانه درجوا ‏ ‏ ‏ ‏ من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا مايذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لايجد فيه معينا ، اورأى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول : مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عند مصلى العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغ فارادوا أن ينتهبوا أملاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى : فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كماكان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خيرقيام بماكان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الامايتمصصون ولايشتكون اليوم الامن فقدانهم ماكانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لاأزال اتقلب فى كساه التى كسانيها الى الآن وقد انصرمت سنوات كثيرة قال الزكرى : ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا اخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أبمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين اوغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تآخيا حياة ومماتا رحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التآخى .

ولبعض الالفيين :

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قدهيل فوقكا
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤثل حقكا

بين قضاة تزنيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثورات ، فجاء الاحتلال الداهم بزعازعه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتموج به جوانب المغرب فبويع الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدي رؤساء القبائل الجنوبية وفقهائها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة المنتشرة ممن لابد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك ثلة من العلماء بتزنيت ، قضاة تحت رئاسة سيدي المحفوظ الادوزي رحمه الله فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شفوف ورهبة وجولات اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات نثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة والى أخيه النعمة فتمشي في فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتى لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك في شئونهم العامة فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون عليه ، فبقي هناك الاستاذ شهرين : شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بماعرف عنه رحمه الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين .

وقد وقعت له هناك بتزنيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذه امينا ، يودع عنده ماياتي به الله من قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعة من سيدنا الفقير الصوفي فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذي يضع فيه السكر ، فاراه مسيل الماء الذي يكف به السقف وقال : ان السكر ذاب كله من وكفات السقوف بالمطر ، ولاأدري اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم يستقص في السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما تداوله المقراج والبراد في حضرة سيدنا الفقير الفاني في حضرة ربه :

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعني لوتعي
او قال قد وقعت فصدق انها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضي سيدي محمد أعمو -قاضي تيزنيت اليوم- يباسط هذا

الفقر ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك السكر انما ذاب بين حرف الكاس ورشفاته ، ام انالقدر هو الذى امل انالذى ياتي بنفط المداد منالبراع بين الاوراق ، فمن انيذهب مشروبا بين حبيبات السبحة وبين كاس دهاق .

بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب الترجمة مع الحاج ابراهيم الايغشانى ، وقد مرا فى رجوعهما بتزنيت بعدما جلاعنها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان انجلاؤه الرهبة الاضحى من عام ١٣٣٠ ﻫ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان واهتهامراة من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها فى قضية فى تلك الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه ثم حفزها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم فى تلكالقضية فلم ينالوه، ثمانفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا بهفوضعوا البرغوث الآن فى اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشيء من الاستاذ فحين علم من أينمثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقدقال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه الالغيين دائما : لوعلمت انفى تيزنيتمثلهذه القضية لمامررنا بها ولكن كان امراللهقدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من أمثال هؤلاء الفقهاء انهم انما يريدون انينالوا منوراثهمضغة حيناعوزهم ان يشقوا له غبارا فى ميدان القضاء ، لايمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقذاة تسقط فىعرض عبابه :

افتقذى عرض البحار قذاة   ان رمتها فى جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثمالى تيمكر ثم حط رحله اخيرا بكردوس ، وفى كل هذه الامكنة لايغب المترجم زيارته ، ثم دارت بينهذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التى ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مايس المنابهى والقائد ابن دحان والباشا الحاج التهامى الكلاوى والقائد الكنتافى وغيرهم من ضباط فرنسا وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا فى الاستحواذ على القلوب فى كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى لايتكلم فى المجمع العام للقبائل -كماحكى لى الاخ احمد- سواه، وسوى القائد المدنى فهماالعضدانللشيخ احمد الهيبة،ولسانهالذىهو يبلغبهالهيبة ماشاءلهذه القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة والبم صنوه مربيه ربه مقامهتمادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهـو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ الشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبليـة والجنوبية على مناصرة الهيبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرياسة وكاد يكون وحده قطبا لايتخطى فى المهمات امره ، وقد اتـخـذه القائد المدنـى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى تلميذه يسانده ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضراهما فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود تماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ ﻫ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الـجنـرالى ـ كمـا اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن ـ ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفـق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فـى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة توثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الااسداء النصح لاخوانه لاغير ، ولايقصد اى شيء آخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيرا مايجعله تكاة ، يسرفى كل مايفعله من ذلك الحسو فى الارتغاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفـاء فـيمـتص دماءهم ، حتى لايذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهر منه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سريرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعد الناس عن منتجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون ،

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لايابه بماينال في ذلك وكان له في مواجهة الشيخ احمد الهيبة وخلفه مربيه ربه ـ وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل ـ كلمات مأثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكـانـا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لايريد بنصيحته الا الخـيـر حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهـما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمز عرض الانسان ورجولته ، ويـحـكـم بـان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بأن المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الانادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمنة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العاروالشنار اللذين لاتبقى معهما مروءة،ولايحفظ بهما عرض الاّن.المحراويين كثال الشيخ ماء العينين يألفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلة حتى ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبة الملوكي بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الارائك التي تسنمها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقي السيد ادريس منو انه فاوضه في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قـد استقصى اسماء الشريفات الابكار الموجودات اذ ذاك في دور القصبة من بنات الشرفاء العلويين ، استقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاوضهم في مثل هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريدها من هذه الآنسات العلويات ،فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واختلق انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانماتأخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارع والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال وايـن هـذا كله ؟ فقلت لـه فـي تامصلوحت ، فقال : اونساؤهم هناك ؟ فقلت له : ان الخبر عن ذلك دون الخبر فهكذا استطعت ان افلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول : تامل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كـــل جانب وهــو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى مــا يملأفراغ وقته ، كأن الايام ساعدته في كل شيء اوكأنه نال كل متمناه ولاينقصه الاماهو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ماكانوا يبالوا وهم في مثل هذا الطور بذوات القناع (وان بتن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني الخنذيذ الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفي الانسان ان يجن مرة واحدة في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغواني في قصره وقـد استلأم واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه في موقف الوداع ، وكأنها تقول له لمن تذرني وراءك ؟ فساعدها من فـي القصر مـــن الجواري على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولـى وهو ينشد ماقاله كثير :

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تـر النهي رده بكت فبكى مما شجاها قطينها

فمثل هذه الهمة هي التي يريدها الاستاذ في الشيخ الهيبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلايستطيع ان يملك قبقبه ولا ذبذبـه ولا كبكبه (١) • ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذي تزوج بمائـة وست عشرة بالتوالي على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة • فرضي الله عن الشيخ وابنائه • وانما الحديث ذو شجون

---

١) تفسر الكلمات بالفم واللسان والبطن وءالة التناسل ، واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الاالاشراف عليها من بعيد ، ومشارفة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه فى حركة دائمة لايفتر فى الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحى لتمج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديارالوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى اوحكم مما حرره بقلمه ، واحدا اواثنين اواكثر ، وكل ذلك بعبارته الفصيحة التى استمد بهافقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلايدع القاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ ﻫ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لايخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لايغادرها ولكن الرزق قدانقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى على الاوفقيرى حينا ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضامن وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ ﻫ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ ﻫ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العواشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية لياخذا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدره فى المدرسة ، فاخذ عنه من فى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كماكان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض ، أو اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرقدوة للطلبة ، وقد اخبرنى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على أنه أرسله فى عواشر الى استاذ مدرسة افلا أوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا فى رمضان ، وأين نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لايستنكف ان يأخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعهده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلومه وبمدرسته الخاصة ، فلايكاد يسلم للاخرين مكانتهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فياخذ عنهم هو ايضا كما ياخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفى ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالغية مغمزا يأباه الله والشمم :

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم   من اللوم اوسدوا المكـان الذى سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالى فى مبدأ امره ثـم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت ياخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا فى مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلـك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبتـه ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لايوقد فى مطبخ الا اذا أوتى به من بعيد ، وشأن الحرث والحصاد فى الغ ادهى وامر ، والعبيد وهـم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ماوجدوا ، لايؤتمنـون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، افترى من كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تنتابه فيـنـات نوبات عصبيـة تقيمه وتقعده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لينا طيبا متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعيا لجبر الخواطر بالغا اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارخاء ولايجبه من يخالف رأيه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان مايرجع ، فربما يلاقى رحمه الله فـى امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكيك مايضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الااذا كان لايخرج عـن الاغضاء والقاء كل ماسمه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه   لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبلى الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لايكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه مايرى ، ممـا لايتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منـه بعض المرات ثورات ، لايقف امامها واقف ، وخصوصا حيـن يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة ، فلاازال اتذكر انني فى بعض الصبية الرابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هرول الينا ، وصوته الجهورى تصتك به ءاذاننا فرجعنا باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمي باحجار كنالها مستهدفين ، غير ان الله سلم فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نصب اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فـي قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطرق ءاذانهم قول القائل :

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم منفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لايلبث ان ينهال عليهم ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتـبـرىء الموائد البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده فيما بينه وبينه ويشجع كل من ءانس منه تقدما فى فن من الفنون التى يعتنى بهاالالغيون وخصوصا علوم الدين والادب وماليها ، فكل من رأى له فى ذلـك اثرا محدثا مقالة اورسالة اوقصيدة اوقطعة ، يعتنى به غاية الاعتناء ويجمـع عليها اهله سوماأهله الا علماءنجباء متفوقون- مع من وفدوا على حضرته فيلقى عليهم بنفسه ماأحدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجته العذبة فان كانت شعرا وهو الغالب فانه يكرر كل بيت على حدة ،ويترنم به فيستحسن بكل اعلان ماكان مستحسنا ، ويغض عما راى من الزلل مع التلويح الى مافى ذلك من غير تصريح،حتى لايحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتر همته والتشجيع دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا فى الرسائل والفتاوى وسواء صدر هـذا من تلاميذه الالغيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعتنى بكل ذلك وان صدر عـن اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانـت وايا كان اصحابها .

على انه وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من احدهم خروجا عن اللاحب او ءانس مايخل بالمروءة او يـهتـك سمعة المدرسة فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه فى المدرسة ، فاختلفت عليه الحبال حتى يكره الغ وماليها ، وتمنى لولم يعرف اليها من سبيل ولاورد بلا شوك ولاروضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لايمكن ان يتلى ازاءها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالغيين فى الموضوع:

اذا انت لم تكبح رفيـقـك مرة ... وقد اعتدى شاركته حيث لاتدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له ... خلائق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يـردها ... سوى كبحها بالجذب والنهروالقهر
ومن كان ذا حزم فلابد ان ترى ... له ضغطة حينا وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نغل لابد فيه من الصبر

فعلى هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالغيين ولااعلم الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير تربية الالغيين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عــنــد الاخلاقيــين الاسلاميين عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا اخر فرارا مــنــه على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل مايقتدى به ، وفى الحديــث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق منا نحن الالغيين هذا الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذه المثل الاعلى

وهبني قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطــبــع وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطىء ، اشتهر بهــا ، لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزبه امر واستحثه ان ينهى مفسدا مــن المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفتل عن ظهر بغلته ان صادفه الحال راكبا ، فيقف على رجليه ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم من يد احد بنى ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدها من لايعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسالة من المسائل وقعت فيها الابحاث المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكسل عن تردده الى مكتبته مرارا اليوالى الكتب التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولايكل ذلك الى احد وان اتفق ان ارسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لــيــنــظر كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

---

١) كنت حين لبثت لى تيبنجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التــى عددتها الاذاك ازيد من [illegible] (مواقف مخجلة)

هو التالي للكتاب ، او الملقي للقصيدة ثم لايشعر به وقد انتشب من حضر في مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة في طريقها ، فينسل من القبة الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالي فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة فيدخل من ذلك الباب فيمثل في المحفل وشيكا ، فيشارك في البحث الذي ترك المجلس منه في قبول ورد ، فيلقي رايه ويسلك طريق المراجعة في الكتب الحاضرة ويأتي من الكتب بما احتيج اليه ايضا كأنه خالي البال من كل شيء الا مافيه اولئك العلماء وكأنه ماقضى شغلا ءاخر خلسة وهم لايعلمون ثم يشاركهم فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقيها على المسامع واريحية الادب التي تنسى كل شيء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادي احيانا بعض من يوصيه بمايريد ، اويسأله عما يريد اويأمره بعلف البغال اوبايرادها الماء ، ثم لايقطع عنه ذلك تلك الموجات التي غمرته وغمرت كل من كانوا معه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا في النوازل حتى ان عادته المعهودة ــ وقلما يخرج عنها ــ انه لايبت في نازلة حتى يشاور ءاخرين ، وكان سيدي الحاج احمد بن محمد اليزيدي رحمه الله والاستاذ سيدي الطاهر الافراني اطال الله عمره والعلامة سيدي الحاج أحمد الجشتيمي والفقيه سيدي عبد العزيز الادوزي والفقيه سيدي محمد الجراري الاساكي المجاطي ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد في حضرته من العلماء الذين لاتخلو منهم ، فلابد ان يذاكرهم في كل نازلة يزاولها فتأتى له بذلك ان سار بقدم ءامنة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه من يردها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا مايرد نوازل غيره وينقضها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه في ذلك فتاو مراكشية للاستاذ الحاج العربي الرحماني ، وشيخنا مولاي احمد العلمي ، فمن دونهما نقضها نقضا تاما ونكث غزلها انكاثا وقد ذكرناها في (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة اهل هذه البلاد لايتجاوز في الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نراه ونرى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي رحمهما الله يميلان الى انه لازكاة في الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب في المراجعة ولايتوسعون في المراجع العليا ، ولايشاركون في الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لايطالبون بماليس في مستطاعهم ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا وفهما وتمييزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدي علي بن عبدالله رحمه الله الذي كان ثاني اثنين في الغ في عصر واحد فنال الغ بهما مابلغ ، ولله در بعض الالغيين اذ قال في مقام ايجاز :

اكلف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن لى بان احصى الرمال بعالج ومن لى بان احصى بعدى الكواكبا

آثار قلم الاستاذ من النثر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه «اثار قلمه ، ولاكل اديب علامة يفتش عن «اثاره في التثقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى نالت له وجهتان، وتيسرت له هجرتان فامكن للسانه الذى يدرس به ويلقى به مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجم الغفير من «اثار تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لايهدأ بين الدواة والقرطاس ان يفيض علينا بـ«اثار قيمة رائعة ان قيست ببيئتها زخرت بها الكنانيش والموصمت بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارىء ان نعرض امامك من «اثار قلمه اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من «اثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا ، ان قلم الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صناعا في القصائد الاخوانيات ، وفى الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فى الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهيبة ساله مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبين الكبيرين ، صاحب الترجمة والاستاذ الافرانى ، فاجابه الاستاذ اليزيدى :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالغى فى النثر ابرع ، ولايشق له فيه غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزع فى القوافى فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لاينكر نظره السديد فى الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولايحيدون عن سبيله فلنكن معهم فى ذلك ، وأن كان يتراءى لى وقد مرت تحت يدى من رسائل الاستاذ الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقته مبلغا ربما يقصرون دونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا اخاف اننى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا، فى عصر غير هذا العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض «اثارهم بحسب الامكان

نموذج من رسائله وبعض أشعار منه واليه

لشحوك ما اخفى من الشوق اوابدى فياليت شعرى كيف حالك من بعدى
غدونا كندمانى جذيمة حقبة فغيظت ليالينا فاصمين بالبعد

سلام ارق من نسمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كئوسها فى ابتسام ، وسناها يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لااسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يغنينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون الثانى من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفنى بقربك ماتحلولى به الحياة وترينى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة التى قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وحجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما اتاملها بين ايام اخرى فاتبينها فى اثنائها كثوب فى اثنائه علم ، فاين مثلها يوم المرجى الذى غاب عذاله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بذى سلم ولاعيب فيها غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا فى تكدشوق اطول من ظل القناة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهب عند اقبالها بريح رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا سوى ان اذالت كفه بعده البخلا
كشمس تضىء الكون لكنها متى تميل تديل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما واسمعهما مايروعهما واتمنى لو كنت كل عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه وظننى من جنسه ، فافاض على من حلاه والبسنى من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تتوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتنبي ، الذي اذا قال في معنى يزيد فيه توسعة ويربي :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدي على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقدعبرت عن جوهرك الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولاينبئك مثل خبير

ثم ان تلك المسائل التي راجعها سيدي فحررها غاية التحرير (لما يدل كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة نحرير) وقد تتبعتها فظهر لي في بعضها ايضا بحث آخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملا فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدني كتابك في شغل شاغل من الدرس ، وقد توزعت بمانحتاج اليه النفس ومتى اوعينا في المخازن الجبوب ، (ونفضت من همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدي عبد الرحمان وغيره ممن انتظموا معكم في الوفادة ، التي نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا اعادة ، وأما سيدي الحاج علي والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله وإياكم كل ضير ، والسلام

واقول : ان مابين القوسين ليس من الاصل وانما كتب في طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي ، بعدماكتب الوفقاوي اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لاتقابل بالردى   ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر   ولابات جفن العين منك مسهدا
ولازلت مسرور الفؤاد ممتعا   بكل الذي تهوى وجانبك الردى
ولازلت حصنا للافاضل سيدا   منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدي الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ، وتسمه بالخضوع والضراعة بين بني جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد المجهول المجترىء على نفسه المسئول ، علي بن عبد الله بن صالح الالغي ، وكيف اعبر عن حالة ضميرك مني بها اعرف بدلها الله الى ماأشهاه وابغي ، الى من لايزال في الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضي الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وصافي الاخوة ، سيدي الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ماعاينت أمره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لايضاع ، فهل رايتم احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافاناوقد تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصابيح الظلام وخدمة الانام ومعقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعي وقتهعلما وشعرا سيدي الطاهر بن محمد الافراني ، والمدرس الاتـقـى والاروع الارقى سيدي بلقاسم التاجارموتي ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولـــد الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا وءاخرا وطاب ، سيدي البشيريـن المدني ونير افق السيادة وحائز قصب السبق في ميدان المجد والاجادة ، من لايلحق له غبار ، في مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدي احمـد ابن الحاج محمد اليزيدي ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاجبالي مـن لايغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالي ، وقرأ الجميع كتابك وهم يديرون الكاس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته ، فكلهم به طاعم وكاس ، وفي ذلك الوقت انشا سيدي الطاهر بن محمد :

ياعجبا كيف يخشى النحسمسعود	وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له	وان تناولـه الآساد والسود
ياخير اخواننا في الله ياعلما	بهديه تهتدي الصيد ا لاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة	فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت	منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم	ما غمنا زمنا فيومها عـيـد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة	قد فاض فيها عليك الامن والجود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة	الى يديك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على	روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يابدر الكمال ويا	من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ماقاله لله دره ، ولافضفوه ، فقد ناب عنا جميعا في الذي اداه مما تكنهالضمائر فهكذا والله يكون في قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك علىوزن البيتين اللذين كتبت بهما في رسالتك الفذة ، التي قرأتها بلذة اية لذة

وواثق بالليالي الخادعات لـه	يغتر بالبيض لايخشى من السود
فقال سعدي يحميني فقـلـت لـه	هل يطلب النحس الاكل مسعود

وبعد فلاباس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايـمـان والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلـفـة وفيها مـن النقص والزيادة والتحريف مايسمى مسخا لانسخا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم اخر صدر من الاستاذ عبد العزيز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى في مثل هذه المشادات التي كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق في ميدان المناظرة كل حر ورقيق» :

علامة العلماء واللج الذى   لاينقضي ولكل لج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجماح في ميدان الافادات،وماجبل عليه من انشاء مامنشؤه المعاداة،المحفوظ بن عبدالرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا في صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال بيني وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فيك الاغاية الكمال والصفاء ، وزننته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فاني مانقضت مبرمك ولاعزمت فيه بشيء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقني ، ويلهمني الى مافيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم الحساب والعرض على انجميع مارقمته في كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم مقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا في هذا الآن اختلقته وافتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لواجيزلك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا في أمر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ،ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضي دائرة اطلاق ، ولاينبغي للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بماظهر له،وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لاتبقى قضية على فصل ابدا ، كمانص عليه القرافي في (فروقه) واما ماذكرت من مخالفتي فيما مضى وان الحامل لي على ذلك جاه المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وارضاه لكمال دينك ووفور علمك ، أن لاتتعرض لسخط الله وغضبه باسخاط من رباك وعلمك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو في القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولي،زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله في حق والدك واتهم رايك

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح اغلى مايباع ويوهب

قال تعالى : «ولكن لاتحبون الناصحين» اقول وحليي عطل،ونطقى خطل؛ مكره اخاك لابطل ، واما ماذكرت اخيرا فاني فيه تابع لك ولامثالك من كبار العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فاني مساعد عليه ولاملام والسلام غبار نعلك العبيد المجهول علي بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضله من أيدي الغفلات اسره ،امين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه في المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والادبيات

رسالة اخرى له الي وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفي حوالي ١٣٤٠هـ :

«ولدنا الذي نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له في احراز تراث والده يدان ، من هو المختار ، خار الله لي وله واختار عليك السلام من والد يحب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيذك ان تشتغل بما لانتيجة وراءه وان تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه،لم يفرط في العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده وممن جعل العلم النافع في الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة لبعابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابة ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتي لك احملها للفقيه سيدي موسى بن الطيب الذي توجه الى مراكش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك في شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالفيون امس بغير نظري اليها اليوم، والناس أذواق نصها :

اعاطي أكؤس السلوى نديمي وبي مابي من الوجد العظيم
وابدي في منادمتيه انـي بجنات وقلبي في جحيم
وادمج في الحديث انا سليم وما يدري مرادي بالسليم
واكثر عن نبي الله موسى لما لي معه في لفظ الكليم
واجري ذكر مكة في حديثي لما للقلب من معنى الحطيم
اريه ان قلبي في نعيم وقلبي بالصبابة في اليم
واخبره باني الخلو صدقا ولكن من سوى الوجد الصميم

واظهر انسي جلده ، وغمز   بجانب مقلة يعلو رسومي
اشاممه الدبور لكي الالى   تغافله فانعش بالنسيم
واجرى وصف بيض الهند لكن   مرادي لحظ سوداء الفهيم
احدثه وقصدي عين نجد   باخبار الفوارس من تميم
ويذكر ليث خفان لساني   وما يعني سوى ظبي الصريم
ويتحفه عن اخلاق لطاف   بالطف من نسيم في وسيم
فيحسبها لقيس وابن قيس (١)   واين النجم من مرقى النجوم
وكيف ولا تليق لغير فرد   عديم في المجادة للقسيم
خضم العلم يزيد نور هدى   يضيء بغيهب العصر البهيم
ابى الحسن العظيم اسما وقدرا   فزره تزر عظيما في عظيم
من اللائين ان جادوا يجودوا   بما يغني عن الغيث العميم
تفي ابدا بروق الوعد منهم   ويخلف كثرة برق الغيوم
وهم ما هم ذكاء في وقار   كمشبوب على الطود العظيم
فكم احيت قرائحهم علوما   عظاما وهي في عظم رميم
اذا اقلامهم وشت نظيما   تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
فيشهد والنواظر شاهدات   حلال السحر في ذاك النظيم
ويمرح سالم الاذواق فيه   ويبهج بين جنات النعيم
زكوا لما زكوا اصلا ، اينشا   قويم الظل الا من قويم ؟
اذا نعم الاديم كذاك ياتي   شراك قد من ذاك الاديم
وما يرضون الا باهتصار   اذا ما الغير يرضى بالشميم
علت بمقامهم رتب المعالي   وكم ربع تعالى بالمقيم
تغالي في حلى تلك السجايا   مغالاة العواطل في النظيم
سجايا بل رياض صافحتها   مبللة الزهور يد النسيم
فهن ارق من خجل تساري   بلحظ الصب في الوجه الوسيم
والطف من مسارقة العذارى   باطراف الحواجب غمز ريم

* * *

ابا حسن ومثلك من يوالي   على بعد المدى نصح الحميم
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،   الى وصاة لقمان الحكيم
وصاة لو مشيت على سناها   لكنت بها على قدم عظيم
وصاة كنت لو اني عليها   على متن الصراط المستقيم

١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم ، والنجم الاول ثبت معروف

٢) عبد الرحيم : القاضى الفاضل وزير صلاح الدين ، واليه تنسب الطريقة الفاضلية فى الادب

ولكن كيف – وا اسفا – ولمس، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف – واعجزاه – دبسـغ – وليس بنافع – حلم الاديم (١)
عل انى – ولم اقنط – لارجــو قريبا رحـمـة الله الـرحيم
ايعوز – لا ورب البيت – ما قـد اشا ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهوياخذ بالمدرسة الادائية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته،وبعد فلاباس ولله الحمد وبيد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشات لـلاخ الاديب سيدى محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١٥ بيتا يبنت له فيها عظم نعمة الله عليه ليشكرها ومطلعها :

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف اماثل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقدطلبت منه ان يكف عنكم معشر طلبة اداى ، وان لايبعث اليكم سريات القصائد ، علما منى بعجزكم عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولـة فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معى ايها القارىء ازاء هذه الرسالة ، لترى كيـف تبعـث الهمم ، ولتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لتنظر الى المقامات الحريرية بغير العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الدين ادركناهم فى الجامع اليوسفى ،فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب أمرا أمرا حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فـى المعيار للونشريسى على انها لاتقرأ فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معـك من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قـد توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد انفصل كل واحد منهم بمدرسة اوبشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فيئة بعد فيئة ، وهو ذلك الاديب الاريحى الذى نعلم منه انه اجتماعى لايطيب لـه

---

١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلمة ، وهى الدودة التى تفسد الجلد قال:
فانك والكتاب الى على كدابغة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقي دائما في كل ناحية ، فكيف يرتـاح لسكون في عزلة اوانفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذهالادباء قد تفرقـوا شذر مذر ، وءاخرهم الاديب البوزاكارني الذي ترك بمغادرته الغ مقامالادب خاليا وثغره شاغرا ففقدوعه الاستاذ بعدما كانزينة مجلسه في عقد حياتـه الاخيرة ، وفارس الادب الذي يقبل بالحلبة كماشاء ويدبر • وقداندفعأيضاهذا الاديب الى من لايعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هناوقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليـل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التي ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مايلاقيه ممن لايعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المضاهي في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدي وامامي ، الذي لااسري مسرى الا وانوار ارشاده محيطة بي من ورائي وأمامي

تزيلك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من البلاد
وما يممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتـي وزادي

من لااسميه مهابة واجلالا ، ولااحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا :

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لي بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التي لايعدوها السرور والنضرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك • وجليل خطابك • مؤكدا على وصول كتاب القائدساعةالقلوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدي محمد قبل ان يراني غير انه كما قيل :

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدي في مصابه، بسيدي عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به — كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم وليتـعـز سيدي عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزي به ، اذقال : «ليعز المومنين في مصائبهم المصيبة بي»

لكل اخي ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى في محمد

ولولاانى تركت الشعر لرك السقب لفرسه ، والرال لتريكته (١) لقلت فيهفانه لذلكاهل بيدانه لاطاقة لناليوم الابالترحم عليه ؛والاستغفارله؛ فالله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عزما فهو الغفور الرحيم

واما عبيدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛ التى كلها مذاكرات ومنافحات :

ياليت شعرى والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* * *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟

فهاانذا ملقى فى زاوية الاهمال ، غيرمنظور الى لابعين الاجلال ولابعين الاذلال، منتبذا عن الناس، سمير الهم والوسواس؛ فلاراتب ولاجارى، ولاأنيس ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا :

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان

فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لولم الفه ، لعجزى عن بره ، والله لقد صدق من قال : :

الذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر

فلقد طرقنى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقنى ، فلو مات احد من الحياء لمت الالم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، فالى الله والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى انى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ريالا قراضا ثمانه اشترى بها من الشعيرخمساوعشرين اوستاوعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى عنده معزولةفى بيت منذشهر قبل انتقالى ، ثم لماازمعت على الانتقال ، كان اخر امرى معهحين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهو لى والآن لما قضى الله عليه بماارادواحب من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى اوامربشىء ، اوعلموابذلك ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واياماكان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

---

١) السقب كفلس : ولدالناقة ساعةيولد • والفرس بالكسر : مايخرج مع الولد كالمخاط • والرال : ولدالنعام • والتريكة كالسفينة : البيضةان خرج منهاالفرخ

٢) بمكيال سوق الخميس الوفقاوية

المدني أعانه الله على ماهو بصدده ، وأمده بدائم مدده ؛ واراك سيدي في جميعهم مايسرك ، وأؤكد سيدي الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمـة فلامندوحة له عنها. فاكثر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغي ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفي الملأ • وعلى سيدي تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع • اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ
ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحيالي»

فاجابه الاستاذ :

أخي وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض، مؤديا في ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أومفترض ، مجددا من معالم الدين مااندرس، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال، فارالبال؛ فار البلبال؛ ذلك السيد السند؛ والصدر الاوحد؛ انيسي وجليسي، وهزبرخيسي، وكاف كيسي ، ورئيسي وخنديسي، من اذاغاب عن القالب فهو في القلب حاضر؛ لايخلفه فيه سواه مابين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل السبق في الكمالات على تؤدته ومهله، الشريف العفيف؛ والاحوذي السري المنيف، مولاي عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد :

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم النديـة والسجايا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسأل الله لناولكم التوفيق لمايرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى، آمين آمين ، انه على مايشاء قدير ؛ وبالاجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتـاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والراتع من هضاب الفصاحة في كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعزماهواه ، ووقفت عـلى تفصيله وجمله وماالم به من ألم راقمه بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن • وغيب عن الاهل والسكن ، واوقدنار الاشواق ، لمحبوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لماذكرت في كتابك انه لا مجانس ولا مجالس ، ولاجاري ولاراتب ولا ماوي، بقول من قال :

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدي لسهام دهره ، وعوالي مكره ، فان محاله لايبقى على حال؛ ومحاول اوحاله على غارب الارتحال :

الدهر لايبقى على حالة لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر

ورحم الله البحترى اذ يقول :

تنكر العيش حتى ان اكدره ياتي نظاما وياتي صفوه لمعا
وآنست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار ، وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال والللطف موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) مايستغربه كل حاضر وباد ، ولايرضى به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضده

والطبع املك ، قال حازم :

من يسمع الجفوة من خل ولم يغضب لها فانه كمن جفا

* * *

متى تسد معروفا الى غير أهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر

وقال حازم ايضا :

من صاحب الانسان في العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ماانمثل به فيما وقع من التباعد بيني وبينك ، واوجب على الرغم مني بينك ، قول حازم :

يازمنا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبييه وقد افرط حتى بلغ السيل الزبى
انايت يادهر المنى من بعدما ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل اني ان ابلغ الحظ الذى كم قلت في تامليه : ياهل اني؟

والسلام عليكم ورحمة الله

---

١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفي ترجمته تبيين ماوقع

وشعير القراض على ماعهدت • وما ظهر للغانه الملحة فيه فاخبر به ولدنا محمدا يفعله به بلاتراخ ، والخلق اذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ظهر الفساد في البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او اخوتكم او قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالغى»

نتف من قوافيه

واما شعره فهاك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما ككثبان يبرين ، فمن ذلك ماقابل به وفدا افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى البشير الناصري وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب :

لله يوم خميس جادلي بلقا ... من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت ... فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى ... من وشى برد التهانى كل ماخلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن ... قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده ... والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد ... فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت اقضيهم الحق الذى لهم ... وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه ... صنع البشير الذى بفضله سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الـــــه قد حباه من الاخلاق ما عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده ... ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها في رويها ، وبعضها على روى اخر على عادة الادباء الالغيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد قصيدة في امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيبهم الوافدون ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعرور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول تراه في يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمي عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ :

شنف باخبار من احيا اذا ذكروا ... مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربعهم وقل اذا سالوا ... عن عبدهم : هام فيمن قبله اسروا
فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا ... من لديهم ولا فداءهم ذكروا
كانهم مارعوا حق الوداد له ... وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فمفوا ... ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعللها ... بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

مهدتهم من لحاظ العصر قد قرموا ابواب عطف وباب الوصل قد نظروا
فمالهم لزموا بـاب اشتغالهم عني ومضمار شوقي وسطه حضروا
رعاهم الله قد راعوا ببينهم روعي وهم فيه انغابوا وان حضروا
قطرت دمعا بلا عين فكان دما وغبت عن هذه الاقطار مذ قطروا
جالدت جند الهوى جهدي وحاربني حرب البسوس ودارت بيننا عبر
كانوا مني القلب لكن زاده ولها بالسفر أن يمموا سوقا هي الظفر
لله دهر تقضى كـلـه غرر بوصلهم ووقوت كلها سحـر
ولو انما شاب ورد الوصل فيه ولا شاب صفاء الهدى من بيننا الكدر
مني عليهم، على متن الصبا، وعلى ذاك الزمان سلام طيب عطر

وقد اجابه الاستاذ سيدي الطاهر بقوله :

هذي نجوم الدجى ام هذه درر لابل قواف اجادت سبكها الفكر
هذبها طبع مولانا الامام كما هذب طبع نسيم الروضة السحر
الفلك كما افتر ثغر الزهر قلده جواهر القطر لما زارها المطر
في طيها كل معنى كاد يشربه بحسنه الواعيان السمع والبصر
لاسحر الاالذي ضمت لطافتهـــا او ما تضمن في عين المها الحور
ماكنت احسب قبل ان اشاهدها ان البطائق روض زهرها الفقر

وقال مرحبا بالاستاذ سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، وقد وفد عليه ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله وشفيت من الم الضنا بحلوله
اهلا بوفد قل من اكـرامـه ان صرت عبد مبشر بوصوله
اهلا بمن احيا القلوب قدومه فتبرجت بولائـه وفضولـه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه عن نور بدر الجو عند افوله
اهلا بمن خرق العوائد فضله وسما بفضل فعاله واصولـه
اهلا بشهم جل وقت نضاله عن ان يسام حسامه بفلوله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل لك في المحبة مخلصا كفصوله
ان الكمال جميعه لك مـنـة فالشعر يقصر عن بلوغ فصوله
والله رب العرش يمنح كل ما تـرجوه مـن اقبالـه وقبوله
ويثيبك السر العميم فتنثنـي احظى امرىء قد سر عند قفوله
بأجل خير الخلق صلى ربنا ابدا وسلم دون حصر حصوله

فأجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر :

شعر زرى بالعقـد حسن نظامـه وزها على الحسنا بحسن كلامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن قلب المتيم بعد ستر غمامه
ما الروض في ازهاره ما الدر في اصدافه ما البدر ليل تمامه

الى آخر القطعة ، وهي من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضي اقا اليوم تلميذه سيدي الهاشمي الفاسي :

ياواردا عمت الدنيا مفاخـره	وغم اعـداءه فـيهـا مئاثـره
وقاد مالم يزل في القلب مسكنه	انغاب عني فما غابت اواصره
اهلا بمقدمك الزاهي ومورداك الـ	ـــباهي ، وسهلا بوفد سر سائره
لله طلعتك الغرا وسيرتك الــ	ــسرا ودهر بك انجابت دياجره
قدمت في طلب العليا وانت لها	كفؤ وازكي فتى طوعا تصاهره
مهر الفضائل صبر انت باذله	والصدق من شرطها وانت ماهره
والحلم ان ضيم يوما انت ناصره	والعلم ان كان اجنى انت هاصره
سر هكذا فالعلا تدني مقادتها	لمن تدين لها منـه عناصره
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى	ان تستحيل امرأ غر مفاخره
منحتك الود منحا لا اعتصار له	والود في الله ما ترجى اواخره
مني عليك سلام زان ناضره	روض اشتياقي وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس وهو ممن يخاف الله فيما يحكي عنه ، وذلك في الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ:

ياقادما فضله في العلم والعمل	قد كان اسير من طيف ومن مثل
وسيدا عمت الدنيا صنائعـه	انغ فقربك اضحى غاية الامل
وواردا جد مذ ان كان شب الى	ان دب في حفظ شمل الدين من خلل
احييت بالوصل حيا قد نزلت به	نزول قطر بقطر سيم بالغلل
ان ساد قوم بجمع المال والخول	فانت سدت الورى بصالح العمل
لازلت ياخير طب ماهر فطن	تشفي برايك ما بالدين من علل
يانجل عبد العزيز ياامام هدى	لم يرض مذشب ان يرعى مع الهمل
هجرت مالوف اوطان دعتك الى	ما ليس يرضى به الرحمان من عمل
فقابلتك القلوب بالرضا وبما	يعليك من طيبات الذكر عن زحل
اصفيتك الود في الرحمان حين صفت	منك الخواطر من غش ومن دخل
عليك مني سلام الله ماطلعت	شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبني في بعض وفاداتي على الغ من الحمراء اعوام ١٣٤٢هـ

يحق على للميشر انـكـم	قدمتم من الاحسان افضل ما خلع
يعين ان عاينت شخصك لي المنى	وقلبي حاظ بالذي قبل قد ولع
طلعت طلوع البدر في حندس الدجا	الا فاعجبوا للبدر في الغرب قد طلع
نزلت نزول الغيث في وسط مجدب	فازهر روض العلم والفضل قد نبع
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى	وشاد له ركنا قضى الجهل ان خضع
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت	اوابدها ما ان يقال لها (هدع) (١)

---

١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال ، كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تلبيث في جمع الكمالات معرضا عن العرض الفاني وما هالك الهلع
فشمر وجد السير ان الذي ترىـ ـــده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك انت الوارث السر فاشكر الـ ــاله الذي يحميك من كل ماقذع
فلا زلت يامختار في كل مايزيـ ـــن قدرك مختارا جماع العلاجمع
عليــك سلام من قريب يحب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له :

ان لم تكن كــابــن مقلــة في الخط جد بابن مقلة
وخط فــي الـخــد خطا اخــدوده عــيــن عقــلــة
وارض بــخــطــة عجــز فما لها عنك نقــلــة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدي محمد بن مسعود المعدري بقوله :

تبدي فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
ابو حسن مأوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في علي
فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن علي
فلو اطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلي

فاجابه بقوله :

لله درك مــن امــام عــادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل
لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدي محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها :

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دهت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت انـاملها وهنا بــروضة ازهار
وخلقك هذا ام خلوق تعطرت باوراحه لبات صقع واقطــار
ونظم لئال فــي نحور خرائــــد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تفتق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
اذا احتست الاذواق كاس رحيقه سكرنا حلالا ما رزئنا باوزار
يقلد جيدي من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

---

١) يعني الامام محمد بن ادريس الشافعي

وانى ورب البيت لولا اعتقاده وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهاد وهادها وغنت بها الاطيار فى ملد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها جداولها كالايم (١) فى حين ادبار
وتصبح فى برد فشيب منمق وشته يد الوسمى وشيا بازهار
وينشق منها كلما هب ريحها شذى العنبر الشحرى فاح بمعطار
باحسن من شعر يعز على ان أرى رقمه فى غير صفحة افكارى
فاقسم بالفضل الذى حزت خصله وبالشرف العد المشيد بايثار
وبالادب الغض الذى كان بعض ما منحت وما اعطيت من رفع اقدار
وبالود منى قد منحت صميمه فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لقد فقت ياابن الاكرمين فما أرى لفضلك ندا عند نزع لاشعار
أسال اله العرش حفظ مقامك الـ ـسمى من الاسواء طرا وأغيار
بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ ـاله عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ أيضا فيماكتبه لطلبة مدرسته مع أجلة انصاريطلب ممن وفقه الله منهم أن يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع أساتذتهم فى بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده بظفره ، فلايستهجنن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناءالكلل وربيبوا الحمامات حتى غدوا كما قال الشاعر :

خطرات النسيم تجرح خديـه ولمس الحرير يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عادتهم ان يقوموا بكل ضروريات اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليمكن له ان يوالى لهم الدراسة وهذا ماكتب به الاستاذ :

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تفضى بالعملة
لازال فى صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صلى الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ماأتموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبابه وسط القبر
واعطاهم من فضله الغمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وجهى كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
آلاهكذا الايثار ، لاكالالى تغيـبوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذاك تقوم السوق والناس بين من يراج له والدالجين الى الخسر

١) الايم مخفف الايم بالتشديد : الافعى

ولو لم تحف بالمكاره جنة الـــ ـــخلود تساوى الذب فيها مع البر
عليكم سلام الله ياخير من سموا لتحصيل مايولى الهنا ساعة الحشر

وبعد فقد ءان لنا ان نكتفي من ءاثار قلم الاستاذ بهذه النماذج التي سقناها منها من كل ناحية ، فاتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذى يقبل كل شيء ، وهذا كله كما يراه القارئ لايخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد التوسع في كل ماقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله في (جوف الفرا) فاننا ماعدونا هنا ان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الروضة الاريضة ولكن لانحسب ان القارئ يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونساله تعالى ان ييسرنا لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارئ بين التراجم الامداح الكثيرة التي يخاطب بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله في اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا وقاضيا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايت ما يشهد لكل هذه الاطوار فكثرة اصحابه وثبات مركزه في الرئاسة ، وشفوفه في المكانة الاجتماعية ، وفتاويه واحكامه التى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المتاخمة لالغ المفصحة كل الافصاح عن مكانته في الافتاء والقضاء ، وهذه التموجات التي لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هي من ءاثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن طبق كما أن الترحم على الاستاذ الذى يعليه كل منصف عندما يذكر الكرم أو البخل في الغ ، تحمل الناس على أن يرددوا اسم الاستاذ ، وأن يجعلوه ءاخر الكرماء السعيديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية غاية الكفاية في مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب :

فعادوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

ولكن استاذيته التي وصفناه بها ، وكانت الأصل الاصيل الذى تفرعت عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا في ءاثارها التي لاتخفى في الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقد كربت اعناقهم ان تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا عللا بعد نهل حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ ءاب اليه قريبا حين ظهر له راى العين الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا في ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم في المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه‌اخذ عنه‌ونُدخل فيهم من كانوا أخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه أيضا ، ثم لانذكر الامن اشتهر منهم بعلم اوتدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته في الرئاسة اومركز آخر ، وأما من‌لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتنكب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر بالمدرسةالالغية في عهده وان كان اخذ في‌غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد ان فارقها لانه على كل‌حال ممن أخذوا عنه، وهذا هو شرطنا، وعلى‌الله التكلان

فلنتتبعهم بالقبائل ، فنبدأ بآل الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الايفشانيين والوفقاويين والتاكنزيين والتيفشيتيين بالمرابطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالايسيين ثم الامانوزيين والكرسيفيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيريين ، ثم الرسموكيين ثم السملاليين ثم البعقيليين وما اليهم كالتازروالتيين ثم المجاطيين ، ثم الافرانيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم الازاغاريين ثم التاغاجيجتيين ثم التامانارتيين ومن اليهم كالاموكاديريين والاقاويين ، ثم الساموكنيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سنرتب ايضا ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم :

١ ـ الاستاذ عبد الله بن محمد الالغي
٢ ـ صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغي
٣ ـ صنوهما احمد بن محمد
٤ ـ الاستاذ محمد بن علي
٥ ـ الاستاذ المدني بن علي
٦ ـ الاستاذ الطاهر بن علي
٧ ـ الاستاذ الحسن بن علي
٨ ـ سيدي صالح بن احمد
٩ ـ صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
١٠ ـ النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
١١ ـ النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
١٢ ـ النجيب سيدي احمد بن محمد التاهالي
١٣ ـ الشيخ محمد بن عبد التهالي
١٤ ـ السيد محمد بن الحاج بلقاسم
١٥ ـ العم سيدي ابراهيم بن احمد
١٦ ـ سيدي موسى بن الطيب
١٧ ـ صنوه المرحوم سيدي البشير

١٨ ـ الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
١٩ ـ الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
٢٠ ـ الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى
٢١ ـ سيدى على بن الحاج احمد التيفشيتى
٢٢ ـ سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
٢٣ ـ الاستاذ سيدى البشير صنوه
٢٤ ـ الاستاذ عبد الله بن مسعود التيبيوتى
٢٥ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٢٦ ـ الحاج مسعود الوفقاوى الاستاذ الكبير
٢٧ ـ النوازلى سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى
٢٨ ـ سيدى المحفوظ بن الهاشمى
٢٩ ـ سيدى أحمد بن بوهوش التاويبى الايغشانى
٣٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناى الايغشانى
٣١ ـ صنوه سيدى محمد بن الحسن
٣٢ ـ سيدى محمد بن مبارك التاويبى الايغشانى
٣٣ ـ سيدى الحسن اخوه
٣٤ ـ سيدى الحسين بن صالح التاكنزى

الايسيون

٣٥ ـ الاستاذ سيدى المكى اليزيدى
٣٦ ـ سيدى الطيب اليزيدى
٣٧ ـ الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
٣٨ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
٣٩ ـ الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
٤٠ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى
٤١ ـ سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
٣٢ ـ سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
٤٣ ـ سيدى محمد بن الحنفى الفيلالى الحضيكى
٤٤ ـ صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكى
٤٥ ـ سيدى الحسن بن البشير الحضيكى
٤٦ ـ سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسيفيون ومن اليهم

٤٧ ـ سيدى محمد بن بومليك

٤٨ ـ سيدى محمد ـ فتحا ـ بن عبد السلام الكرسيفى
٤٩ ـ سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

٥٠ ـ سيدى الحسين التانفصيلتى
٥١ ـ الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ ـ بلقاسم الانامرى التيملى
٥٣ ـ سيدى محمد بن بلا الانيلى
٥٤ ـ سيدى محمد المسناتى
٥٥ ـ سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ ـ سيدى احمد بن محمد الدويملالنى
٥٧ ـ الاديب سيدى محمد الكثيرى
٥٨ ـ صنوه احمد

الرسموكيون

٥٩ ـ العلامة على بن الطاهر
٦٠ ـ اخوه عبد الوهاب
٦١ ـ الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ ـ سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ ـ الاستاذ ابراهيم التازيلالتى

السملاليون

٦٤ ـ سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ ـ الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ ـ سيدى احمد بن محمد الورحمانى
٦٧ ـ الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ ـ الفقيه عبد الله الماكامانى
٦٩ ـ الحسن بن عبد الله
٧٠ ـ الفقيه سيدى محمد التيقيبى
٧١ ـ العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ ـ الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ ـ سيدى عبد الله بن محمد الورحمانى
٧٤ ـ سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعقيليون

٧٥ ـ الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمي
٧٦ ـ سيدى علي الباعقيل القاسمي
٧٧ ـ الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكماري
٧٨ ـ السيد الحاج الاحسن الباعقيلي ثم البيضاوي
٧٩ ـ احمد بن صالح الايغيرموسي
٨٠ ـ النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ ـ الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطي

المجاطيون

٨٢ ـ الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتي
٨٣ ـ الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريبي
٨٤ ـ سيدى جامع بن همو الازونيضي المجاطي الشهيد

الافرانيون

٨٥ ـ العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ ـ الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهير
٨٧ ـ صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ ـ الاستاذ احمد بن صالح من بني عدى
٨٩ ـ سيدى احمد بن صالح الشكوكي
٩٠ ـ الاديب سيدى الطاهر الناصري
٩١ ـ الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ ـ النجيب ابنه المهدى
٩٣ ـ سيدى محمد السلامي التاغونيتي
٩٤ ـ مولاى صالح التانكرتي
٩٥ ـ الفقيه سيدى الحسين التيمولائي
٩٦ ـ صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

٩٧ ـ الاديب الكبير مولاى عبد الرحمان البوزاكارني
٩٨ ـ الفقيه سيدى الحسين التاطاروستي
٩٩ ـ سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ ـ سيدى محمد السلامي القلم التاكانتي

١٠١ ـ صنوه سيدى على
١٠٢ ـ سيدى محمد بن على اوبالوش
١٠٣ ـ صنوه سيدى عمر
١٠٤ ـ محمد بن ابراهيم الماتوزى الاخصاصى
١٠٥ ـ سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
١٠٦ ـ الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

١٠٧ ـ القاضي سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
١٠٨ ـ سيدى الحسن اخوه
١٠٩ ـ سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوى
١١٠ ـ سيدى محمد بن الحسن الموساكناوى
١١١ ـ الاديب محمد بن الحسين بوكرع
١١٢ ـ سيدى محمد بويشوارين الساحلى
١١٣ ـ النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

١١٤ ـ سيدى محمد المرسي المعدرى
١١٥ ـ سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسي

التاغجيجتيون

١١٦ ـ سيدى ادريس بن الحسن
١١٧ ـ سيدى محمد بن مبارك الموش
١١٨ ـ سيدى ابراهيم بن محمد
١١٩ ـ صنوه سيدى احمد بن محمد
١٢٠ ـ القائد الحاج احمد اضارضور

التا مانارتيون

١٢١ ـ سيدى اليزيد الخلاسي
١٢٢ ـ الحاج عبد الله اليزيدى
١٢٣ ـ سيدى الطيب اوباحو
١٢٤ ـ سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
١٢٥ ـ سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
١٢٦ ـ سيدى سعيد بن على العنترى

١٢٧ ـ القاضي محمد الهاشمي الالاوي

السماوكنيون

١٢٨ ـ الاستاذ سيدي العربي السماوكني الشهير
١٢٩ ـ الفقيه محمد بن محمد بووازي
١٣٠ ـ سيدي الحسين بن احمد
١٣١ ـ سيدي محمد بن احمد الحافظ
١٣٢ ـ سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولابد ان يفلت من احصائنا هذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا في الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتخلنا النجباء من غيرهم على شرطنا الذي ذكرناه ، فبقي بعد الانتخال في ايدينا بعد ذلك من رايتهم امامك الآن ، ولاشك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا في ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمة، فكل من يقدر ان يكتب ما في ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ماكتبه غيره القوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ماجعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما في ضميره باللغة العربيـة كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التي اخذها وكانت له يد متمكنة في بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحـل العلماء الاجلة وهم في هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتمم مرادنا في ترجمة كل مقدار خطواته في الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن افلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذي يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه أمامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التي تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لاتدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن عـلى حـق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذقال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى ، قال أولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الحظوة العظيمة في علمه وفي رئاسته وفي قضائه في كل ماتمسه يده ، فكان في مقام يغبط فيه ، وفي منزلة تتطاطأدونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح في كل أرجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ واشادة للحق وهدا للباطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيرة تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الأساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط مايغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخي احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو عل الحقيقة من اراني عنه ماكنت اجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفيي من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التي قضيتها منذ غادرت الغ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمهما الله معا : ان الاستاذ هو اخر من يتقبل في الغ اي ضيف جاء ولايكاد يجيب بابه دون اي احد جاءه ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الـغ كـرم لاحقيقة ولامجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة عل الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لايعدون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، فلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالغيين التي حافظ فيها الابناء عل ماعوده الآباء لاتزال مسترسلة ـ كماترى ـ بعدمامضى زمن كادت فيه الغ تاتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجبلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الغ شرها فالتأمت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك القطيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولادها ؛ فبعد ان رزىء الاستاذ بفلذة كبده ؛ وبعد أن جوذبت الحبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبر اذنه ، فعاد الالغيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون عل سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذي لاتخلو داره من علماء يزيديين أو افرانيين أو صحراويين أو سملاليين أو اخصاصيين أو بعقيليين او تمليين أوصوابيين او تامانارتيين ، ولايكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا اخر ومن اريحيته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كمايربي عل ذلك تلاميذه ليتمرنوا عل الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافراني الذي يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدني الناصري وصنوه الاديب الطاهر بن المدني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافراني احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدي والفقيه الحاج أحمد بن محمد اليزيدي وأخيه عبد الرحمن والفقيه اوالشلح الايسي والنوازلي الحاج أحمد من ءال بريك الوفقاوي ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة ابوزيد البوزاكارني شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدي ، والاديب محمد بابه

الصحراوى ، فيتسابقون جميعا فى القصائد ثم تأتى حلبة اخرى من الالفيين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابنى الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغة المدنى ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيبيوتى وعبد الله بن ابراهيم الالفى وادباء المدرسة الالفية ، فتتلاطم امواج القريض فى دار الاستاذ وفى دار الايفشانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ ه فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولمكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التى تستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب

هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبته الى ءاخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لايخرج من شديد منها الا الى ماهو اشد ، فعزم عزما اكيدا ان ينزوى فى داره وأن يطلق هذه المجامع وكانه شاهد الصخرة قد تدحرجت من قنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدرفايقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ماكان خطر له يوما رحمه‌الله ، ولكن الاعاصير لم تذره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفةمن عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدات من بنى عمران فجرفت كل‌ماامامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقت الحملة ملاقت فى قبيلة أيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضاؤلا مخجلا كساكل من‌كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط‌الرامقين وقدظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان‌لاغيرة ولاايمان ، ولاقصد حسنا وان‌كل‌ذلك‌انما هو من اجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المغرضين كالقائد المدنى وامثاله ، ثم‌لم يرزءوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطاوهم كمازعمواقفال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزيمتى وعلى ان راجعت هذا الهرج من‌جديد فرجع من ذلك الزحف الذى كان‌بعد عام ١٣٤٣ ه ثم لم‌تلبث طلائع مسغبة ـ ١٣٤٥ه ١٣٤٦ ه ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القربة ، وقد نال الاستاذ منهابعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده ـ ومعلوم ماللمجد من نفقات باهظة ـ وقد خلت الاهراءونفدت الدخائر،واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ه بخروج املاك ايشت من‌يده وهى‌التى كانت تمده بتمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطرفى هذه المسغبة ان يشترى من الحبوب مثل الناس مايزيده الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم امثال الاستاذمن الالفيين

اخبرني الاخ احمد قال : حرث الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تخير المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يفد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثره فقال : ماذايلاقي الالفيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان نستهم لننظرمن هو المنحوس فينا ؟ ـقال ذلك تواضعا وهضما للنفسـ ثمقال : ولكن واحياءاه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ؟ فصارت عبراته تنتثر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة ـ وكان ذلكمنه يؤثر غاية التأثير ـ ثم صار يقول : ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلات تترى فما ارعوينا وزلزلتنا النذر ونحن في اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ : فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غايةالتأثير ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحما مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قال الاخ:كذلك كان الاستاذ اذااطلق وعظه كثيرا مايهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل انيتعظ به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لايقدر اىانسان اخر انيصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجالسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المساغب وتلك همته التي تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذى بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة المشهورة اذذاك اذيالها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثمحمل على الحاضرين فيسكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء في الملاعب ثمقال : ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهلهما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب؟ فمالنا أيها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف منأين أتينا ؟ فيالمصائب ويا للرزية ، فقدصبت علينا الكوارث من كل جانب ،بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا في الذنوب التي نسدد في غلوائها

غير مبالين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المنوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل الى لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد ان يجلس بين الناس تأثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير ان يدعو للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذي قلب ذائب وذي نفس متطايرة فبقي له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيفعم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدني اذذاك في المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الأستاذ سيدى الطاهر : فقال لي ابي يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: الا تزالون في موالاة الدروس ؟ اتركوا ماانتم فيه ، وافرغوا لي حتى تودعوني -هكذا بهذا اللفظ- يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جاش وهمته هي هي في كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثاني ، فزار ضيعته بتالات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدني للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شئون الاسرة ، والآخرون يواظبون على دراستهم ، قال : ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال : لاتطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت أنا واياهم فانا في عصر وفي ناس وأنتم في عصر اخر وفي ناس اخرين ، قال : ثم حثنا على المتابعة وان لانزيل الستر عن دارنا ، فقال : ان قدر الله ان تقسموا مابايديكم فلايطلعن احد على ماعندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافراني وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافراني والرئيس أحمد بن ابراهيم الايغشاني وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم في عشية الخميس ازداد مرضه وفي يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه مايجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ،فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضي المدرس الرئيس الكريم طيا لاانتشار له في هذا العالم وذلك في بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيىء لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافراني في نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب أبيه وأخيه الاستاذ سيدى محمد في وسط القبة التي تتداعى اركانها كأن تداعيها من هيبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتتسع لحضراتهم اركانها

مراثيها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزىء أهله وتلاميذه منه برزء وقع عليهم بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدي محمد بن علي : فمرت شهور ولم تظهر مرثية له كأن الغ الادبية غير الغ بل كأن الارض بدلت غير الارض اوكأن الوفاء الذي تدل عليه المراثي عاد بلقعايبابا ينعق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر الافراني بلبل الشعر الصداح ، وصدى الادب الذي لايكاد يفرغ من قصيدة ألفية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضي الاستاذ الوالد بلامرثية ؟ قال فاجابني بأن مايقال له في هذا الموضوع يقال لكل اديب ألفي ثم كانذلك سبباعلى أن القى الاستاذ الافراني هذه القصيدة الرائية الآتية كما قال ايضا في الموضوع الاديب الكثيري ، ثم بعدذلك قفاهماقاضي اقا سيدي محمد الهاشمي الفاسي بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثي ، مع انه كان يليق انتتبعه عشرات من قصائد طنانة ألفية ، ولكن تابى حرفة الادب الا أن تدرك صاحبها في الحياة ان لم تجد منعة منهمة فولاذية كهمة الاستاذ ، او بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكثرت الاعتذارات الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافراني :

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى — جرى دمعك القاني فقرح محجرا
فبت بليل نابغي مسامرا — كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى — له كبدا حرى وقلبا تفطرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد — لصبري عزما ايدا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى — مدامع تهمى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد موله — تحير لايدري اماما ولا ورا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى — هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الغيث في محل هم الاسد في الوغى
هم الغوث في أزل هم الشهب في السرى
فذكرني بيتا لحسان هاج من — جوىوعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خيار المومنين تواردوا — شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا»
الم تر ما غال العقول وارمض النـ — ـفوس ، واقذى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة — ورزء اهان المرزيات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذي — به يهتدي باغي الهدى حيثما سرى
ابي الحسن القرم الرضا خيرمناضا — بانواره افق العلوم ونورا
خضم بامواج المعارف يرتمي — وروض بأزهار المعارف نورا

١) عديا : اعصارا ، وهو بالتصغير

همام له في المجد همة سيد بصير اذاماورد الامر اصدرا (١)
كريم له عند المكارم هشة كما شمت برقا في الغمامة امطرا
يفيض بانواع المعارف والندى على كل عاف رائحا او مبكرا
على بابه في كل يوم تزاحم كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
ومن علمه او كفه يقبس الغنى عن المزريين الجهل والفقر من عرا
فكم من عم في مهمه الغي حائـر رأى سره البادي السنا فتبصرا
وكم طالب يبغي المعارف امه فاصدره عن علمه متبحرا
هو الشيخ كل العصر معترف له بمن سواء من تربى ومن قـــرا
هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه بغير حجاب منجدا ام مغورا
هو البحر من اى النواحي اتيته انالك درا دون من وجوهرا
هو البدر اشراقا هو الدهر همة هو البحر معروفاهوالليث مجترى
هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما هو العلم الاسمى لمن ضل فيعرا
هو الصارم المسلول انصال اوسطا لدىالحرب ابصرت الهزبرالغضنفرا
غدا ذكره اسرى من الشهبوالصبا ومنمثل والليل والطيف فيالكرى
فكم طرقت اخباره سمع راغب فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
لقد افعم الارجاء اضواء بره وعطر ريا علمه المدن والقرى
فمن ظن ان العصر ضم نظيره فقدظناخت الشمسخابمن افترى
فقل لحسود ظل ينكر فضله اذا كنت ذاعينين فانظر لكى ترى
وللمدعي هيهات ويك افي الندى تجاريه ام في العلم؟ فارعو واقصرا
تجمع فيه كل فضل مفـرق على غيره كالصيد ضمنه الفرا
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى وكم جائر اردى وكم مفتر فـرى
وكم موقف ضنك لدى حومةالوغى وقد صار فيه اليوم ادكن أغبرا
وحمحمت الجرد الجياد وضرجـت دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
وجالدت الابطال واشتجر القنا وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وصمت بصوت المرعـدات مسامع وافحم بالذعر اللسان فبربرا
وسيئت ظنون واصطككن فـرائص ودارت عيون خيفة وتـحيـرا

---

١) قال النابغة الجعدي :

ولاخير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الناس اصدرا
ولاخير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

٢) هذا ينظر الى قول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت | على الجو اطراف السنابك عثيرا(١)
فلا تبصر العينان الامضرجا | جريحا والا مستميتا معفرا
جلا فيه كرب الدين لله دره | بصادق باس لايحل التاخرا
له وثبات ، او ثبات كأنما | يعاطى لدى الهيجا مداما معصفرا
يرى الكفر ان العز بالله لابما | يلقبه الجهال جندا وعسكرا
وان جموع الكافرين وان طغت | سترجع عند العزم جمعا مكسرا
فبيض وجه الدين بالجد ناصرا | عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (٢)
وقاتل اعداء الهدى بشهامة | اذاقت مرارات الردى من تنصرا
وجاهدهم فى الله حق جهاده | فاوجب رضوان واجرا موفرا (٣)
الى ان دعاه الله بالفوز والرضا | فلباه مسرورا بما كان احضرا
فخلف صيتا طائرا ومفاخرا | مدى الدهر تستدعى الثناء المعطرا

---

١) البيض بفتح الباء : جمع بيضة وهى المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
فلولا الريح أسمع من بحجر | صليل البيض تقرع بالذكور
والشطر الثانى ينظر الى قول المتنبى :
عقدت سنابكها عليه عثيرا | فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا

٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ماجاء فى قصيدة لابراهيم السكتانى السوسى فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا | وماج بحر الحرب جحفله المجر
به يتقى فى معمعان الوطيس ان | تمعرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجاء حق قيامها | ودارت رحاها والتظى وسطها الجمر
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم | الى العجز رغما مطعن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا | وكدست الموتى وضاق بها البر
وجف من اوساط الحلوق لعابها | وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانثنى | عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر
هنالك مولانا يضيء جبينه | حبورا كأن طافت براحته الخمر
يقاوم فردا ثابت الجأش مقدما | كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايعه العزم الوطيد وقائم | من المشرفيات البواتر والمهر
الى ان يرد الجيش ادبارهم وقد | تقسمهم حد المهند والاسر

والجميع مستقى من قول المتنبى:

وقفت وما فى الموت شك لواقف | كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة | ووجهك وضاح وثغرك باسم

٣) حكى لى القائد الناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة ولم يقدر احد أن يتقدم لياتى بشلوه الا الفقيه سيدى على بن عبد الله ، فقد غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه .

الا انما تلك المكارم لا الالى ... يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
واعقبنا حزنا يزيد وعبرة ... تفيض ووجدا لايزال مسعرا
ولكننا نلقى المقادير بالرضا ... وتسليم امر كان حتما مسطرا
مضى شيخنا الحامى الذمار مطهرا ... مبرأ مايخفى وما كان اظهرا
سابكيه ما ناح الحمام هديله ... وان كان يبكيه بكاء مزورا
وتندبه عين اليراع معى وان ... جرى دمعها احوى ودمعى احمرا
وتبكيه عين المزن فى الروض اذ حكت ... شمائله الازهار طيبا ومخبرا
وانى اعزى المجد فيه فانه ... ابوه الذى يحميه ان يتهورا
واندبه للعلم والدين والندى ... وخابط ليل جائعا متحيرا
واندبه للمشكلات يحلها ... ببرهان صدق بادها او مفكرا
واندبه للدرس فى الدست اذ غدا ... يقلده من فيه عقدا مجوهرا
وللوعظ تهمى العين من رقة به ... اذا قام فيه مغربا ومحذرا
واندبه للطالب العلم يجتنى ... من ءادابه او ماله متخيرا
وللمعتدين الظالمين يكفهم ... عن الظلم كفا يردع المتكبرا
وللدين والدنيا وللفضل والعلا ... وللبشر والترحيب بالضيف ان طرا
وللسادة الابناء ابنائه ومن ... أضيف له معنى فحاز التصدرا
وللجلة الاخوان والجيرة الالى ... حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا ... بنوه فعجز الحر ان يتضجرا
فلارزء الا دون رزئكم فلا ... يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
ولاتهنوا للحادث النكر انه ... اذا جل رزء كان بالصبر أجدرا
ففى الله للعبد المنيب كفاية ... تقيه اذا ابدى الزمان التنكرا
لما جزعى ؟ والموت حتم وانما ... مدى كل حى ان يموت فيقبرا
اما زار طيف الموت كل منبأ ... كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
فلا ملك تحميه عدته ولا ... عليم ينجيه من الموت مادرى
فاين ذوو التيجان من كل أمة ... الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
واين الكرام الشم من برمك ؟ اما ... تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
دعا الكل داع لايرد لمصرع ... يلازمه حتى يوافى محشرا
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى ... وان عاش احقابا ولكن ليعبرا
فتبا لها لم تصف الا تكدرت ... ولم يحل فيها العيش الا تمررا
وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها ... اذا هو بالزهد ارتدى وتازرا
وجد حبال السوف اذ جد جده ... لزاد معاد فاتقى وتبررا
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة ... تسر اذا لاقى نكيرا ومنكرا

---

١) القعب بالفتح : اناء اللبن والشيزى : عود تصنع منه القصاع
قال الشاعر : تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل فى اصحاب قليب بدر : وكم ذا فى القليب قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن | مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله | فانك اهل ان تجود وتغفرا
وان الرجا في جنب عفوك شافع | كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة | تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
وان تتلقاه برضوانك الذى | يبيح له مثوى كريما ومنظرا
بجاه رسول الله من جنبه حمى | حصين يجير الملتجي وان اجترى
عليه صلاة الله قدر كماله | على عد ذرات الوجود واكثرا
واصحابه والتابعين ومن تلا | ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافراني ، وقدتتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب ثم ضم الى ذلك مايألف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة التي تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الغ الامثال علماء كل هذا العصر الذين لايطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هي ، فضلا عن ان يخوضوها لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التنانى الذى يقول : انني وامثالي يحرم في حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا الهزيمة لاننا سرعان ماننكشف في المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم في معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلى بين الرصاص تذكر عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ، وكامثالها من المواقف التي اشتهرت عنه في أيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثيرى :

الدهر بعد تعرف يتنكر | فسلامة من باسه تتعذر
مافتر عن اسنانه الا بدا | متجهما عن نابه يتكشر
فاذا تذلل لامرىء يوما غدا | من بعد اى تذلل يتنمر
واذا أتى عفوا واصفى موردا | عما قليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه | واذاله من بعد ما يتصدر
ورزية تمرى ضروع مدامع | كل الرزايا عندها لا تذكر
عمت وخصت كل ذى ادب فما | تلقاه الا حائرا يتفجر
ياعاذلى ومؤنبى فى عبرتى | ان الرزايا فى الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من | عيش يرجى او منى تتذكر ؟
طم المصاب وعم ابناء الورى | فتحيروا من وقعه وتحسروا
من للمحابر والمنابر والعلا | والضيف في ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغى | كشف الخفايا لبسها لايبقر
كم من غوامض قد جلاها فكره | لولا ثقوب شعوره لاتشعر

---

١) لايكت : لايعد

نشر العلوم افادة واجادة واشادة عن همة لاتفتر
من للحمى يحميه من لعوارف ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمنت من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعي الله ياروح العلا فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك في امتثال اوامر فلقيت رحمة ربنا تستبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الـ ـمولى تعالى جده تستغزر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما :

موت العليم مصيبة لن تجبرا لاسيما من فاق في العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعينا ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حييت سيادتكم على خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قـ ـط حسبت ان البدر يقبر في الثرى
غبتم فاشخصنا العيون الى السما أشخاص من سلب القوى متحيرا

وثانيتهما :

لنبك فما في الارض من كان اغيرا على العلم والاسلام مثلك في الورى
لنبك على موت الذى الدين زعزعت بفقدانه اركانه فتقطرا
لنبك على فقد المحلى بكل ما يزين الفتى حلما وعلما منورا
ابى الحسن الالغي شيخ زمانه ومن فاق كل من غدا متبحرا
همام يفيد المرء في جلسة من الـ ـمعارف ما لايستفيده اعصرا
عليم كريم لايمل جليسه اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف وعلم الغزالي في لسان القبعثري
فماذا عسى ابديه من وصفه وان غدا لي وجه الارض اجمع اسطرا
أبا حسن ابكيت اعيننا كما أذبت بنا كل القلوب تحسرا
أجود بدمعي قائلا ومؤرخا : (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثي الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب بما طوقوا به اخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله السملالي كان أيضا من الرائين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم انني وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافراني ارسلها بعد سنة من وفاة الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمراثي

وهي :

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدي ومولاي ابي الحسن الالغي ، الاخ الفقيه المدرس النفاعة السامي بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدي المدني ، والاخ اللطيف الشمائل ؛ والكريم الذي هو لاكتساب المجد مائل، الاديب الاريب، سيدي محمد والنجيب الحبيب ؛ سيدي الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدي الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدي الحسن وسيدي عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واصل مجدهم الذي يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوا في العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولاتفريط ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذروني والسلام ١٤ بذي الحجة ١٣٤٨ هـ».

هذا وقد حدثني الاستاذ سيدي الطاهر على ان الشيخ الافراني المذكور كان كتب اليهم اثر وفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التي كتب بها القاضي الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهي معروفة في التاريخ

قولة الاستاذ الرفاكي في صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذو المآثر العالية ، والمفاخر الصمدانية، الكاتب المجيد البارع، الواقف في فن البلاغة بكل المشارع ، وقد نزعت اليه اللطائف من عذيب المعاني والاجارع ، البليغ المصيب ، والفائز من الاجادة بأي نصيب، ابو الحسن سيدي علي بن الحاج عبدالله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدي عبد الله بن سعيد الساموكني -كما في الحضيكي- التجاني الطريقة المحمدي الحقيقة قرأ في بلده عن أخيه العلامة سيدي محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذي بنى المدرسة ودرس فيها ، وأحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون شنشنتهم كتب الادب واللغة فبها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو في نفسه قوي العارضة ، لايطمع الفتح ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يدالطوع، وأمنت باقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وان له في ميدان الراية ؛ وقد

البيت له ماأبصرمشعرا ؛ وتجده عند الاختبار صطرا، وعند الانتشاق شحرا؛ (١)
فمن ذلك قوله يخاطبني :

عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن   وأروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن
ومن قل شكرى عن عوائد بره   ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله   ويتلى على أرائه : حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى   واحلى بعيد الجهد والكد من وسن

وذلك جواب لقولى فيه :

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القنـن
الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النـوى   على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة   ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطـن
ابى المجد الا أن تكون سريه   نقيبا وان يتلى عليك : حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت   لديك وعدها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها   عبير مديح اشهى للصبى من وسن (٤)

وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ .

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميذع من زرت مآثره   بروتق البدر بل بروتق الشجر
ابى على مرعـف اليراع اذا   ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على   عد الرمال وعد الرمل والدرر

فاجاب رحمه الله فقال :

مولاى من قد زرت بطلعة القمر   طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت   لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر   على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر مالم أكن (٥)   أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قدجبلت على   احياء ميته يا أكمـل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت   شمس وما زين عين الغين بالحور

---

١) المراد بالشحر شحر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ، وقــد جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسنوه من الـروائـح الى عنبر هذا المكـان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشحرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

٢) خات العقاب يخوت خواتا : كان لجناحه دوى

٣) ملحضيض : من الحضيض ، على لغة بلحارث بن كعب

٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه ، مع انها غير موزونة

٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا مايقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفي رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ

هذا ماترجم به الاستاذ الرفاكي صاحب الترجمة ، وقد اتت الواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزدعلى ما قلنا الاانه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدي الحاج الحسين الافراني ، ثم صار يلقنها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجاني الالغي على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولايزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه التعصب الذي يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك انهذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رأيتها ، كما أن الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدي المدني الافراني ، واستطاع الكل أن يتمشى جنبا لجنب معمصافاةواخوة تامة وحسنظن • والمترجمتلقن التيجانية من مراكش •

قولةالمؤرخ علي بن الحبيب فيه

ومنهم اللوذعي الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم ، والفضل العميم ، صاحب القلم السيال ابو الحسن سيدي على بنعبدالله الالغي ، احد الخاصة من احباب والدنا القدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضي الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما في ذلك أحسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيهبين قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن

الى ءاخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاكي له»

ومما كتب به الى والدي : «علم الاعلام وامام معتقلي الاقلام ، ومن لهبكل فن ¬ولااقول الاحقا¬ اي المام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحسيب ، سيدي الحبيب السكراتي ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلاباس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالتكم ، ماتضمن كل سول ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيث فاحيت هناك ساكني القصبة واسترجعت اعظما بالشوق مغتصبة

١) كذا من خطه

فالله يبقيك ويقيك ويرقيك ، ومن بحر عناية نبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرتـه سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة، وهي بها من بعض الشوق واعبائه مستريحة، وعلمت في ذلك انني والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهذى فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكـرام ربـاح

نصها :

مولاى انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتنائى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبى صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتـنا واثارت فلها فى العيش اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فمـا لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهـل يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقى مابقيت على عهد يجل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوقى ما لخيل ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا دة تتاح لـه بالعـز انـوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ ـابناء دارتـه والـكـل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علـــ ـيا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلـعـت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلبه لاينطوى على نكر ومكر :

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدى الحادثات قـدام
يلوح سنا برق الهنا بيروجه كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائـل فمنهم جثوم حـولـه وقيـام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ،وهو الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة، فيهما يتمارسون وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه؛ اذاذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، اوالكرم فهو العامر لفنائه، أو العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله قصائد خاطب بهاأدباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر ، (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه» الى ان قال : ولصاحب الترجمة يهجو «ال (فصك) : دشرة مـن مداشر جزولة قوله :

أتيت لامر حافز (فصك) وهي بلـ ـدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قـومـا برابر يدعو ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أماتوا الندى فاقبروه واحيوا الـ ـمناكر فهى العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم از مثل حالهم في خشونة الـ ـمعاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتعبوا انفسهم في تحصيل العلم عند والدهم الى أن حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجـازوا فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولايقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر :

اعاذلتى على اتعاب نفسى ورعيى في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى بـرق المعالى فاهون فائت طـيـب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدى محمد بن عبد الله على حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مـدارك الرجال :

الاديب سيدى محمد وستقرأ ترجمته انشاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرءان حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده يقول له انني أريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع من المعرفة عند الالغيين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة به ، وقلما يتعدى الى حرف المكى اوقالون الاعند البعض منهم ثم لايلبث ان ينساه فاراد من ولده هذا أن يحيي ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس أماني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دووكادير لقضاء اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في الدار ، حين رجع الاخ سيدى محمد من قبيلة اداوزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان يجاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة ـلسبب من الاسبابـ ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم ازدلاف

اللهيب ال الهشيم ، فرضى حكم احمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسيمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولايظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا -اخال- حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لانني لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من أجله

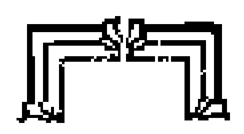
ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولا من أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايغشانى واخرون -كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا)- فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت أول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولاتؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها -والمقصود بين اولاد سيدى المدنى- فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترائيا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثثت بعض اولادها ان ياتى به لننسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور : العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سياتى ان شاء الله، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ مازال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابني الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدني وغيره . ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعضياوي ، ولاتزال ١٣٥٨هـ حية ولها أولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايفشالي ثم ماتت

فهذا ما أعلمه عن أولاد الاستاذ حفظهم الله وكلأهم وادام بيننا وبينهم ما بينا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المعسول)
في منفاي بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ
ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد
من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

1] فهرس المترجمين في هذا الجزء
2] الفهرس العام
3) فهرس القوافي
4) « الرسائل
5) « الفاظ الشلحة المضبوطة



الفهـرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

الفهرس الثاني

الفهرس العام

الفهرس الثالث

فى القوافى

يذكر فيه القائل ، مع الشطر الاول ، ان دل اخره على قافية القصيدة ، والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية ، وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشارقة

الهمزة

الباء

التاء

الحاء

الدال

الراء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الفهرس الرابع
في الرسائل والوثائق والظهائر والمراسيم الرسمية

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلحية التي وقع فيها حرف مشدد

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل

كأن لم يكن الغ بلادى التى بها — سريت صغيرا بين شتى المسارب
كأن لم يكن أصل ومنبت نبعتى — ومجمع اخواني ومغنى أصاحبي
كأن لم تكن لى أرضها خير مرتقى — سموت بها فوق الذرى والمناكب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية ـ صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	جفنة
٤٥	٢٠	اغدايفي	اغد ايفي
٥١	٣	فى جانبي الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية ـ البادييـن	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية ـ شطئه	شاطئه
٥٢	١٣	فـى الحاشية الضفاديـع	الضفادع
٦٠	٧	يتنساوون	يتنساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية ـ الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزرته	وحزرته
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٩	٣٢	ولا يعرف	ولايعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصل
١١٧	٢٢	شاور	ثـاور
١٤٥	١	سيدى	سيـد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرر	فكان يحـرر
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٣١٦ ﻫ	قبل ١٢١٠ﻫ = ١٢٩٦ﻫ
١٤٧	٩	أتقن ـ اشتهر	أتقنوا ـ اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	الفادح
١٦١	٣٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحـــو	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٣	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفظر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضي	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما راى كمن سمع	وما راء كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والتمرجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بدارهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كـثـير
٢٢٧	٧	الشبيح	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرانهم	ظهرانيهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايمى اوكادير	فى ايمى اوكادير
٢٤٠	١٣	الجـــاري	الجار
٢٤٣	١٠	فابتدورا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	وولبت	وووليت
٢٤٨	٣٦	يدرى	يــدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزبره
٣٦٤	١٤	... القواد	وكذلك الفواد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٠	٣٣	الادوزی	التازيمامتي
٢٦٨	٥	يخفف	يـخـف
٢٧٢	٥	يصنون	يحصنون
٢٨١	٣	من غـيـر	مـن خير
٢٨١	٢٣	بلا مزح	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	لـه ـ طب	لاه ـ طـاب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافـــا
٢٩٠	١٦	السارى	السار
٢٩٤	٢	الانزاضي	السكرادي
٢٩٥	٢٠	الله في كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلـعـا
٣٢٣	٤٢	ذك	دلك
٣٢٥	٢٠	اخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	ان يغمر	أن يغمز
٣٤٥	١٢	أوتى	اتـــى
٣٤٥	١٧	يكر	يـكـرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	في الحاشية تينجدا	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة أنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون، سيدي اليزيدي	سيدي اليزيدي، التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفذة	بفلذة

هذه هي الاغلاط التي وقفنا عليها • وقد يكون هناك أخرى • فالقارىء النبيه لاتخفى عنه

